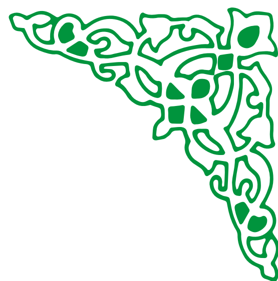
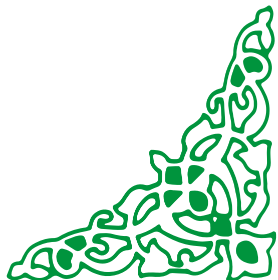



المنتقى

من أعمال الشيخ محمد ابن مانع رحمه الله

١٣٠٠هـ - ١٣٨٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

turathuna@islam.gov.qa



المنتقى

من أعمال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله
١٣٠٠هـ - ١٣٨٥هـ

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments



المنتقى

من أعمال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله

١٣٠٠هـ - ١٣٨٥هـ

تحقيق

عبد الإله بن عثمان الشايع

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

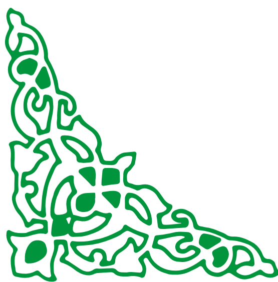
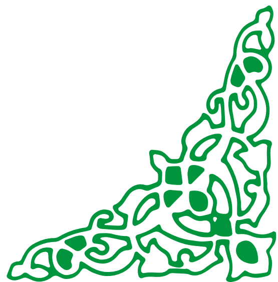
إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر






بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المنتقى من أعمال العلامة محمد بن مانع التميمي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، **أما بعد؛ فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لأن تضرب بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة ـ لَتحمد الله سبحانه وتعالى على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم.**

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة وذلك منذ ما يزيد على تسعة عقود، عندما وجه **الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني** حاكم قطر آنذاك بطباعة كتابي **(الفروع)** و**(تصحيح الفروع)**، سنة ١٣٤٥هـ، وكان **المؤسس الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني** رحمه الله تعالى قد سنَّ تلك السنة من قبل.

وما الجهود التي تبذلها الوزارة إلا امتداد لذلك النهج وسير على تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر.

ومنذ هذه الانطلاقة المباركة يسَّر الله جلَّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة من أمهات كتب التراث والدراسات المعاصرة المتميزة في فنون مختلفة.

وإصدارنا الجديد (**المنتقى من أعمال الشيخ العلامة محمد بن عبدالعزيز بن مانع التميمي**) (ت ١٣٨٥هـ)، وكان من علماء دولة قطر.

اشتمل هذا المنتقى على ثمانية كتب مختارة في العقيدة والفقه والآداب، حققها ورتبها الباحث عبدالإله الشايع، وقدم لها بترجمة موجزة للشيخ ابن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد حظيت هذه الطبعة بالمراجعة والتدقيق بإدارة الشؤون الإسلامية.

والحمد لله على توفيقه ونسأله المزيد من فضله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدارة الشؤون الإسلامية



مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فهذا مجموعٌ يحوي ثمانية كتب ألفها الشيخ العلامة محمد بن عبدالعزيز بن مانع، وهذه الكتب هي:

١ ـ القول السديد فيما يجب لله على العبيد.

٢ ـ الأجوبة الحميدة على الأسئلة المفيدة.

٣ ـ الكواكب الدرية على الدرة المضية.

٤ ـ تحفة الإخوان في بيان أن الحق والصواب فيما قرره العلامة الشيخ سليمان بن سحمان.

٥ ـ بطلان قول الملحدين أن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد العلم واليقين، مختارات من نونية ابن القيم.

٦ ـ تحديق النظر في أخبار المهدي المنتظر.

٧ ـ إقامة الدليل والبرهان على تحريم أخذ الأجرة على تلاوة القرآن.

٨ ـ الحكم المنظومة.

عملي في الكتاب:

١ ـ قمت بنسخ الكتب معتمدًا على الطبعات القديمة لكل كتاب، والتي طبعت في حياة الشيخ، وما لم يطبع نشرته معتمدًا على نسخ خطية لهذه الكتب.

٢ ـ رتبت هذه الكتب على حسب الفنون بداية من العقيدة ثم الفقه ثم الآداب.

٣ ـ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقام الآيات.

٤ ـ عزوت الأحاديث النبوية إلى مصادرها بشكل مختصر.

٥ ـ علقت على الملحوظات التي في هذه الكتب بشكل مختصر.

٦ ـ كتبت ترجمة للمؤلف مختصرة في مقدمة هذا المجموع.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يغفر للشيخ العلامة محمد بن مانع، وأن يجعل ما قدم في ميزان حسناته، وأن ينفع بهذه الكتب.

كما أسأله سبحانه أن يجزي القائمين على وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر خير الجزاء على نشرهم للكتب النافعة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه
عبدالإله بن عثمان بن عبدالله الشايع
الرياض ١٣/ ١١/ ١٤٣٦
shaya29@gmail.com

ترجمة العلامة الشيخ محمد بن مانع

اسمه ونسبه:

ـ «محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن شبرمة الوهيبي التميمي»[(١)].

ـ أمه نورة بنت رشيد الناصر الشبيلي.

مولده:

قال الشيخ محمد بن مانع: «ولد كاتب الأحرف على ما في خط الوالد ليلة السبت ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٠٠» في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم.

أسرته ونشأته:

كانت ولادته في بيت علم وصلاح ودينٍ من جهة جده لأبيه، ووالده وأعمامه، ومن جهة والدّته، وجدّه لأمه، يقول الشيخ حمد الجاسر: «من أسرة برز عدد أفرادها بالعلم، درس على مشاهير علماء

(١) وثائق ابن مانع مكتبة الملك فهد.

نجد»[١].

«من شأن البيئة الطيبة أن توجه الناشئ إلى الحياة الطيبة المجدية، والبيئة التي وجد فيها فضيلة الشيخ محمد بن مانع بيئة علم وفضل وصلاح»[٢].

«فجده: هو الشيخ محمد بن عبدالله المانع تتلمذ على العلامة الشيخ عبدالله أبا بطين القاضي المشهور، حتى شاء الله له أن يزوجه ابنته، ومن ثم انتقل معه إلى عنيزة عندما تولى قضاءها، فكان أوّل من سكنها من آل مانع، وقرأ عليه كثيرًا من العلوم، توفي سنة ١٢٩١هـ وخلّف أبناء ثلاثة هم: عبدالعزيز (والد الشيخ محمد المانع) وعبدالرحمن، وعبدالله، وكلهم قضاة، حتى أُطلق عليه (أبو الفقهاء) عليهم جميعًا رحمة الله»[٣].

ووالده: هو الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن مانع جده لأمه الشيخ عبدالله أبا بطين تولى قضاء عنيزة، وأمّ جامعها الكبير حتى توفي عام ١٣٠٧هـ[٤].

وعمه الشيخ عبدالرحمن: تولى قضاء القطيف، توفي سنة ١٢٨٧هـ[٥].

وعمه الشيخ عبدالله: كان إمامًا وواعظًا ومدرسًا، وولي قضاء عنيزة، حتى توفي سنة ١٣٦٠هـ[٦].

(١) مجلة العرب ج (٣ ـ ٤) سنة ١٤٠١هـ ص(١٨٠).
(٢) مجلة المنهل، مجلد ٧، محرم سنة ١٣٦٦، ص ٢١٦ مقال لعبدالقدوس الأنصاري.
(٣) البسام ١٤١٩ (٦/ ٢١٢ ـ ٢١٧).
(٤) البسام ١٤١٩ (٣/ ٥٢٢).
(٥) البسام ١٤١٩(٤/ ١٨٤).
(٦) البسام ١٤١٩(٤/ ٤٨٤).

وهو الذي تولى تربية الشيخ محمد المانع بعد وفاة والده، إذ توفي والده وعمره آنذاك سبع سنوات، وكان قد دفعه لطلب العلم في الكتاتيب، وأكمل عمه مشوار تعليمه بعد وفاة والده، فقرأ عليه مبادئ النحو والصرف، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي كان يدرسها لطلابه(١).

ووالدته: هي نورة بنت رشيد بن نصار آل شبيلي.

وقال الشيخ محمد المانع عن دورها في دفعه للعلم: «لما توفي والدي كنت صغيرًا فقالت والدتي: اذهب إلى تلميذ جدك وشيخ أبيك الشيخ: محمد بن عبدالله بن سليم في بريدة، فاقرأ عليه. قال: فذهبت إليه في بريدة، فذهب بي وأكرمني واعتبرني كأحد أبنائه ولازمته حتى توفي»(٢).

قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي: «ومن المعلوم للجميع أن الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع هو من أسرة علمية، خرّجت عددًا من العلماء والقضاة، أسماؤهم مذكورة في الكتب التي ترجمت للعلماء، مثل كتاب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن علماء نجد»(٣).

وهكذا نشأ الشيخ في «بيت علم وفضلٍ وأدب وعرفان بمكانة العلماء، وإن هذه المدرسة العلمية ألتي نشأ فيها انعكست على والدته، التي أحسنت توجيهه بعد وفاة أبيه، وكانت له نعم الموجهة

---

(١) المنهل العدد ٥، جمادى الأولى ١٣٦٦هـ، ص(٢١٦) مقالة لعبدالقدوس الأنصاري.

(٢) العمري ١٤٠٥ (ص ٤٥٩).

(٣) أوراق أرسلها للباحث بتاريخ (١٦/ ٤/ ١٤٣٠).

إلى درب العلم لإدراكها مكانة العلم، ومعرفتها بالمنبع الصافي الذي يمكن أن يرده ابنها لينهل منه»[(١)].

وبهذا يتبين أن أسرة الشيخ «آل مانع من بيوت العلم المحبوكة الطرفين بأجدادها لآبائهم وأمهاتهم»[(٢)].

* * *

۞ صفاته الخَلقية

قال الشيخ محمد بن عثمان القاضي: «أما أوصافه: فكان قصير القامة، قمحي اللون، خفيف الشعر طلق الوجه حسن الخلُق»[(٣)].

وقال الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري: «وهو ربعة في القوم قمحي اللون عربي الملامح، عليه سمة العلماء وسمة الوقار وسمة العزيمة والإخلاص تقرأ على ملامحه، حينما يتحدث لك وحينما يتأمل موضوعًا أو يستغرق في تفكير، وهو واسع العينين أزج الحواجب، خفيف العارضين، عريض الجبهة، وفي عرنينه شمم، وهو بشوش»[(٤)].

۞ صفاته الخُلقية:

فيقول عنه صاحب كتاب الانطلاقة التعليمية في المملكة وهو ممن عاصره: «امتاز بأنه طيب السريرة، لطيف المعشر، حلو الحديث عليه سمة العلماء الكبار»[(٥)].

---

(١) الشويعر ١٤٢١(ص ١٠٢).
(٢) مجلة الفتح، عدد ٨١٨، محرم سنة ١٣٦٤ (مقال لمحب الدين الخطيب).
(٣) (١٤٠٣هـ ٢/ ٢٩٩).
(٤) مجلة المنهل، مجلد٧، عدد ٦، جماد الثاني، ١٣٦٦هـ.
(٥) بغدادي (١/ ٢٣٤).

ويقول عنه السيد ولي الدين أسعد: «عرفته، رَحِمَهُ اللَّهُ، كوالدٍ وصديقٍ ورئيس، فلقد جمع العمل بيني وبينه عدة سنوات، فكان هو المدير العام للمعارف ببلادنا، وكنت أنا مديرًا للبعثات العلمية والمعتمد الثقافي للمعارف بالقاهرة، فلمست فيه الشمائل العالية النبيلة والأخلاق الفاضلة العظيمة، فلقد كان مخلصًا في عمله، نزيهًا إلى أقصى حدود النزاهة، محبًّا للخير وللناس، بعيدًا عن الهوى والغرض، والتعصب المذهبي والعنصري»[(١)].

قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي: «عرفته مدرسًا في حلقة تدريس بالمسجد الحرام، فكان من العلماء الذين يقال في أخلاقهم ومعاملتهم ما قال الناس في أسلوب بعض الكتاب: إنه من السهل الممتنع، فالشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع سهل الأخلاق والتعامل، متواضع إلى درجة تصل أو تكاد تصل إلى معاملة الرجل مع أولاده، ولكن ما يتعلق بالعقيدة أو بالأمور المبدئية من أمور الدين قويٌّ صلبٌ إلى درجة لا يستطيع مثلها كثير من الناس»[(٢)].

۞ شيوخه:

تلقى الشيخ محمد المانع العلم من مدارس علمية متعددة، وعنهم تلقى علوم الأصول والعقائد في قراءاته لمؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك كتب الفقه الحنبلي، وبعض كتب اللغة، وهؤلاء العلماء الأجلاء هم:

أولاً: في نجد:

- الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم.

ولد في بريدة سنة ١٢٤٠هـ وتوفي سنة ١٣٢٥هـ.

---

(١) المنهل، ج١١، مجلد ٢٦، ذو القعدة، ١٣٨٥هـ، ص(٨٦٥).
(٢) أوراق أرسلها للباحث في (١٦/ ٤/ ١٤٣٠).

ـ الشيخ عبدالله بن محمد بن فدّا.

ولد في بريدة سنة ١٢٧٢هـ.

ـ الشيخ عبدالله بن عائض العويضي.

ولد في عنيزة سنة ١٢٤٩هـ وتوفي سنة ١٣٢٢هـ.

ـ الشيخ عبدالله بن محمد بن عثمان بن دخيل.

ولد سنة ١٢٦٠هـ وتوفي سنة ١٣٢٤هـ وقيل: سنة ١٣٢٣هـ.

ـ الشيخ صالح بن عثمان القاضي.

ولد بعنيزة سنة ١٢٨٢هـ وتوفي سنة ١٣٥١هـ.

ـ الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر.

ولد في بريدة سنة ١٢٤١هـ وتوفي سنة ١٣٣٨هـ.

ثانيًا: في العراق

ـ الشيخ عبدالرزاق الأعظمي.

ولد عام ١٢٨١هـ وتوفي سنة ١٣٢٨هـ وقيل: سنة ١٣٣٠هـ.

ـ الشيخ عبدالوهاب أفندي قدوري.

ولد سنة ١٢٦٩هـ وتوفي سنة ١٣٤٥هـ.

ـ الشيخ علي بن نعمان الألوسي.

من قضاة بغداد، ولد سنة ١٢٧٧هـ وتوفي ببغداد سنة ١٣٤٠هـ.

ـ الشيخ محمد بن عبدالله العوجان.

من أكبر علماء الزبير، توفي سنة ١٣٤٢هـ.

ـ الشيخ محمود شكري الألوسي أبو المعالي.

ولد ببغداد سنة ١٢٧٣هـ وتوفي سنة ١٣٤٢هـ.

- الشيخ يحيي بن أفندي بن قاسم الوتري.

ولد سنة ١١٨٢هـ ببغداد، وتوفي سنة١٣٤١هـ.

ثالثًا: مشايخه في الشام

- الشيخ بدر الدين الحسني.

ولد سنة ١٢٦٧هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ.

- الشيخ جمال الدين القاسمي.

ولد سنة ١٢٨٣هـ بدمشق، وتوفي بها سنة ١٣٣٢هـ.

- الشيخ عبدالرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار.

ولد بدمشق سنة ١٢٥٣هـ وتوفي بها سنة ١٣٣٥هـ.

رابعًا: في مصر

- الشيخ محمد بن سبيع الذهبي.

- الشيخ محمد عبده آل التركماني.

ولد سنة ١٢٦٦هـ وتوفي سنة ١٣٢٣هـ بمصر.

خامسًا: في البلد الحرام

- الشيخ حبيب الله بن عبدالله الشنقيطي.

ولد سنة ١٢٩٥هـ بشنقيط، وتوفي بها سنة ١٣٦٣هـ.

- الشيخ عمر بن حمدان المحرسي.

ولد سنة ١٢٩٢هـ وتوفي بمكة سنة ١٣٦٨هـ.

۞ تحصيله العلمي ومحفوظاته:

سعى الشيخ محمد المانع، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لطلب العلم منذ نعومة أظفاره، وأعانه على ذلك الجو العلمي الذي نشأ فيه، وانتماؤه لأسرة علمية بارزة.

وبالرغم من صعوبة السفر آنذاك، ووعورة الطريق، وقلة الزاد، فقد كافح الشيخ في طلب العلم، وتنقل بين عدة بلدان عربية، منها العراق والشام ومصر والحجاز.

۞ ثناء معاصريه عليه:

ومما يؤكد مكانته العلمية أن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ على جلالة قدره كان يعظمه ولا يتكلم إذا جلس عنده، فقد كان كلٌّ منهما يحترم الآخر ويجلّه، وكان يُحيل إليه كثيرًا من المسائل رغم سعة علمه.

وقال الأستاذ عبدالله عبدالمجيد البغدادي عنه: «وقضى حياته كلها عالمًا ومتعلمًا وباحثًا منقبًا، وأصدر عدّة فتاوى فقهية تدل على طول باعه وتقدم علمه في فقه الإمام أحمد بن حنبل، شغوف بالمعرفة دؤوب عليها وعلى تحصيلها، ولو كلّفه ذلك سهر الليالي الطوال في صحن المسجد الحرام، فهو مثال للعلماء الأوائل الذين طلبوا العلم من المهد إلى اللحد، وفتشوا عن العلوم أنَّى وجدت أخذت، وحيث كانت التقطت»[(١)].

كما أثنى على سعة علمه الشيخ عبدالله البسام، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال عنه: «كان آية في العلوم العربية لا سيما النحو، فقد أربى فيه على الغاية، وكان مطلعًا على التفاسير، وما قاله المفسرون على

(١) البغدادي (١/ ٢٣٣).

الآيات وما اختلفوا فيه، وكان مطلعًا وحافظًا للسنة، فيستحضر الكثير من أحاديث البخاري بأسانيده، وكان فقيهًا مطلعًا على خلاف العلماء...»[(١)].

وأثنى عليه الشيخ صالح العمري فقال: «الشيخ العلامة والبحر الزاهر، الفهامة» وقال أيضًا: «وكان، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، آية في معرفة رجال الحديث والمؤلفين والشرّاح، وله اطلاع واسع في جميع العلوم، كالحديث والفقه وأصولهما واللغة والتاريخ والتفسير والنحو»[(٢)].

وقال الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري: «والشيخ إلى علمه وعمله يعتبر من كتاب العلماء الذين تجول أقلامهم في مختلف حقول الإصلاح الديني والثقافي والاجتماعي، وذلك ما يدلنا على رفعة مستوى تعليمه، ووعيه الحميد لواجبات العالم الذي يُنَصِّب نفسه ليكون مرشدًا ومصلحًا»[(٣)].

ويقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي: «وهو واسع الثقافة، ولكن الثقافة الرئيسة له هي في العلوم الدينية، غير أن له اهتمامات أخرى، منها أنه كتب أوراقًا في قضاة عنيزة أسمائهم وتاريخ عملهم في القضاء»[(٤)].

۞ تلاميذه:

قام الشيخ محمد بن مانع بالتدريس في البلدان التي حلَّ فيها، وقد نفع الله به الكثير من الطلاب الذين نهلوا من علومه واستفادوا

---

(١) البسام ١٤١٩ (٦/ ١٠٣).
(٢) المصدر السابق (٦/ ١٠٢ ـ ١٠٤ ـ ١٠٩).
(٣) مجلة المنهل، عام ١٣٦٦هـ، (ص ٢٧٥).
(٤) أوراق أرسلها للباحث في (١٦/ ٤/ ١٤٣٠).

منه، وقد أمكن التعرف على بعض تلاميذه من خلال من كتب ترجمة للشيخ، وأشهر من تتلمذ على الشيخ:

- الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز السويح.
- الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى.
- الشيخ زهير الشاويش.
- الشيخ صالح الزغيبي.
- الشيخ عبدالرحمن السعدي.
- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم الباهلي.
- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ.
- الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد.
- الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري.
- الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود.
- الشيخ عبدالله القرعاوي.
- الشيخ عبدالله القاضي.
- الشيخ عبدالله بن دهيش.
- الشيخ عثمان القاضي.
- الشيخ فيصل المبارك.
- الشيخ قاسم بن درويش آل فخرو.
- الأستاذ مبارك بن سيف الناخي.

- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.
- الشيخ محمد بن عبدالله بن حسن آل الشيخ.
- محمد بن عبدالرحيم الصديقي.
- الشيخ الشاعر محمد بن عبدالله العثيمين.
- الشيخ محمد بن عبدالله المانع.

رحم الله الجميع.



الأعمال التي تولاها الشيخ في المملكة

قال الشيخ: «الأعمال التي شغلتها في المملكة العربية السعودية كثيرة بأمر الملك عبدالعزيز، قدمت إلى مكة سنة **١٣٥٨** أول يوم من رمضان هذا العام، فكنت مدرسًا في الحرم دروسًا عامة، ودروسًا للطلبة، وكنت رئيسًا لهيئة التمييز العليا، ومديرًا للمعارف، ورئيسًا لمجلس المعارف، ورئيسًا للوعاظ، ورئيسًا لتدريب الموظفين، ورئيسًا لدار التوحيد، وعضوًا بمجلس التعليم الأعلى برئاسة الأمير فهد بن عبدالعزيز وزير المعارف، وعضوًا في الهيئة العليا لعمارة الحرم الشريف برئاسة الأمير فيصل، ومراقبًا للتدريس في الحرم الشريف، وانتدبت إلى مصر لإحضار معلمين، ثم انتدبت إلى مصر عضوًا في مؤتمر وزراء المعارف، وكان وزير معارف مصر إذ ذاك إسماعيل القباني»[١].

أعماله في البلدان التي حل بها:

تقلّد الشيخ محمد المانع عدّة مناصب في البلدان التي نزل بها وقام فيها بعدة أعمال جليلة، وقد أثمرت جهوده في كل مكان وطِئته

(١) وثائق ابن مانع، مكتبة الملك فهد.

قدماه، منذ بداية مشواره العلمي حتى آخر حياته، فقد كانت حياته العملية ملازمة لحياته العلمية؛ إذ كان يدعو الناس إلى العقيدة الصحيحة، ويشرح دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأهدافها، ويوضح منهج السلف الصالح، وذلك منذ صغر سنّه عندما كان يتنقل بين البلدان التي زارها لطلب العلم، وكان همه وشغله الشاغل هو نشر منهج السلف، فكانت له جهود في الدعوة إلى الله في بغداد والبحرين وفي مصر وكذلك في قطر.

بعد أن طارت سمعة مجالس الشيخ محمد المانع في البحرين، وعمّت الآفاق سيرته، وزاد ثناء الناس على دروسه وحلقاته في مساجدها وفي النادي الأدبي، وصلت أخباره إلى حاكم قطر الشيخ عبدالله آل ثاني، الذي وجد في الشيخ المانع الشخص الذي يبتغيه، وأنه أصلح من سيقوم بالتعليم والقضاء في قطر، فطلبه من البحرين، فوصل إليه في شهر شوال سنة **١٣٣٤هـ**.

وقام بأعمال جليلة فيها، كان على رأسها إنشاء المدرسة الأثرية التي كانت أكثر تطورًا من نظام الكتاتيب التقليدي، وكان الهدف من إنشائها إعداد جيل من القادة والوعاظ والقضاة والدعاة المؤهلين علميًّا، المتحصنين بالعقيدة الصحيحة، وكانت دروسها تهدف إلى المزيد من التخصص في العلوم الإسلامية وفي الأدب العربي، وكان الشيخ هو من يلقي الدروس فيها، ثم يطلب من الدارسين تدوين ملاحظاتهم عن أسلوبه، ثم يدربهم على الإلقاء والخطابة، فكان بهذا يسلك أسلوبًا يقوم على البحث والدراسة من خلال منهجه في طريقة حلِّ المشكلات، وقد تخرج من هذه المدرسة، بفضل الله ثم جهوده القيمة فيها، جيلٌ من الشباب القيادي المؤهل الذين دعاهم الشيخ للدراسة فيها، ليس من طلبة قطر وحدها بل حتى من أبناء الشارقة ونجد والكويت وإيران.

وقد حرص على تزويد المدرسة بالمراجع والكتب المهمة، فسعى لتكوين مكتبة ألحقها بالمدرسة، تحتوي على عدد كبير من الكتب القيمة. كما كان بالتالي يشجع طلابه على تكوين مكتبات خاصة بهم.

وإلى جانب إشرافه على هذه المدرسة كان الشيخ يدرّس في بعض المساجد، واستمر خطيبًا وإمامًا قرابة الأربعة والعشرين عامًا، وهي فترة بقائه في قطر، ثم دُعي بعدئذٍ إلى المملكة العربية السعودية لمزاولة بعض الأعمال هناك، لكنه ما لبث أن عاد إلى قطر ثانية وذلك سنة **١٣٧٤هـ** عندما أراد حاكمها إعادة تنظيم المعارف، والنظر في مقررات المعهد الديني الذي أنشئ في تلك السنة، ومن ثم انتهت إليه عندئذٍ إدارة الشؤون الدينية في قطر، وكان مستشارًا لحاكم قطر، يصحبه في حلّه وترحاله.

مؤلفاته:

للشيخ محمد بن مانع مؤلفات قليلة ليست على قدر علمه، ولعل انشغال الشيخ بالرحلات العلمية، والمناصب الرفيعة التي تولاها، كان له دور في قلة مؤلفاته وصغر حجمها، إلا أن هذه المؤلفات نفع الله بها، حيث لقيت القبول والانتشار، كما كان للشيخ جهود في كتابة المقالات، وقد قام كذلك بنشر الكثير من الكتب، وقدم لبعض الكتب، وراجع البعض الآخر «والشيخ إلى علمه وعمله يعتبر من كُتّاب العلماء الذين تجول أقلامهم في مختلف حقول الإصلاح الديني والثقافي والاجتماعي»(١) وهذه عناوين مؤلفاته:

الكتب التي ألَّفها:

١ ـ الكواكب الدرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية.

---

(١) مجلة المنهل، ١٣٦٦، ص ٢٧٠ (مقال لعبدالقدوس الأنصاري).

٢ ـ القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد.

٣ ـ تحفة الإخوان في بيان أن الحق والصواب ما قرره الشيخ سليمان بن سحمان.

٤ ـ حاشية على العقيدة الواسطية.

٥ ـ حاشية على العقيدة الطحاوية.

٦ ـ بطلان قول الملحدين أن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يُفيد العلم واليقين.

٧ ـ الأجوبة الحميدة على الأسئلة المفيدة.

٨ ـ تحديق النظر في أخبار الإمام المهدي المنتظر.

٩ ـ مقرر التوحيد والفقه.

وهو تلخيص لكتابَي (الثلاثة أصول) و(شروط الصلاة) للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

١٠ ـ إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب.

وهي رسالة في فضل العلم والعمل والحث عليهما.

١١ ـ إقامة الدليل والبرهان على تحريم أخذ الأجر على تلاوة القرآن.

١٢ ـ حاشية على عمدة الفقه (مخطوط).

١٣ ـ سُبل الهُدى في شرح شواهد شرح قطر الندى.

١٤ ـ الحِكَم المنظومة (مخطوط).

١٥ ـ مذكرات تاريخية.

فيها معلومات عن تواريخ ووفيات بعض العلماء والأعيان، وأخبار تتعلق بالشيخ نفسه، لكنه لم يرتبها ولم ينشرها، بل نشرها له الشيخ حمد الجاسر في المجلة العربية في جزأين.

١٦ ـ الأعلام فيمن وَلِيَ عنيزة من الأمراء والقضاة والأعلام.

١٧ ـ البيان فيمن ولي قضاء عنيزة.

١٨ ـ مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد.

١٩ ـ كشف الغطا عما في إعلام الورى من الخطا.

٢٠ ـ رسالة في أدب البحث والمناظرة (مخطوط).

٢١ ـ رسالة في الرد على الشيعة.

٢٢ ـ رسالة في الرد على الجهمية.

قال الشيخ في رسالة أرسلها للعلامة ابن سحمان: «وعندي رد على الجهمية أحب أن أعتني فيه غاية الإمكان»(١).

الكتب التي علق عليها، أو راجعها، أو قدم لها:

من الكتب التي علّق عليها:

١ ـ أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة.

وهو مجموعة قصائد في العقيدة والأخلاق، جمعها الشيخ علي بن يوسف القصيمي، طبع طبعة أولى بتاريخ ١٣١٦هـ، ثم طبع طبعة ثانية بتاريخ ١٣٧٩هـ، وعليهما تعليقات الشيخ محمد المانع.

٢ ـ رسالتا: «كشف الشبهات» و«الرسالة المفيدة» للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(١) وثيقة رقم: (٥٢) بتاريخ ٢٨/٧/١٣٣٨هـ.

طبعت بالرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض سنة ١٤٠٤هـ.

٣ ـ «زاد المستقنع» للمقدسي.

طبعت بمطبعة المدني بمصر.

٤ ـ «الكافي في فقه الإمام أحمد» لابن قدامة.

طبع بالمكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٣٨٢هـ.

٥ ـ «دليل الطالب على مذهب الإمام أحمد» للشيخ مرعي الحنبلي.

طبعت بالمكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٣٨٩هـ وهي الطبعة الثانية.

٦ ـ مقررات التاريخ الإسلامي.

وهي ثلاث مقررات:

المقرر الأول (تاريخ الدولة الأموية والعباسية).

المقرر الثاني (مجمل تاريخ الجزيرة العربية، وتاريخ المملكة).

المقرر الثالث (سيرة النبي ﷺ).

وطبعت بمطبعة الماجدية بمكة المكرمة.

٧ ـ آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٢.

٨ ـ هدية الألباب في جواهر الآداب، لحسين بن محمد بن مصطفى الجسر الطرابلسي.

دمشق المكتب الإسلامي د. ت (١٦ صفحة).

٩ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة، لأحمد بن محمد بن محمد العناني، تعليق محمد بن مانع.

جدة، دار المطبوعات الحديثة د. ت (٤٤ صفحة).

١٠ ـ خمسون حديثًا نبوية، محمد بن عبدالعزيز بن مانع.

القاهرة، دار مصر للطباعة، د. ت (٣٢ صفحة)[(١)].



(١) الشويعر، أوراق زودها الباحث.

القول السديد
فيما يجب لله تعالى على العبيد

فضيلة الشيخ

محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مقدمة المحقِّق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الموحِّدين، وبعد:

فهذا كتاب «**القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد**» يفيد تعليم الطلاب الأصول الثلاثة الواجب معرفتها، وهي: **معرفة الرب**، **ومعرفة الدِّين**، **ومعرفة النبي** ﷺ.

وقد اعتمدت في نشر الكتاب على طبعة قديمة سنة ١٣٨٠هـ.

والله الموفِّق.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاعلم أنه يجب على كل مسلمٍ مكلفٍ أن يتعلم ثلاثة أصول، وهي: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه.

وهذه الثلاثة هي التي يُسأَل عنها الإنسان في القبر بعد الموت.

* * *

الأصل الأول

سؤال إذا قيل لك: من ربك؟

جواب فقل: ربي الله، الذي رباني بنعمته، وخلقني من عدم إلى وجود.

والرب: هو المالك المتصرف.

ومعنى «الله»: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: بأي شيء عرفت ربك؟

جواب فقل: بآياته ومخلوقاته، منها الليل والنهار والشمس والقمر، وغير ذلك.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: وما الدليل على ذلك؟

جواب فقل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

* * *

سؤال وإذا قيل لك: لأي شيء خلقك الله؟

جواب فقل: لعبادته وحده لا شريك له.

وعبادته: طاعته باتباع أمره، واجتناب نهيه.

ومن أنواعها الدعاء، وهو مخ العبادة(١).

فلا يُدعَى غير الله من الأموات والأشجار والأحجار والغائبين، فمن دعا غير الله فهو مشرك.

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**» أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (رقم ٣٣٧١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ. وقال الألباني: ضعيف.
وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب: ومن سورة المؤمن (رقم ٣٢٤٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: الدعاء (رقم ١٤٧٩)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب: فضل الدعاء (٣٨٢٨) وصححه الألباني.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

والظلم هنا هو الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١) [لقمان: ١٣].

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟

جواب فقل: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: يوحدون.

سؤال وإذا قيل لك: كم أقسام التوحيد؟

جواب فقل: ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الربوبية: أن لا خالق ولا رازق إلا الله.

وتوحيد الألوهية: هو إفراده تعالى بالعبادة.

وتوحيد الأسماء والصفات: أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ نفيًا وإثباتًا.

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ! قَالَ: «**لَيسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ**: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾!» أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ (رقم ٣٤٢٩).

سؤال وإذا قيل لك: ما أعظم ما أمر الله به؟ وما أعظم ما نهى عنه؟

جواب فقل: أعظم ما أمر الله به التوحيد، الذي هو إفراد الله بالعبادة.

وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه.

ودليل الأمر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ودليل النهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما أول ما فرض الله عليك؟

جواب فقل: الإيمان بالله، والكفر بالطاغوت.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وهي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

ومعنى الإيمان بالله: أن تعتقد أنه هو الإله المعبود الذي لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومعنى الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله.

والطاغوت: اسم لكل ما عُبد من دون الله ورضي بذلك، أو حَكَم بغير ما نزَّل الله، والشيطان أكبر الطواغيت، وكل رأس في الضلالة، كالدعاة إلى عبادة الأموات وإنكار الصفات.

الأصل الثاني

سؤال إذا قيل لك: ما دينك؟

جواب فقل: ديني الإسلام، وهو تسليم الأمر لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك(١).

وهو ثلاث مراتب:

١ ـ الإسلام.

٢ ـ والإيمان.

٣ ـ والإحسان.

وكل مرتبة لها أركان.

* * *

سؤال فإذا قيل لك: كم أركان الإسلام؟

جواب فقل: **خمسة:**

الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والثاني: إقام الصلاة.

والثالث: إيتاء الزكاة.

والرابع: صوم رمضان.

والخامس: حج البيت الحرام مع الاستطاعة.

(١) أي: البراءة من الشرك وأهله.

سؤال وإذا قيل لك: ما الدليل على هذه الخمسة؟

جواب فقل: **أما دليل الشهادة** فقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وأما دليل الصلاة والزكاة فقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وأما دليل الصيام فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وأما دليل الحج فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧].

* * *

سؤال وإذا قيل لك: هل يقبل الله دينًا غير الإسلام؟

جواب فقل: **لا. والدليل** قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما معنى «لا إله إلا الله»؟

جواب فقل: لا معبود بحق إلا الله.

﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ نفي ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إثبات.

والمعنى أنها تنفي الألوهية عمّا سوى الله، وتُثْبِت العبادة لله وحده لا شريك له.

و﴿وَحۡدَهُۥ﴾ تأكيد للإثبات.

و﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ تأكيد للنفي.

سؤال وإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟

جواب فقل: هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما أصل دين الإسلام وقاعدته؟

جواب فقل: أمران:

أحدهما: أن نعبد الله وحده.

الثاني: أن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع.

ودليل الأمر الأول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

ودليل الأمر الثاني قوله ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[1]، أي: مردود عليه غير مقبول.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما معنى الإيمان لغةً وشرعًا؟

جواب فقل: معناه لغةً: التصديق.

وشرعًا: تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به من ربه.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (رقم ٢٦٩٧) ومسلم في كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (رقم ١٧١٨).

سؤال وإذا قيل لك: كم أركان الإيمان؟

جواب فقل: ثلاثة: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجَنَان، وعملٌ بالأركان.

* * *

سؤال إذا قيل لك: كم أصول الإيمان؟

جواب فقل: ستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟

جواب فقل: قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩].

سؤال وإذا قيل لك: كم الأنبياء؟ وكم الرسل منهم؟ ومن هم أولو العزم؟ ومن أول الرسل؟

جواب فقل: جملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وأولو العزم منهم خمسة.

ذكرهم الشاعر بقوله:

محمد إبراهيم موسى كليمه ... ونوح وعيسى هم أولو العزم فاعلم

وأول الرسل نوح، وآخرهم محمد. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: كم أنزل الله من الكتب السماوية؟

جواب فقل: مائة صحيفة، وأربعة كتب.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما هي الكتب؟

جواب فقل: هي التوراة، وأنزلت على موسى، والإنجيل، وأنزل على عيسى، والزبور، وأنزل على داود، والقرآن، أنزل على محمد ﷺ.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما هي الصحف؟

جواب فقل: هي صحف شِيثَ، وهي خمسون، وصحف إدريس، وهي ثلاثون، وصحف إبراهيم، وهي عشر، وصحف موسى قبل التوراة، وهي عشر.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: هل جاء دليل صحيح على بيان عدد الأنبياء والرسل، وعلى بيان عدد الكتب؟

جواب فقل: ورد حديث في ذلك عن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ يدل على ما ذكرناه من التفصيل، والله أعلم بصحته(١).

---

(١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَحْدَهُ، قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةً، وَإِنَّ تَحِيَّتَهُ رَكْعَتَانِ، فَقُمْ فَارْكَعْهُمَا**» قَالَ: فَقُمْتُ فَرَكَعْتُهُمَا، ثُمَّ عُدْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِالصَّلَاةِ، فَمَا الصَّلَاةُ؟ قَالَ: «**خَيْرُ مَوْضُوعٍ، اسْتَكْثِرْ أَوِ اسْتَقِلَّ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْمَلُ إِيمَانًا؟ قَالَ: «**أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَسْلَمُ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ =

= قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الصِّيَامُ؟ قَالَ: «فَرْضٌ مُجْزِئٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ أَضْعَافٌ كَثِيرَةٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ، وَأُهْرِيقَ دَمُهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جَهْدُ الْمُقِلِّ يُسَرُّ إِلَى فَقِيرٍ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ» ثُمَّ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاَةِ عَلَى الْحَلْقَةِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: «مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «ثَلاَثُمِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ؟ قَالَ: «آدَمُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قِبَلًا» ثُمَّ، قَالَ: يَا «أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سُرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشِيثُ، وَأَخْنُوخُ، وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنُوحٌ. وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودٌ، وَشُعَيْبٌ، وَصَالِحٌ، وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ كِتَابًا أَنْزَلَهُ اللَّهُ؟ قَالَ: «مِائَةُ كِتَابٍ، وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ، أُنْزِلَ عَلَى شِيثٍ خَمْسُونَ صَحِيفَةً، وَأُنْزِلَ عَلَى أَخْنُوخَ ثَلاثُونَ صَحِيفَةً، وَأُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشَرُ صَحَائِفَ، وَأُنْزِلَ عَلَى مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَاةِ عَشَرُ صَحَائِفَ، وَأُنْزِلَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالْقُرْآنُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَتْ صَحِيفَةُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: «كَانَتْ أَمْثَالاً كُلُّهَا: أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلَّطُ الْمُبْتَلَى الْمَغْرُورُ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنِّي لاَ أَرُدُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لاَ يَكُونَ ظَاعِنًا إِلاَّ لِثَلَاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ، وَمَنْ حَسَبَ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلاَمُهُ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى؟ قَالَ: «كَانَتْ عِبَرًا كُلُّهَا: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ، ثُمَّ هُوَ يَفْرَحُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ، ثُمَّ هُوَ يَضْحَكُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ، عَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا، ثُمَّ اطْمَأَنَّ إِلَيْهَا، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا ثُمَّ لاَ يَعْمَلُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي. قَالَ: «عَلَيْكَ بِتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ: «إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّهُ =

ولهذا يجب على كل مسلم أن يؤمن بالأنبياء والرسل والكتب والصحف إيمانًا إجماليًّا، فقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

سؤال وإذا قيل لك: هل يجب الإيمان بما في التوراة والإنجيل اللَّذين عند اليهود والنصارى اليوم؟

جواب فقل: ما فيهما موافق للقرآن فهو حق يجب الإيمان به، وما فيهما مخالف للقرآن فهو باطل، يجب إنكاره واعتقاد بطلانه.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما الإحسان؟

جواب فقل: هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

* * *

= يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي. قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ، وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي. قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي. قَالَ: «أَحِبَّ الْمَسَاكِينَ وَجَالِسْهُمْ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي. قَالَ: «انْظُرْ إِلَى مَنْ تَحْتَكَ وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي. قَالَ: «قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي. قَالَ: «لِيَرُدَّكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ مِنْ نَفْسِكَ وَلاَ تَجِدْ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي، وَكَفَى بِكَ عَيْبًا أَنْ تَعْرِفَ مِنَ النَّاسِ مَا تَجْهَلُ مِنْ نَفْسِكَ، أَوْ تَجِدَ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي» ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ لاَ عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلاَ حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ» أخرجه ابن حبان (الإحسان ٢/٧٦ رقم ٣٦١) وضعفه الألباني (السلسلة الضعيفة ١٩١٠، ٦٠٩٠).

سؤال وإذا قيل لك: هل يبعث الناس بعد الموت؟

جواب فقل: نعم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

❊ ❊ ❊

سؤال وإذا قيل لك: هل يكفر منكر البعث؟

جواب فقل: نعم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

❊ ❊ ❊

الأصل الثالث

سؤال وإذا قيل لك: من نبيك؟

جواب فقل: هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم. وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

❊ ❊ ❊

سؤال وإذا قيل لك: كم سنُّه يوم وفاته؟

جواب فقل: ثلاث وستون سنة، منها أربعون سنة قبل الرسالة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولًا.

❊ ❊ ❊

سؤال وإذا قيل لك: بأي شيء نُبِّئَ؟

جواب فقل: بـ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١ ـ ٢].

* * *

سؤال وإذا قيل لك: بأي شيء أرسل؟

جواب فقل: أرسل بـ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٢].

سؤال وإذا قيل لك: ما الفرق بين النبي والرسول؟

جواب فقل: النبي إنسان أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه، وإن أمر بتبليغه فهو رسول.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما هي النسبة بين النبي والرسول؟

جواب فقل: العموم والخصوص المطلق، فكل رسول نبيٌّ، وليس كل نبيٍّ رسولًا، والرسول أفضل من النبيِّ إجماعًا؛ لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: هل من الملائكة رسل؟

جواب فقل: نعم، منهم رسل، وليس فيهم أنبياء.

فعلى هذا الاعتبار تكون النسبة بين النبي والرسول العموم والخصوص الوجهي، فيجتمعان في النبي والرسول، وينفرد الرسول في الملك، والنبي في البشر.

* * *

سؤال وإذا قيل لك: هل أرسل نبينا محمد ﷺ للناس كافة أو لبعضهم؟

جواب فقل: أرسل للناس كافة، عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم.

سؤال وإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟

جواب فقل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

* * *

سؤال وإذا قيل لك: ما الدليل على أن نبينا محمدًا خاتمُ الأنبياء؟

جواب فقل: قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

* * *

سؤال وإذا قيل: بأي مكان ولد؟ وبأي مكان توفي؟

جواب فقل: ولد بمكة، وأول ما أوحي إليه بها، وتوفي بالمدينة بعدما هاجر إليها، ودفن جسمه، وبقي علمه، نبيٌّ لا يُعبَد، ورسول لا يُكذَّب، بل يُطاع ويُتَّبَع. صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

* * *

سؤال وإذا قيل: كم أجداد النبي ﷺ إلى عدنان؟

جواب فقل: هم واحد وعشرون، وجمعهم بعض العلماء بقوله:

أبوه عبدُ الله عبد المطلب وهاشم عبد مناف قد حُسِب
ثم قصيٌّ وكلابٌ مُرَّهْ كعبٌ لؤيٌّ للكرام غُرَّهْ
وغالب فهر ومالك النضر كنانة خزيمة به افتخر
مدركة إلياسُ ثم مضر نزار أيضًا ومعد ذكروا
ثمَّتَ عدنان وعنده وقف متفق الأقوال عند من سلف

* * *

سؤال وإذا قيل لك: من هم أولاد النبي ﷺ؟

جواب فقل: هم «القاسم» و«عبدالله» ـ وهو «الطاهر، والطيب» ولد له في الإسلام، وبعضهم يقول: «المطهر والمطيب» ويجعلهم آخَرَيْنِ غير «عبدالله» ـ و«إبراهيم» ابن مارية القبطية، و«فاطمة» و«زينب» و«رقية» و«أم كلثوم» وكلهم من خديجة إلا «إبراهيم».

سؤال وإذا قيل لك: من هن زوجات النبي ﷺ؟

جواب فقل: أولُهُنَّ «خديجة» ثم «سودة» ثم «عائشة» ثم «حفصة» ثم «أم سلمة» ثم «جويرية بنت الحارث» ثم «زينب بنت جحش» ثم «زينب بنت خزيمة» ثم «ركانة بنت زيد» ثم «أم حبيبة بنت أبي سفيان» ثم «صفية بنت حُييٍّ» ثم «ميمونة بنت الحارث» رضوان الله تعالى عليهن.

سؤال وإذا قيل لك: كم زوجاته اللاتي توفي ﷺ عنهن؟

جواب فقل: تسع، ذكرهنَّ بعضهم بقوله:

تُوُفِّي رَسُولُ اللهِ عَنْ تِسعِ نِسْوَةٍ إِلَيْهِنَّ تُعْزَى المَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ
فَعَائِشَةٌ مَيْمُونَةٌ وَصَفِيَّةٌ وَحَفْصَةُ تَتْلُوهُنَّ هِنْدٌ وَزَيْنَبُ
جُوَيْرِيَةٌ مَعْ رَمْلَةٍ ثُمَّ سَوْدَةُ ثَلَاثٌ وَسِتٌّ ذِكْرُهُنَّ مُهَذَّبُ

* * * *

فهرس المحتويات



الأجوبة الحميدة

عن الأسئلة المفيدة

فضيلة الشيخ

محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مقدمة المحقِّق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فهذا كتاب «**الأجوبة الحميدة عن الأسئلة المفيدة**» ذكر الشيخ محمد بن مانع، رَحِمَهُ اللَّهُ، أنها كلمات مختصرة، تشتمل على أسئلة طرحها الإمام الشيخ عبدالرحمن بن حسن، رَحِمَهُ اللَّهُ، في بعض مؤلفاته، تتضمن الكلام على أنواع التوحيد وأهميته، والكلام عن توحيد الألوهية، ومعنى شهادة أن «لا إله إلا الله» ومعنى العبادة.

وقد كان اعتمادي على الطبعة الثانية المنشورة عن المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٣٨٣هـ بعنوان «ثلاث رسائل» وفيها مع هذه الرسالة رسالتان، هما «إرشاد الطلاب» و«إقامة الدليل والبرهان».

والله الموفِّق.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بصفات الكمال، المنعوت بنعوت العظمة والجلال، الذي علا فوق مخلوقاته، وتنزه عن سمات المحدثات، فلا تشبه ذات بذاته.

والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي عُرج به إلى ربه، فنال الكمال بدنوه من الله وقربه، وعلى آله وأصحابه الطاهرين، الذين أيد الله بنصرهم قواعد الدين.

أما بعد: فهذه كلمات مختصرة، تشتمل على حل الأسئلة التي أوردها الإمام الشيخ عبدالرحمن بن حسن(١) قدَّس الله سره، في بعض مؤلفاته المفيدة، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء، طلبها مني بعض الإخوان العارفين، ولعلمي بحسن نيته، ومحبته للعلم، والفقه في الدين، كتبت هذه الكلمات التي سميتها: «**الأجوبة الحميدة عن الأسئلة المفيدة**» ومن الله وحده أستمد التوفيق والسداد، إذ عليه التوكل والاعتماد.

(١) هو العلامة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ لازم دروس جده الإمام محمد بن عبدالوهاب حتى توفي، ثم درس على علماء الدرعية، ترك مجموعة من المؤلفات النافعة، منها «فتح المجيد» و«قرة عيون الموحدين». توفي سنة ١٢٨٥هـ رَحِمَهُ اللَّهُ. علماء نجد (١/ ١٨٠ ـ ٢٠١).

وقبل الأخذ في الجواب نذكر عبارة المصنف مجملة ثم نعود إلى حلها تفصيلًا.

* * *

قال عليه الرحمة:

ـ ما معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»؟

ـ وما الإلهية المنفية بـ«لا» النافية للجنس؟

ـ وما خبرها؟

ـ وما معنى الإلهية التي ثبتت لله وحده دون ما سواه؟

ـ وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه؟

ـ وما معنى الإخلاص الذي أمر الله به عباده وأخبر أنه له وحده؟

ـ وما تعريف العبادة التي خُلِقُوا لها؟

ـ وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحدًا جهلُه؟

ـ وما معنى اسم الله تعالى الذي لا يُسمَّى بهذا الاسم غيره؟

ـ وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟

انتهى كلامه رحمه الله تعالى

* * *

فأما قوله: ما معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»؟

فأقول: إن كلمه الإخلاص **«لا إله إلا الله»** هي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي في الدنيا لمن قالها من السيف جُنَّة، وفي الآخرة لمن عمل بمقتضاها مفتاح الجَنَّة.

وفي «**مسند البزار**» عن عِيَاض الأنصاريِّ، عن النبيِّ ﷺ أنه

قال: «إِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةٌ عَلَى اللَّهِ كَرِيمَةٌ لَهَا عَنْدَ اللَّهِ مَكَانٌ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَنْ قَالَهَا صَادِقًا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا حَقَنَتْ مَالَهُ ودَمَهُ وَلَقِيَ اللَّهَ غَدًا فَحَاسَبَهُ»(١).

قال شيخ الإسلام: اتفقت الأمة على أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلقُ شهادةُ أن «**لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**» فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًّا، والمباح دمه وماله معصومَ الدم والمال. ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه، فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان(٢). انتهى.

وهذه الكلمة الطيبة دالَّة بمنطوقها وموضوعها على نفي استحقاق الإلهية عن غيره تعالى، والبراءة من كل معبود سواه، وإثبات استحقاق الإلهية على وجه الكمال لله تعالى، فالنفي يستفاد من «لا» واسمها وخبرها المقدر(٣)، والإثبات يستفاد من الاستثناء، لأن الإثبات بعد النفي المتقدم أبلغ من الإثبات بدونه.

وهذه طريقة القرآن، يقرن بين النفي والإثبات غالبًا، كما في هذا الموضع؛ لأن المقصود لا يحصل إلا بهما.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال ابن القيم: وطريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن بين النفي والإثبات، فينفي عبادة ما سوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة

---

(١) كشف الأستار (١/ ١٠ رقم ٤) قال الهيثمي: رجاله موثقون (مجمع الزوائد ١/ ٢٦) وضعفه الألباني (تحقيق كلمة الإخلاص ١/ ٥٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٧).

(٣) خبرها المقدر «حقٌّ».

التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات، وهذا حقيقة «**لا إله إلا الله**»[(١)].

إذا تقرر هذا، فمعنى «**لا إله إلا الله**» أي: لا معبودَ حقٌّ إلا الله. فتضمنت نفي استحقاق الإلهية عما سوى الله، وإثباتها له جل وعلا.

و«لا» نافية للجنس، و«إله» اسمها، مبني على الفتح في محل نصب. وخبرها مقدر تقديره «حقٌّ» وهو مرفوع بالضمة الظاهرة، و«إلا» حرف استثناء، والاسم الكريم مستثنى، وهو مرفوع بالضمة الظاهرة، لأنه بدل من الخبر عند البصريين، وعطف نَسَق عند الكوفيين[(٢)].

و«**لا إله إلا الله**» لها شروط سبعة، ذكرها السائل في «**شرح التوحيد**»[(٣)]:

أحدها: العلم المنافي للجهل[(٤)].

الثاني: اليقين المنافي للشك[(٥)].

الثالث: القبول المنافي للرد[(٦)].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٣٤).

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب (١/ ٢٤٥).

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (١/ ٨٣).

(٤) أي: يعلم أنه لا أحد يستحق العبادة إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

(٥) أي: أن يؤمن إيمانًا جازمًا بما تدل عليه هذه الكلمة؛ من أنه لا يستحق العبادة إلا الله تعالى، فإن الإيمان لا يكفي فيه إلا علم اليقين، لا الظن ولا التردد، فمن كان غير جازم في إيمانه بمدلول هذه الكلمة، أو كان شاكًّا مرتابًا أو متوقفًا في ذلك لم تنفعه هذه الكلمة شيئًا.

(٦) أي: فيقبل بقلبه ولسانه جميع ما دلت عليه هذه الكلمة، ويؤمن بأنه حق وعدل، فمن نطق بهذه الكلمة ولم يقبل بعض ما دلت عليه؛ إما كِبرًا أو حسدًا أو غير ذلك، فإنه لا يستفيد من هذه الكلمة شيئًا.

الرابع: الانقياد المنافي للترك(١).

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك(٢).

السادس: الصدق المنافي للكذب(٣).

السابع: المحبة المنافية لضدها(٤).

وأما قوله: ما الإلهية المنفية بـ«لا» النافية للجنس؟

فأقول: هي العبادة بحق، فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذه إلهًا وعبده من دون الله، والمخلوق لا يستحق شيئًا من ذلك.

كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

فتضمن هذا نفي الإلهية التي هي العبادة بحق **عما سوى الله، وإثباتها لمستحقها، وهو الله سبحانه وتعالى،** فظهر بطلان عبادة الأموات والأشجار والأحجار، والاستغاثة بغير الله الذي لا يملك الضر والنفع أحدٌ سواه.

* * *

---

(١) أي: ينقاد بجوارحه بفعل ما دلت عليه هذه الكلمة من عبادة الله وحده، فمن قالها وعرف معناها ولم ينقد للإتيان بحقوقها ولوازمها، من عبادة الله والعمل بشرائع الإسلام، ولم يعمل إلا ما يوافق هواه أو ما فيه تحصيل دنياه، لم يستفد من هذه الكلمة شيئًا.

(٢) فلابد من تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، فمن أشرك بالله تعالى في أي نوع من أنواع العبادة لم تنفعه هذه الكلمة.

(٣) أي: أن يقول هذه الكلمة صدقًا من قلبه، يوافق قلبُه لسانه، ولذلك لم ينتفع المنافقون من نطقهم بهذه الكلمة، لأن قلوبهم مكذبة بمدلولها، فهم يقولونها كذبًا ونفاقًا.

(٤) فلابد أن يحب المسلم هذه الكلمة، ويحب ما دلت عليه، ويحب أهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، ويبغض ما ناقض ذلك.

وأما قوله: وما خبرها؟

فأقول: قد سبق منا تقديره بقولنا «حقٌّ» لا كما قدره الجاهلون بمعنى «**لا إله إلا الله**» بقولهم «ممكن، أو موجود» فإن هذا غلط فاحش، لأن معناه أنه لا يوجد ولا يمكن وجود إله آخر، وهذا جهل عظيم بمعنى هذه الكلمة الطيبة، فالنزاع بين الرسل وقومهم في كون آلهتهم حقًّا أو باطلًا كما هو ظاهر لمن تدبر القرآن.

❊ ❊ ❊

وأما قوله: وما معنى الإلهية التي ثبتت لله وحده دون ما سواه؟

فأقول: قد عُلم مما قدمنا جواب هذا السؤال، فإن معنى الإلهية: العبادةُ، ولا يستحقها إلا الله وحده، لا مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبي مرسل.

ورحم الله الإمام ابن القيم حيث قال:

وَهْوَ الإِلَهُ الحَقُّ لَا مَعْبُودَ إِلْـ ... ـلا وَجْهُهُ الأَعْلَى العَظِيمُ الشَّانِ
بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ ... مِنْ عَرْشِهِ حَتَّى الحَضِيضِ الدَّانِي[١]

❊ ❊ ❊

وأما قوله: وما أنواع التوحيد؟

فأقول: أما التوحيد، فهو إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته، ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً. فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه[٢]، ولا تشبه صفاتِه الصفاتُ، ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعالَهُ الاشتراكُ، فهو الخالق دون من سواه.

وأما أنواعه فنوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

---

(١) الكافية الشافية (١/ ٣٥).

(٢) انظر ما سيأتي: (ص٩٨/ هـ:٣).

فالأول: توحيد الربوبية.

وهو إثبات حقيقة ذات الرب، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وتكلُّمِهِ بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده.

وأما الثاني فهو توحيد الإلهية والعبادة.

وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتقرير النوع الأول، ودعوة المشركين إلى الثاني.

* * *

وأما قوله: وألقابه؟

فأقول: ألقاب التوحيد ثلاثة:

أحدها: توحيد الإلهية. وثانيها: توحيد الربوبية. وثالثها: توحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الإلهية: إفراد الله بالعبادة.

وتوحيد الربوبية: اعتقاد أنْ لا خالق، ولا رازق، ولا نافع، ولا ضار، ولا مدبر لأمرٍ من الأمور إلا الله.

وتوحيد الأسماء والصفات: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ نفيًا وإثباتًا.

* * *

وأما قوله: وأركانه؟

فأقول: **أركان التوحيد اثنان؛ وهما الصدق والإخلاص.**

وحقيقة الصدق: بذل الجدِّ والاجتهاد في تجريد التوحيد، والمتابعة لما ورد في كتاب الله العزيز وما صح عن نبيه ﷺ.

فيجتهد المريد نجاته في تصحيح الأعمال والأقوال والاعتقادات، وأن تكون موافقة لما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ ولا يتعبد بالبدع والضلالات وما تهواه نفسه، كحال من استحوذ عليهم الشيطان، فعبدوا الأموات، وأنكروا الصفات، وحرَّفوا كتاب الله أشدَّ من تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل.

وما أحسن ما قاله بعض الأئمة: أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

أحدهما: عبادة الله وحده. **والثاني**: ألا يعبد إلا بما شرع[(١)].

ولما ذكر العلامة الإمام ابن القيم في «النونية» التوحيد الذي خلق الله لأجله عباده، الذي هو مدلول «**لا إله إلا الله**» قال مبينًا لِرُكْنَيْهِ:

والصدق والإخلاص ركنا ذلك الـتـ ... ـتوحيد كالركنين للبنيان

ثم عرَّف رَحِمَهُ اللَّهُ الركنين بقوله:

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا ... د فلا يزاحمه مرادٌ ثانِ

والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ... ل الجهد لا كسلًا ولا مُتَوَانِ[(٢)]

فتبين من هذا معنى الصدق.

وأما الإخلاص فيتضح مما يأتي بعد هذا.

* * *

(١) مجموعة التوحيد (١/ ٢٠٢).
(٢) الكافية الشافية (١/ ٢١٩).

وأما قوله: وما معنى الإخلاص الذي أمر الله به عباده وأخبر أنه له وحده؟

فأقول: الإخلاص عبارة عن: النية الخالصة، وتجريدها عن شوائب الرياء. فيأتي العامل بأعمال الطاعة لوجه الله تعالى مخلصًا له، ولا يريد بذلك رياءً ولا سمعة، وأن يقصد بقلبه رضا الله جلَّ جلالُهُ بالعبادة.

وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»(١).

ولهذا قال بعض العارفين: إنما تتفاضلون بالإرادات، ولم تتفاضلوا بالصوم والصلاة.

وقد كان السلف يجتهدون في إصلاح النية والإرادة.

حتى قال سفيان الثوريُّ: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي، لأنها تتقلب عليَّ(٢).

وقال غيره(٣): تعلَّموا النية؛ فإنها أبلغ من العمل(٤).

وذلك أن قيام الدين إنما هو بالنية الصادقة، والعمل بالسنة الثابتة، فإذا انتفى أحدهما فالعبادة باطلة؛ لانتفاء الإخلاص الذي أمر الله به عباده، وأخبر أنه له وحده، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (رقم ٢٥٦٤).

(٢) حلية الأولياء (٧/ ٥).

(٣) هو يحيى بن أبي كثير.

(٤) حلية الأولياء (٣/ ٧٠).

أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقد نبذ عُبَّاد الأموات كتابَ الله وراء ظهورهم، فأشركوا في عبادة الله مَن لا يستحق العبادة، من الأشجار والأحجار والغائبين والأموات، فَدَعَوهُم من دون الله، ومع الله، وأثبتوا لهم التصرف بعد الممات، كحال الحياة، بل اعتقدوا أن آلهتهم بعد الممات أكمل حالًا منهم قبله، وهذا هو الشرك العظيم الذي ينافي التوحيد والإخلاص، وقد عم في غالب الأقطار! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وما أحسن قول الإمام ابن القيم في «نونيته»:

فقيام دين الله بالإخلاص والـ ... إِحسان إِنهما له أصلان
لم ينج من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الأصلان
والناس بعدُ فمشرك بإلهه ... أو ذو ابتداع أو له الوصفان
والله لا يرضى بكثرة فعلنا ... لكن بأحسنه مع الإيمان
فالعارفون مرادهم إحسانه ... والجاهلون عَمُوا عن الإحسان(١)

❊ ❊ ❊

وأما قوله: وما تعريف العبادة التي خُلِقُوا لها؟

فأقول: **العبادة لغةً:** الانقياد والخضوع والتذلل.

وأما شرعًا: فعرفت بتعاريف لا ينافي بعضها بعضًا.

كقولهم: العبادة ما أمر به شرعًا، من غير اطِّراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي.

وعرفها جماعة بأنها: كمال الحب والخضوع المتضمن كمال الطاعة.

(١) الكافية الشافية (١/ ٣٥).

وقال شيخ الإسلام: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة، مثل الصوم، والصلاة، والزكاة، والحج، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وبرِّ الوالدين، وصلة الرحم(١).

إلى غير ذلك من أنواع البر والطاعة التي أمر الله بها.

فعبادة الله: طاعته بفعل المأمور وترك المحظور. وذلك هو حقيقة دين الإسلام الذي خلق الله العباد لأجله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقد عكس عُبَّاد الأموات القضية، فأسلموا وجوههم لغير الله، وصرفوا العبادة لمن لا يستحقها من الأوثان، وتقربوا إلى الله بما يكون سببًا لمقتهم وبغضهم وطردهم من رحمة الله، قال تعالى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

* * *

وأما قوله: وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحدًا جهله؟

فأقول: إن العلم النافع في الدنيا والآخرة هو علم الكتاب والسنة، وما سواه فإما أن يكون علمًا، ولا يكون نافعًا، وإما أَلَّا يكون علمًا وإن سُمِّيَ به، ولئن كان علمًا نافعًا فلا بد أن يكون في ميراث النبي ﷺ ما يغني عنه مما هو مثله أو خير منه.

ولله در **القائل** حيث يقول:

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ
مَا الْعِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ جَهَالَةً ... بَيْنَ النُّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ١٥٤)

كَلَّا وَلَا رَدُّ النُّصُوصِ تَعَمُّدًا حَذَرًا مِنَ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ
حَاشَا النُّصُوصِ مِنَ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْوِيهِ

ولبعض العلماء رحمهم الله تعالى:

ومن لا يَرِيهِ الرسول ويسقه لُبَانًا له قد دَرَّ من ثدي قدسه
فذاك لقيط ما له نسب الولا ولا يتعدى طور أبناء جنسه

فالعلم النافع: هو ما جاء في كتاب الله تعالى وما صح في سنة رسول الله ﷺ. وذلك يتضمن معرفة الله تعالى بصفاته، وما أمر به عباده وما نهاهم عنه، وما يترتب على ذلك من الجزاء في الدار الآخرة.

وهذه هي أقسام العلم النافع، كما قال ابن القيم في «النونية»:

والعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما إلا من الهذيان(١)

فيجب على كل مكلف وجوبًا عينيًا الإيمان بجميع كتب الله، فيعتقد أن الله واحد أحد، فرد صمد، وأنه المستحق للعبادة دون من سواه، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وأنه متصف بجميع ما وصف به نفسه في كتابه، وما وصفه به رسوله ﷺ مثل الكلام بصوت وحرف يليقان بعظمته تعالى، وأنه يتكلم بمشيئته وإرادته، يتكلم بشيء بعد شيء، وأنه مستوٍ على عرشه، بائنٌ من

---

(١) الكافية الشافية (١/ ٢٦٦).

خلقه، وأن له وجهًا ويدَين وعينَين وقدمًا وساقًا وصورةً، وسمعًا وبصرًا، وعلمًا، وإرادة وقدرة ومشيئة، وأنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، وأن ذاته لا تشبه الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات، كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك يجب على كل مكلف الإيمان بملائكة الله، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر، خيره وشره، حلوه ومره، من الله.

وكذا يجب على المكلف امتثال ما أمر الله به في كتابه، وما أمر به رسوله ﷺ من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما هو مفصل في كتب أهل السنة والجماعة بأدلته الشرعية.

وقال في «شرح الإقناع»: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويجب أن يَطلُب من العلم ما يقُوم به دينه. قيل له: فكل العلم يقُوم به الدينُ؟ قال: الفرض الذي عليه في نفسه لا بد له من طلبه. قيل له: مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله؛ صلاته وصيامه ونحو ذلك[(١)].

وكذلك يجب على المكلف اجتناب ما نهى الله عنه على لسان رسوله صلوات الله وسلامه عليه. وهذا هو العلم النافع الذي لا يسع أحدًا جهله.

وللعلم ست مراتب ذكرها الإمام الحافظ ابن القيم في «مفتاح السعادة»:

أولها: حسن السؤال.

(١) كشاف القناع (١/ ٤١٢).

الثاني: حسن الإنصات والاستماع.

الثالث: حسن الفهم.

الرابع: الحفظ.

الخامس: التعليم.

السادس: ثمرته، وهي العمل به ومراعاة حدوده[(١)].

* * *

وأما قوله: ما معنى اسم الله تعالى الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره؟

فأقول: معناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. كما نقله المفسرون عن ابن عباس[(٢)].

وأصله «الإله» حذفت الهمزة، وأدغمت اللام في اللام، فصارتَا لامًا واحدة مشددة مفخمة. كما قاله علماء اللغة[(٣)].

والإله: وضع لكل معبود، حقًّا كان أو باطلًا. لأنه مشتق من «الإلهة» بمعنى العبادة[(٤)].

قال في «القاموس»: أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَاهَةً وأُلُوهِيَّةً: عبَد يعبُد عبادة، وكل من عبد شيئًا فقد اتخذه إلهًا[(٥)]. انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الإِلَهُ: هو الذي تَأْلَهُهُ القلوب محبةً ورجاءً[(٦)].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٢١).

(٣) الصحاح (ء ل هـ).

(٤) الكليات (١/ ١٧٢).

(٥) الصحاح (أ ل هـ)، المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٤٥٨).

(٦) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٣٣٣).

وكذا قال ابن القيم(١) والحافظ ابن رجب وغيرهما من أهل العلم.

وبعد التعريف والتفخيم صار علمًا على ربنا جل وعلا.

قال سيبويه: هو أعرف المعارف(٢).

قال تعالى متمدحًا بذلك: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فقد تبين معنى «الإله» وأنه المألوه المعبود.

فما بال عُبَّاد الأموات لا يتعظون ولا يعتبرون ولا يخصُّون بالعبادة الحيّ القيوم! فهو الله، ما عرفوا الله، ولا علموا معنى اسم «الله» إلا من عاند منهم وألحد، وأكثرهم قد تمسك بما عليه أسلافهم القائلون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وهؤلاء نوَّاب إبليس في الأرض الذين أضلوا عباد الله، فأفسدوا فِطَرَهم، وحملوهم على أن عبدوا غير الله، وكذبوا كتابه ورسوله، فأنكروا الصفات، وعبدوا الأموات، وارتكبوا الموبقات، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

* * *

وأما قوله: وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟

فأقول: اختلف العلماء في هذا الاسم العظيم؛ هل هو مشتق، أو مرتَجَل للحق جل جلاله؟

والذي عليه المحقِّقون أنه مشتق.

واختاره الإمام ابن القيم، قال رحمه الله تعالى: والذين قالوا

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٧).

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب (١/ ٤٩٤).

باشتقاقه إنما أرادوا أنه دالٌّ على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير والسميع والبصير، ونحو ذلك، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من الأصل، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلًا وفرعًا ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة(١). انتهى.

فصفة اشتقاقه من المصدر دلالتُهُ على ما دل عليه من الصفة الثابتة لله وحده لا شريك له. والحمد لله رب العالمين.

وقد تم جواب هذا المفيد على يد مؤلفه محمد بن عبدالعزيز المانع، في ضحوة يوم الجمعة، الموافق ستة عشر من جمادى الآخرة، سنة ١٣٣٦هـ. والله أعلم.



---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٢ ـ ٢٣).

فهرس المحتويات



الكواكب الدرية

لشرح الدرة المضية

في عقد أهل الفرقة المرضية

تأليف العلامة الأستاذ الشيخ

محمد بن عبدالعزيز بن مانع

مقدمة المحقِّق

الحمد لله الذي تفرد بصفات الكمال، وتنزه عن الشبيه، وصلى الله وسلم على نبي الهدى محمد بن عبدالله.

وبعد:

فهذا كتاب «**الكواكب الدرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**» اختصر فيه مؤلفه الشيخ محمد بن مانع، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شرح العلامة محمد السفاريني، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، على منظومته «الدرة المضية» مع إضافة بعض الفوائد المهمة.

وقد وقع الشيخ محمد بن مانع، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في بعض المآخذ التي كان غالبها بسبب نقله عن الشارح، وقد علقت على هذه المواضع، حيث نقلت كلام أهل العلم، مع الاختصار والاقتصار على المهم.

وقد كان الاعتماد على طبعة مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٩٧هـ، مع الرجوع لأصل شرح السفاريني.

والله ولي التوفيق.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي علا فوق مخلوقاته، واعترفت بوحدانيته جميع مصنوعاته، وتقدس عن سمات المحدثات، ليس له شبيه، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته.

وأصلِّي وأسلِّم على سيدنا محمد الذي أوضح الله به سبيل الهدى، فمن تمسك بسنته فقد فاز، ومن حاد عنها فقد ضل واعتدى، وعلى آله وأصحابه المتقين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول الفقير إلى رحمة ربه ورضوانه، محمد بن عبدالعزيز بن مانع، عامله الله بلطفه وإحسانه: لما مَنَّ الله تعالى بإقرائي المنظومة الوحيدة المسماة بـ«**الدُّرَّة المُضِيَّة في عقد أهل الفرقة المَرْضِيَّة**» نظم الإمام الهُمام محمد بن أحمد السَّفَّارينيِّ، لجماعة من الطلاب السلفيين ذوي الألباب، رأيتها محتاجة لشرح يميط عنها حجابها، ويعين على فهمها حُفَّاظها.

وقد كنت قرأت في تراجم بعض الأفاضل من الحنابلة، كالشيخ العلامة حسن الشطي، والشيخ الإمام محمد بن علي بن سلوم، وغيرهما، أنهم قد اختصروا شرح ناظمها، ذلك الشرح الجليل الذي سلك فيه مسلك الإطناب والتطويل، وحيث إني لم أظفر بشيء من تلك المختصرات، ولم يكن فيما علمت مشهورًا، أقدمت مقتديًا بأولئك الأئمة على اختصار شرح ناظمها، وأضفت إلى ذلك فوائد كثيرة مما وجدته في كتب المحققين، مما يهم طالب العلم درايته، وسميت هذا المختصر «**الكواكب الدُّرِّيَّة لشرح الدُّرَّة المُضِيَّة في عقد أهل الفرقة المَرْضِيَّة**» ومن الله وحده أستمد الإعانة، إنه خير معين.

قال الناظم مبتدئًا بالبسملة: «**بسم الله الرحمن الرحيم**».

أي: باسم مسمَّى هذا اللفظ الأعظم، الموصوف بأوصاف الكمال ابتداءً.

و«**الله**» علم للذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد. لم يطلق على غيره.

و«**الرحمن الرحيم**» اسمان مشتقان، من «رَحِمَ» بجعله لازمًا، أو بتنزيله منزلة اللازم، إذ هما صفتان مشبَّهتان.

و«**الرحمن**» أبلغ من «**الرحيم**» لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالبًا.

و«**الرحمن**» في الأصل بمعنى: كثير الرحمة. ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها، وهو «الله».

و«**الرحيم**» ذو الرَّحمة الكثيرة. وأتى به بعد «**الرحمن**» الدال على جلائل النعم، إشارة إلى أن ما دل عليه من دقائق الرحمة، فيكون كالتتمة.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١ ـ الحَمْدُ لِلهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ... مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ وَالْأَرْزَاقِ
٢ ـ حَيٍّ عَلِيمٍ قَادِرٍ مَوْجُودُ ... قَامَتْ بِهِ الْأَشْيَاءُ وَالْوُجُودُ

قوله: «**الحمد لله**».

الحمد لغةً: الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل.

وعرفًا: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره.

والشكر لغةً: هو الحمد اصطلاحًا.

وعرفًا: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خُلق لأجله.

فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه، فالحمد أعم من جهة المتعلق؛ لأن متعلقه الفواضل والفضائل.

فالفواضل: الصفات المتعدية، كالكرم.

والفضائل: الصفات اللازمة، كالجمال وجودة الذهن ونحو ذلك.

وأخص من جهة المورد؛ لأن مورده اللسان والجنان فقط، والشكر أعم من جهه المورد؛ لأن مورده اللسان والجنان والأركان. قال الشاعر:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً ... يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ المُحَجَّبَا

وأخص من جهة المتعلق، لأن متعلقه الصفات الفواضل فقط.

و«**القديم**»[1] نعت لله تعالى، وهو الذي لم يسبق وجودَه عدمٌ.

وبرهانه أنه لو كان حادثًا ولم يكن قديمًا، لافتقر هو أيضًا إلى مُحْدِث، وافتقر مُحْدِثُهُ إلى مُحْدِث، فإمَّا تسلسل ذلك إلى ما لا نهاية، وما تسلسل لم يتحصل، أو ينتهي إلى مُحْدِث قديم هو الأول، وذلك هو المطلوب الذي سميناه «مُحْدِث العالم وبارئه».

«**الباقي**» مشتق من البقاء، وهو امتناع لحوق العدم.

والبقاء صفة واجبة لله، كما وجب له القدم؛ لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه[2].

---

(١) اسم «القديم» لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وما يطلق على الله سبحانه في باب الأسماء والصفات توقيفي. انظر: شرح العقيدة السفارينية للشيخ محمد العثيمين (ص ٣٤ ـ ٣٦).

(٢) لم يرد من أسماء الله تعالى «الباقي». انظر: شرح العقيدة السفارينية للشيخ محمد العثيمين (ص ٣٦).

«**مسبِّب الأسباب**» المتوصل بها إلى مسبباتها.

وفي نسخة «**مقدِّر الآجال**» وهي أولى لأمرين:

الأول: أن المقدِّر من صفات أفعاله المعبَّر عنها بالفواضل. وفي نسخة بدل الآجال «الأقدار» وهي أعم.

والثاني: الدلالة على تقدير الآجال، جمع «أجل» محرَّكة: غاية الوقت في الموت، وحلول الدَّين، ومدة الشيء.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

و«**مقدر الأرزاق**» جمع رزق، بالكسر: ما يُنْتَفَعُ به من حلال وحرام.

حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ مَوْجُودُ قَامَتْ بِهِ الْأَشْيَاءُ وَالْوُجُودُ

قوله «**حَيٌّ**» أي: لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا.

والحياة صفة ذاتية حقيقية قائمة بذاته تعالى.

«**عليم**» بالسرائر والخفيات، التي لا يدركها علم خلقه «**قادر**» أي: ذو القدرة التامة «**موجود**»(١) بالوجود القديم؛ لأن العالم وكل جزء من أجزائه حادث ومفتقر من حيث وجوده وعدمه إليه تعالى «**قامت**» أي: وجدت واستمرت به سبحانه وتعالى «**الأشياء**» كلها، من الجواهر والأعراض، وقام به الوجود لكل موجود سواه. فوجود الباري قديم، ووجود غيره جائز محدث بإحداث الخالق الحكيم.

---

(١) كلمة «موجود» يغني عنها قوله «حيّ» وكلمة «موجود» ليست من الصفات الكاملة؛ لأن الموجود قد يكون ناقصًا، وقد يكون كاملًا، ويصح أن نخبر عن الله بأنه موجود لكن لا نسميه بذلك. انظر: شرح العقيدة السفارينية للشيخ محمد العثيمين (ص ٣٩).

٣ ـ دَلَّتْ عَلَى وُجُودِهِ الحَوَادِثُ سُبْحَانَهُ فَهْوَ الحَكِيمُ الْوَارِثُ

قوله: «**دلت**» أي: دلالة عقلية قطعية على وجوده سبحانه وتعالى «**الحوادث**» جمع (الحادث) وهو خلاف القديم.

«**سبحانه**» اسم بمعنى التسبيح، الذي هو التنزيه «**فهو**» تعالى «**الحكيم**» أي: المتقن لخلق الأشياء بحسن التدبير وبديع التقدير «**الوارث**» أي: الباقي بعد فناء خلقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

٤ ـ ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَرْمَدًا عَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى كَنْزِ الهُدَى

٥ ـ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَبْرَارِ مَعَادِنِ التَّقْوَى مَعَ الأَسْرَارِ

قوله: «**ثم الصلاةُ**» هي من الله الرحمة[(١)]، ومن الملائكة الاستغفار، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير.

و«**السلام**» بمعنى التحية والسلامة من النقائص والرذائل.

قال ابن الجوزيّ[(٢)]: وأما الجمع بين الصلاة والسلام، فهو الأولى والأكمل والأفضل، لقوله تعالى: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة[(٣)].

«**سرمداً**» أي: دائمًا «**على النبي**» وهو إنسان أوحي إليه بشرع، وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضًا «**المصطفى**» أي: المختار.

---

(١) الصحيح ما قاله أبو العالية: صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه في الملأ الأعلى. رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم.

(٢) كذا بالأصل، والصواب: «ابن الجزري».

(٣) مفتاح الحصن الحصين (ق ٢٧).

وفي «**صحيح مسلم**» عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ**»[(١)].

ورواه الترمذيُّ، ولفظه «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[(٢)].

«**كنز الهدى**» أي: مَعدِن الرشاد.

و«**الصلاة والسلام على آله**» أي: أتباعه على دينه.

ولذا قال نَشْوَانُ[(٣)]:

آلُ النبيِّ هم أتباع مِلَّتِهِ   من الأعاجم والسودان والعربِ
لو لم يكن آله إلا قرابته   صلى المصلِّي على الطاغي أبي لهبِ

«**وعلى صحبه**» اسم جمع لـ«صاحب» والمراد به هنا الصحابي، وهو من اجتمع بالنبيِّ مؤمنًا به، ولو لحظة، ومات على ذلك[(٤)].

و«**الأبرار**» جمع بارٍّ، وهو الصادق، والكثير البر، والصدق في اليمين.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ (رقم ٢٢٧٦).
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ (رقم ٣٦٠٥) وقال: حديث حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح، دون الاصطفاء الأول.
(٣) هو: نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني الحِمْيَري أَبُو سعيد. الفَقِيه النَّحْويّ اللّغَوِيّ. صاحب كتاب «شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم». توفّي في حدود سنة ثمانين وخمسمائة (البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١/ ٣٠٣).
(٤) شرح التبصرة والتذكرة (٢/ ١٢٠).

«**معادن**» جمع معدن: الموضع الذي تستخرج منه جواهر الأرض. أي: هم مستقر التقوى ومواضعها.

والتقوى: التحرز بطاعة الله عن مخالفته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، مع الأسرار الرفيعة والأحوال البديعة.

٦ ـ وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ الْعِلْمِ   كَالْفَرْعِ لِلتَّوْحِيدِ فَاسْمَعْ نَظْمِي
٧ ـ لِأَنَّهُ الْعِلْمُ الَّذِي لاَ يَنْبَغِي   لِعَاقِلٍ لِفَهْمِهِ لَمْ يَبْتَغِ

قوله «**وبعدُ**» هذه كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى غيره. أي: بعد الحمدلة والصلاة والسلام.

«**فاعلم**» أمر من العلم، وهو صفة يميِّز المتّصفُ بها بين الجواهر والأعراض.

«**أن كل العلم**» أي: سائر العلوم الشرعية، وكذا العقلية، كالفرع لعلم التوحيد المتفرع عليه والناشئ عنه.

والتوحيد ثلاثه أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الصفات.

فتوحيد الربوبية: أن لا خالق ولا رازق إلا الله.

وتوحيد الإلهية: إفراده تعالى بالعبادة.

وتوحيد الصفات: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ نفيًا وإثباتًا.

«**فاسمع**» سماع فهم وإذعان «**نظمي**» لأمهات مسائله «**لأنه**» أي: علم التوحيد.

«**العلم**» العظيم «**الذي لا ينبغي**» أي: لا يحسن لشخص بالغ

عاقل من بني آدم، ذكرًا أو أنثى «**لفهمه**» أي: إدراك صور معرفته في ذهنه «**لم يبتغ**» أي: لم يطلبه ليكون في إيمانه على بصيرة.

٨ ـ فَيَعْلَمُ الْوَاجِبَ وَالْمُحَالاَ كَجَائِزٍ فِي حَقِّهِ تَعَالَى

قوله: «**فيعلم الواجب**» أي: يجب شرعًا على كل مكلف أن يعرف ما يجب لله تعالى، وهو ما لا يتصور في العقل عدمه، كوجوده تعالى ووجوب قِدَمِهِ.

ويعلم المُحَالَ: وهو ما لا يتصور في العقل وجوده، كالشريك له تعالى.

(ك) ما يجب على كل مكلف أن يعلم لكل حكم (جائزٍ)، وهو ما يصح في نظر العقل وجودُهُ وعدمُهُ على السواء، كإرسال الرسل، وإنزال الكتب في حقه تعالى وتقدس، ومثل ذلك لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

وسيأتي تفصيل ذلك في محله.

٩ ـ وَصَارَ مِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْتَنُوا فِي سَبْرِ ذَا بِالنَّظْمِ
١٠ ـ لِأَنَّهُ يَسْهُلُ لِلْحِفْظِ كَمَا يَرُوقُ لِلسَّمْعِ وَيَشْفِي مِنْ ظَمَا

قوله: «**وصار**» أي: في هذه الأزمنة.

«**من عادة أهل العلم**» بالسنة «**أن يعتنوا**» أي: يشتغلوا ويهتموا «**في سبر**» أي: تتبع «**ذا**» أي: هذا العلم «**بالنظم**» لسهولة حفظه.

ولهذا قال «**لأنه**» أي: المنظوم «**يسهل**» أي: يلين للحفظ والعلوق في الحافظة «**كما**» أنه «**يروق**» أي: يحسن للسمع لكونه ينبسط له ويلتذ بسماعه «**ويشفي**» أي: يُبرئ «**من ظما**» أي: عطش واشتياق إلى معرفة أصول علم التوحيد. وفيه استعارة مصرِّحة.

١١ ـ فَمِنْ هُنَا نَظَمْتُ لِي عَقِيدَهْ أُرْجُوزَةً وَجِيزَةً مُفِيدَهْ
١٢ ـ نَظَمْتُهَا فِي سِلْكِهَا مُقَدِّمَهْ وَسِتُّ[1] أَبْوَابٍ كَذَاكَ خَاتِمَهْ

قوله: «**فمن هنا**» أي: من أجل ما ذكرنا من فائدة النظم.

«**نَظَمْتُ**» أي: أَلَّفْتُ لي ولمن كان مثلي من متبعي السلف الصالح «**عقيدة**» سلفية أثرية «**أرجوزة**» أي: من بحر الرَّجَز، أحد بحور الشعر الستة عشر.

«**وجيزة**» أي: قليلة الألفاظ، ولكنها كثيرة المعاني «**مفيدة**» أي: مربحة من قرأها.

«**نظمتها**» أي: نظمت مسائلها «**فِي سِلْكِهَا**» أي: خيطها «**مقدِّمة**» بكسر الدال على الأفصح «**وستة أبواب**» جمع باب، وهو في العرف: اسم لطائفة من العلم يشتمل على فصول وفروع ومسائل غالبًا «**كذاك**» يشتمل أيضًا على «**خاتمة**» وهي عاقبة الشيء وآخرته.

١٣ ـ وَسَمْتُهَا بِالدُّرَةِ الْمُضِيَّةِ فِي عَقْدِ أَهْلِ الْفِرْقَةِ الْمَرْضِيَّةِ

قوله: «**وَسَمْتُهَا**» من السِّمَة، وهي العلامة، أي: أسميتها. يعني عقيدته «**بالدُّرَّة**» أي: اللؤلؤة «**المضية**» أي: المنورة «**في عقد**» أي: اعتقاد «**أهل الفرقة**» أي: الطائفة المرضية في اعتقادها.

١٤ ـ عَلَى اعْتِقَادِ ذِي السَّدَادِ الْحَنْبَلِي إِمَامِ أَهْلِ الحَقِّ ذِي الْقَدْرِ الْعَلِي
١٥ ـ حَبْرِ المَلَا فَرْدِ الْعُلَا الرَّبَّانِي رَبِّ الْحِجَى مَاحِي الدُّجَى الشَّيْبَانِي

قوله: «**على اعتقاد**» متعلق بـ«نظمت».

(١) كذا بالأصل، والصواب أن تكون مؤنثة: «ستة» كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ لكنه ذكَّرها لضرورة الوزن، ويمكن تأنيثها أيضًا ومراعاة الوزن؛ وذلك بحذف الهمزة، فتصبح «وستةُ ابواب».

والاعتقاد: حكم الذهن الجازم، فإن كان مطابقًا للواقع فهو صحيح، وإلا فهو فاسد.

و«**ذي**» بمعنى صاحب.

و«**السَّدَاد**» بفتح السين المهملة؛ أي القصد في الدين والاستقامة.

والمراد به **إمامنا أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل المروزي ثم البغدادي الحنبلي**، نسبة إلى جدِّه أبي أبيه «حنبل»[١].

«**إمام أهل الحق**» الذين هم الفرقة الناجية؛ لاعتصامهم بالكتاب والسنة «**ذي**» أي: صاحب «**القَدْر**» أي: المقدار «**العَلِيّ**» أي: المرتفع لكثرة فضائله.

قال الإمام الشافعيُّ: خرجت من بغداد، وما خلفت فيها أحدًا أتقى، ولا أورع، ولا أفقه، ولا أعلم من أحمد بن حنبل[٢].

«**حَبْر المَلَا**» الحَبْرُ، بفتح الحاء المهملة وكسرها وسكون الموحدة: العالم المتقِن. والمَلَأ: أشراف الناس.

«**فرد**» أي: واحد «**العُلَا**» السامية «**الرباني**» هو الذي يربِّي بصغار العلم قبل كباره. كما في «صحيح البخاري»[٣].

وقال ابن عباس: الربانيّ هو المعلِّم.

أخذه من التربية، أي: يربِّي الناس كما يربِّي الطفلَ أبوه.

---

(١) تمام نسبه «أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان».

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٩٣).

(٣) لفظ البخاري: يُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ: الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل).

«رَبّ» أي: صاحب «**الحِجَا**» أي: العقل «**ماحي**» بنور السُّنَّة «**الدُّجَى**» أي: ظلمة البدعة «**الشيباني**» نسبة إلى «شيبان» أحد أجداده.

١٦ ـ فَـإِنَّـهُ إِمَـامُ أَهْـلِ الْأَثَـرِ فَـمَـنْ نَـحَـا مَـنْـحَـاهُ فَـهْـوَ الْأَثَـرِي

قوله: «**فإنه**» أي: الإمام أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إمام وقدوة «**أهل**» أي: أصحاب «**الأثر**» يعني: الذين يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله في كتابه أو في سنة نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ما ثبت عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

«**فمن**» أي: الإنسان «**نحا**» أي: قصد «**منحاه**» أي: مقصده ومذهبه «**فهو**» أي: ذلك الذاهب مذهب أحمد، الذي هو أحمدُ مذهَبٍ «**فهو الأثري**» المنسوب إلى العقيدة الأثرية، ويعرف بمذهب السلف، وعليه اعتقاد الأئمة المعتبرين، كالأئمة الأربعة وغيرهم، من كل إمام معتبر، **حتى الأشعري تاب من عقيدته التي كان عليها**، ورجع إلى مذهب السلف، كما صرح هو بذلك في كتاب «الإبانة»[(١)]. وأما المنتسبون إليه الآن فقد رماهم الله بالجهل، حتى اعتقدوا التجهم من حيث لا يشعرون.

---

(١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة**:

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا، عَزَّ وَجَلَّ، وبسنة نبينا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم. وجملة قولنا...» وساق عقيدة أهل السنة والجماعة (الإبانة ١/ ٢٠ ـ ٢١).

وإنما نسب هذا المذهب الأحمدي لإمامنا أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **لأنه هو الذي قاوم أهل البدع، حتى أظهره الله عليهم ونصر به دينه.**

كما قال عليُّ بن المدينيّ: إن الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث؛ أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة[1].

قال أبو حاتم: إذا رأيت الرجل يحب الإمام أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة[2].

وقال عليّ بن أعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَضْحَى ابْنُ حَنْبَلَ حُجَّةً مَبْرُورَةً ... وَبِحُبِّ أَحْمَدَ يُعْرَفُ الْمُتَنَسِّكُ
وَإِذَا رَأَيْتَ لِأَحْمَدٍ مُتَنَقِّصًا ... فَاعْلَمْ بِأَنَّ سُتُورَهُ سَتُهَتَّكُ[3]

قال عبدالوهاب الوراق: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل. قالوا له: وأي شيء بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت؟ قال: رجل سئل عن ستين ألف مسألة، فأجاب فيها بأن قال: حدثنا، وأخبرنا، ورُوِّينا.

وإلى هذا أشار الإمام الصَّرْصَرِيُّ[4] في «لاميَّتِهِ» بقوله يمدح الإمام أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

حوى ألف ألف من أحاديث أُسندت ... وأثبتها حفظًا بقلب محصل
أجاب على ستين ألف قضية ... بأخبرنا لا عن صحائف نُقَّلِ

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٩٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٦/ ٢٦٥).
(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٩٤).
(٤) هو: جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبدالسلام البغدادي الضرير الحنبلي اللغوي المعروف بالصرصري. توفي سنة ست وخمسين وستمائة.

وهذه منقبة لا يُعلَم أحدٌ من الأئمة فعلها، وقد سئل كثير منهم عن معشار عشر ذلك فأحجم عن الجواب عن أكثرها.

وقال عليُّ بن المدينيّ: اتخذت أحمد إمامًا فيما بيني وبين الله[(١)].

ولد سيدنا الإمام أحمد في شهر ربيع الأول، سنة أربع وستين ومائة، ببغداد، وتوفي نهار الجمعة، من شهر ربيع الأول، لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، سنة إحدى وأربعين ومائتين[(٢)]. وغسَّله المَرْوَزِيُّ رحمه الله تعالى.

١٧ - سَقَى ضَرِيحًا حَلَّهُ صَوْبُ الرِّضَا وَالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ مَا نَجْمٌ أَضَا
١٨ - وَحَلَّهُ وَسَائِرَ الْأَئِمَّةِ مَنَازِلَ الرِّضْوَانِ أَعْلَى الْجَنَّةِ

قوله: «**سقى ضريحًا**» أي: قبرًا «**حَلَّهُ**» أي: سكنه الإمام أحمد «**صوب**» فاعل (سقى) أي: غيث «**الرضا**» أي: رضوان الله تعالى. وصوب العفو والصفح من الله «**والغفران**» أي: ستر الذنوب والتجاوز عنها «**ما نجم**» أي: كوكب «**أضا**» أي: استنار «**وحَلَّهُ**» أي: سيدنا الإمام أحمد «**وسائر**» أي: بقية الأئمة من علماء الأمة «**منازل الرضوان**» من الله تعالى «**أعلى الجنة**» أي: الدرجات العالية.

و«أعلى» يجوز أن يكون مرفوعًا، خبر مبتدأ محذوف، تقدير: التي هي أعلى الجنة. وأن يكون منصوبًا على البدلية، أو مفعولًا لفعل محذوف، تقديره: أعني. والله أعلم.



---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٩٤).
(٢) تاريخ بغداد (٦/ ١٠٠).

مقدمة
في ترجيح مذهب السلف
على مذهب الخلف

وهي اسم فاعل من «قدم» بمعنى «تقدم».

وهي **قسمان**: مقدمة علم، ومقدمة كتاب.

فمقدمة العلم: ما يتوقف الشروع فيه عليها. كمعرفة حده ورسمه وموضوعه وغايته.

ومقدمة الكتاب تقال لطائفة من كلام قدمت أمام المقصود منه لارتباط بها وانتفاع بها فيه. وما هنا من هذا القبيل.

١٩ ـ اعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّهُ جَاءَ الْخَبَرْ ... عَنِ النَّبِيِّ الْمُقْتَفَى خَيرِ الْبَشَرْ

٢٠ ـ بِأَنَّ ذِي الْأُمَّةَ سَوْفَ تَفْتَرِقْ ... بِضْعًا وَسَبْعِينَ اعْتِقَادًا وَالْمُحِقْ

٢١ ـ مَا كَانَ فِي نَهْجِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ... وَصَحْبِهِ مِنْ غَيْرِ زَيْغٍ وَجَفَا

قوله: «**اعلم**» فعل أمر و«**هديت**» جملة دعائية «**أنه**» أي: الأمر والشأن «**جاء الخبر**» يعني: الحديث «**عن النبيِّ المقتفى**» أي: المتبَع «**خير البشر**» بل: جميع الخلق ﷺ «**بأن ذي**» أي: هذه الأمة المحمدية «**سوف**» أي: ستفترق فيما بعد «**بضعًا**» أي: إلى بضع وسبعين فرقة. والبضع: ما بين الثلاثة إلى التسعة «**اعتقادًا**» أي: افتراقهم لأجل

الاعتقاد. وإنما «**المُحِقُّ**» من جميعها طائفة واحدة، وهي «**ما كان**» سيرها «**في نهج**» أي: منهج النبيِّ المصطفى. وهو نبينا محمد ﷺ ونهج صحبه رضوان الله عليهم.

«**من غير زيغ**» أي: ميل وانحراف. ومن غير جَفَا، بالجيم، أي: تَجَافٍ عن هديهم.

والجفاء بالمد: نقيض الصلة. ويُقصَر[(١)].

والمشار إليه في البيتين[(٢)] هو ما رواه الترمذيُّ عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتى عَلى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتى أُمَّهُ عَلانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً**» قَالُوا: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(٣)] وفي لفظ: «**هِيَ مَا كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**».

٢٢ ـ وَلَيْسَ هَذَا النَّصُّ جَزْمًا يُعْتَبَرْ فِي فِرْقَةٍ إِلاَّ عَلَى أَهْلِ الأَثَرْ

قوله: «**وليس هذا النص**» أي: المذكور «**جزمًا**» أي: من جهة الجزم واليقين «**يعتبر في فرقة**» أي: لا ينطبق ولا يصدق على واحدة من الثلاث والسبعين «**إلا على**» فرقة «**أهل الأثر**» وما عداهم من سائر الفرق فقد حكَّموا العقول الفاسدة، وخالفوا المنقول عن معدن النبوة الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

---

(١) أي: يقال «جفا» و«جفاء».
(٢) أي: البيتين الأخيرين.
(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة (رقم ٢٦٤١) وحسنه الألباني.

٢٣ ـ فَأَثْبَتُوا النُّصُوصَ بِالتَّنْزِيهِ مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلاَ تَشْبِيهِ[(١)]

قوله: «فأثبتوا» يعني: أهل الأثر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، متمسكين بالتنزيه لله تعالى، من غير تعطيل للصفات الواردة في الكتاب والسنة، وهو نفيها عنه تعالى، فإن المعطِّلين لم يفهموا من أسمائه تعالى وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فجمعوا بَيْنَ التمثيل والتعطيل، بخلاف سلف الأمة فإنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تشبيه، تعالى الله عن ذلك، فإنه قال في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فرد على المشبِّهة بنفي المثلية، ورد على المعطِّلة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

ويرحم الله الإمام ابن القيم حيث قال في «نونيته»:

لسنا نشبِّه وصفه بصفاتنا ... إن المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه من أوصافه ... إن المعطل عابد البهتان
من مثَّل الله العظيم بخلقه ... فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عطل الرحمن من أوصافه ... فهو الكفور وليس ذا إيمان[(٢)]

٢٤ ـ فَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الْآيَاتِ ... أَوْ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ عَنْ ثِقَاتِ
٢٥ ـ مِنَ الْأَحَادِيثِ نُمِرُّهُ كَمَا ... قَدْ جَاءَ فَاسْمَعْ مِنْ نِظَامِي وَاعْلَمَا

قوله: «فكل ما جاء» أي: عن الله تعالى من الآيات القرآنية، أو صحَّ مجيئه في الأخبار بالأسانيد الصحيحة، بخلاف الضعيفة فإن

(١) مراد المؤلف، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بالتشبيه: التمثيل، فليس في القرآن ولا في السنة نفي التشبيه، وإنما الوارد نفي التمثيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. شرح العقيدة السفارينية للعثيمين (ص ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) الكافية الشافية (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

وجودها كعدمها، فلا بد من أن تكون الأخبار عن رواةٍ ثقاتٍ في النقل من الأحاديث والآثار، مما يوهم تشبيهًا، فهو من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله[١] نؤمن به، وبأنه من عند الله، ونُمِرُّهُ كما قد جاء عنه تعالى أو عن رسوله[٢]. فمذهب السلف عدم الخوض في هذا، والسكوت عنه، وتفويض علمه إلى الله[٣].

قال ابن عباس: هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر[٤].

وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين[٥].

وأما أهل التأويل فأَبوا إلا أن يفسِّروا ويؤوِّلوا، حتى خالفوا سلف الأمة وأئمتها، وابتدعوا في ذلك، وكل بدعة ضلالة.

«**فاسمع**» سماع إذعان من منطوق «**نظامي**» ومفهومه «**واعلَمَا**» أي: اعلم ذلك علم تحقيق. والألف بدل عن نون التوكيد الخفيفة.

---

(١) هذا قول باطل لم يقل به أحد من السلف، كما قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٧٣): «ما أخبر به الرب عن نفسه، مثل استوائه على عرشه وسمعه وبصره وكلامه، وغير ذلك، فإن كيفيتها لا يعلمها إلا الله» اهـ. أما القول بأن معاني أسماء الله وصفاته من المتشابه فهو قول باطل.

(٢) لأنها ألفاظ دالة على معانٍ، فنُمِرُّها كما جاءت، فلا نحرف الكلم عن مواضعه، بل نجريه على ظاهره، ونعتقد أن له معاني حقيقية، ونفسره ونبينه كما بينه السلف. انظر: حاشية على السفارينية للشيخ عبدالرحمن بن قاسم.

(٣) هذا وهم من الشيخ، والصحيح أن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات ومعانيها، فهم يثبتون ما أثبته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله، ويفوضون الكيفية.

(٤) تفسير القرطبي (١/ ١٥٤).

(٥) قال العلامة ابن سحمان: هذا القول الذي نسبه الشارح لابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره من الصحابة، إن كان صحيحًا ثابتًا فليس معناه ما توهمه الشارح من أن نصوص الكتاب والسنة الواردة في أسماء الله وصفاته مما يوهم تشبيهًا، فيكون من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وأنه مما لا يعقل معناها وأنها لا تفسر. وقال أيضًا: من المعلوم أن ابن عباس وغيره من الصحابة وأئمة السلف كانوا يفسرون ما تشابه من القرآن، يعلمون معنى ذلك ولم يسكتوا عن بيان ذلك. انتهى.

٢٦ ـ وَلاَ نَـرُدُّ ذَاكَ بِـالْـعُـقُـولِ لِـقَـوْلِ مُـفْـتَـرٍ بِـهِ جَـهُـولِ
٢٧ ـ فَعَقْدُنَا الْإِثْبَاتُ يَا خَلِيلِي مِـنْ غَـيْـرِ تَـعْـطِـيـلٍ وَلاَ تَـمْـثِـيـلِ

قوله: «**ولا نرد ذاك**» أي: الوارد في الكتاب والسنة «**بالعقول**» بضرب من التأويل، لأجل قول إنسان «**مفتر**» أي: كاذب به، أي بذلك القول «**جهول**» لمخالفة المنقول والمعقول.

«**فعَقْدُنا**» أهلَ السنة والجماعة «**الإثبات**» للأسماء والصفات كما وردت «**يا خليلي**» من الخُلَّة، وهي نهاية المحبة. والمراد به هنا الموافق على مذهب السلف «**من غير تعطيل**» لها عن حقائقها «**ولا تمثيل**» لها بصفات المخلوقين، فالممثِّل يعبد صنمًا، والمعطِّل يعبد عدمًا، والمُثْبِتُ يعبد رب الأرض والسماء.

٢٨ ـ فَكُلُّ مَنْ أَوَّلَ فِي الصِّفَاتِ كَـذَاتِـهِ مِـنْ غَـيْـرِ مَـا إِثْـبَـاتِ
٢٩ ـ فَقَدْ تَعَدَّى وَاسْتَطَالَ وَاجْتَرَى وَخَاضَ فِي بَحْرِ الهَلاَكِ وَافْتَرَى

قوله: «**فكلُّ من أوَّل في الصفات**» أي: الثابتة لله تعالى.

والمراد بالتأويل هنا أن يُراد باللفظ ما يخالف ظاهره، أو صرفُ اللفظ عن ظاهره لمعنًى آخر، أو عن حقيقته لمجازٍ، وهو في آيات الصفات من المنكرات عند أئمة الدين، فحيث أثبتنا ذاتًا لا تشبه الذوات، فما المانع من إثبات صفاتٍ لا تشبه صفات المحدَثات! فالكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، فصفاته تعالى قديمة ثابتة كذاته تعالى، فليس لنا أن نتأوَّل في الصفات ولا في الذات من غير ما إثبات عن صاحب الشرع وأصحابه.

و«**ما**» زائدة لتأكيد النفي.

«**فقد تعدَّى**» ذلك المؤوِّل طوره واستطال على السلف «**واجترى**» أي: تشجع وافتأت حده في ترك الاتِّباع للسلف الصالح «**وخاض**»

أي: اقتحم «**في بحر الهلاك**» أي: الموت «**وافترى**» أي: كذب على الله بتحريفه وتمثيله وتعطيله وتأويله.

ولله دَرُّ القائل:

وقُصَارَى أَمْرِ مَن أوَّل   أن ظنوا ظنونا
فيقولون على الرحمن   ما لا يعلمونا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، في «الفتوى الحموية» بعد كلام مفيد: ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين، كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها، من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، فإن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة[(١)] اهـ المراد.

٣٠ ـ أَلَمْ تَرَ اخْتِلَافَ أَصْحَابِ النَّظَرْ   فِيهِ وَحُسْنَ مَا نَحَاهُ ذُو الْأَثَرْ
٣١ ـ فَإِنَّهُمْ قَدِ اقْتَدَوْا بِالمُصْطَفَى   وَصَحْبِهِ فَاقْنَعْ بِهَذَا وَكَفَى

قوله: «**ألم تر اختلاف أصحاب النظر**» يعني: نُظَّار المتكلمة من سائر الفرق ورد بعضهم على بعض.

«**فيه**» أي: في نظرهم، فيزعم كل فريق أنه مُحِقٌّ، فيأتي الآخر فينقض كلامه ويبطله ويرميه بالزندقة والإلحاد، فكل فرقة تضلل الأخرى.

وما أحسن ما قيل[(٢)]:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كالزجاج تَخَالُها   حَقًّا وكلٌّ كاسر مكسور

---

(١) الفتوى الحموية (١/ ١٨٥، ١٩١).
(٢) عزاه شيخ الإسلام ابن تيمية للخطابي (مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨).

و«**ألم تر حُسْنَ ما**» أي: المذهب الذي ذهبه والمنحى الذي «**نَحَاهُ**» أي: قصده «**ذو**» أي: صاحب «**الأثر**» من سلوك الصراط المستقيم «**فإنهم**» أي: أهل الأثر «**قد اقتَدَوا**» فيما اعتقدوا بالنبيِّ «**المصطفَى**» ﷺ واقتَدَوا مِن بعده بصحبه الذين صحبوه ونقلوا عنه الشريعة، بخلاف أهل التعطيل، فإنهم قد اقتَدَوا بتلامذة اليهود والمشركين، وضُلَّال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه في الإسلام أنه قال: (إن الله سبحانه ليس على العرش حقيقة، وإنما استوى بمعنى استولى) الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة «الجهمية» إليه.

وقد قيل: إن الجعد أخذها عن أبانَ بن سمعان، وأخذها أبانُ عن طالوتَ ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم الساحر الذي سحر الرسول ﷺ.

ذكر ذلك شيخ الإسلام في «الحموية»[(١)] وغيرها من كتبه المفيدة النافعة.

«**فاقنَعْ**» أي: ارضَ «**بهذا**» البيان «**وكفى**» بأئمة السلف قدوةً، فقد تبين أنهم اقتَدَوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن خالفهم فقد اقتدى بتلامذة اليهود والمشركين وضُلَّال الصابئين، كما تقدم.



---

(١) الفتوى الحموية (١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٥).

الباب الأول
في معرفة الله تعالى

٣٢ ـ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ بِالتَّسْدِيدِ
٣٣ ـ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ لاَ نَظِيرَ لَهُ وَلاَ شِبْهَ وَلاَ وَزِيرَ

قوله: «**أول واجب**» أي: شرعًا «**على العبيد**» جمع عبد، والمراد به المكلف بالنظر «**معرفة الإله**» سبحانه وتعالى. وهي عبارة عن معرفة وجوب وجود ذاته بصفات الكمال، فيما لم يزل ولا يزال، دون معرفة حقيقة ذاته وصفاته، لاستحالة ذلك.

«**بالتسديد**» أي: التقويم. يعني بالنظر الصائب في الوجود والموجود، والنظر يجب قبلها لتوقفها عليه، فهو أول واجب لغيره.

ثم اعلم أن الناظم رحمه الله تعالى وافق من يقول: إن معرفة الله تعالى نظرية.

والصحيح أنها فطرية ضرورية.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وفي «**الصحيحين**» عن أبي هريرة مرفوعًا: «**كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرةِ...**» الحديث[(١)].

وفي «**صحيح مسلم**» عن عياض الأنصاريِّ[(٢)]، في الحديث القدسيِّ: «**خَلَقْتُ عبادي حُنَفاءَ مسلمين...**» الحديث[(٣)].

فالفطرة المراد بها الإسلام. كما قاله أبو هريرة وابن شهاب[(٤)].

وسئل مجاهد عن الفطرة فقال: هي الإسلام[(٥)]. وكذا قال قتادة.

ثم قال مجاهد: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ قال: لا تبديل لدين الله[(٦)].

وقاله سعيد بن جبير وقتادة والنخعيُّ[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (رقم ١٣٥٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب: معنى «كل مولود يولد على الفطرة» (رقم ٢٦٥٨) والحديث ذكره المصنف بمعناه، ولفظه: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**».

(٢) المعروف في نسبه أنه تميمي مجاشعي من تميم بن مرة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (رقم ١٣٥٨) والحديث ذكره المصنف بمعناه، ولفظه: «**أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**».

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (رقم ١٣٥٨) ولفظه: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَوْلُودٍ مُتَوَفًّى، وَإِنْ كَانَ لِغَيَّةٍ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلاَمِ، يَدَّعِي أَبَوَاهُ الإِسْلاَمَ، أَوْ أَبُوهُ خَاصَّةً، وَإِنْ كَانَتْ أُمُّهُ عَلَى غَيْرِ الإِسْلاَمِ، إِذَا اسْتَهَلَّ صَارِخًا صُلِّيَ عَلَيْهِ، وَلاَ يُصَلَّى عَلَى مَنْ لاَ يَسْتَهِلُّ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سِقْطٌ.

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٤٩٣).

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٤٩٤).

(٧) تفسير الطبري (١٨/ ٤٩٥).

وكلام السَّلف في ذلك كثير يصعب استيفاؤه.

قال الإمام أحمد في رواية المروزيِّ: معرفة الله تعالى في القلب تتفاضل وتزيد.

وهذا يدل على أن المعرفة أصلها في القلب فطرية، ثم إنها تزيد وتتمكن بتظاهر الأدلة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة: ذهب طوائف من النُّظَّار إلى أن معرفة الله واجبة، ولا طريق إليها إلا بالنظر، فأوجبوا النَّظَرَ على كل أحد. وهذا القول إنما اشتهر في الأمة عن المعتزلة ونحوهم، ولهذا قال أبو جعفر السِّمْنَانِيُّ(١) وغيره: إيجاب الأشعريِّ النظرَ في المعرفة بقيةٌ بَقِيَتْ عليه من الاعتزال(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله تعالى عنه: والذين أوجبوا النظر ليس معهم ما يدل على عموم وجوبه، إنما يدل على أنه قد يجب، فإنهم قالوا: الواجب لا يحصل إلَّا به، لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ الآية [يونس: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ [سبأ: ٤٦]، وقوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاحدين، فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به.

قال بعض العلماء: يجب النظر في حال دون حال، وعلى

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمود أبو جعفر القاضي السمناني.
كان ثقة عالمًا فاضلًا سخيًّا حسن الكلام، يعتقد في الأصول مذهب الأشعري. ولد سنة إحدى وستين وثلاثمائة، ومات سنة أربع وأربعين وأربعمائة (تاريخ بغداد ٢/ ٢١٧ رقم ٢٣٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٧).

شخص دون شخص. فوجوبه من العوارض لا من اللوازم العامة، فيجب على من فسدت فطرته واحتاج إلى النظر، وأما من حصلت له المعرفة بدون النظر ولم تفسد فطرته، فليس بواجب عليه. والله أعلم.

ومن أراد **تحقيق هذه المسألة** فعليه برسالة العلامة الشيخ محمد بن محمد بن محمد المَنْبِجِيِّ[1]، تلميذ ابن قاضي الجبل[2]، فقد كتب رسالة خاصَّة في الكلام على الفطرة أفاد فيها وأجاد .**وكذا «شرح الأصفهانية»** لشيخ الإسلام ابن تيمية، وغالب مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

فيجب على كل مكلف أن يعرف الله تعالى بصفات الكمال، ويجزم بأنه سبحانه وتعالى «واحد» لا يتجزأ ولا ينقسم[3] أَحَدٌ لا من عدد، فرد صمد.

«**لا نظير**» أي: لا مثيل له «**ولا شبه**» له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا شريك له في ملكه «**ولا وزير**» أي: معين له. تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

٣٤ ـ صِفَاتُهُ كَذَاتِهِ قَدِيمَهْ أَسْمَاؤُهُ ثَابِتَةٌ عَظِيمَهْ
٣٥ ـ لَكِنَّهَا فِي الحَقِّ تَوْقِيفِيَّهْ لَنَا بِذَا أَدِلَّةٌ وَفِيَّهْ

قوله: «**صفاته**» جلَّ جلاله، أي: الذاتية والفعلية والخبرية

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد شمس الدين المنبجي الحنبلي. سكن الصالحية بدمشق.

(٢) هو: أحمد بن الحسن بن عبدالله بن قدامة، شرف الدين، ابن قاضي الجبل: شيخ الحنابلة في عصره. توفي سنة إِحْدَى وَسبعين وَسَبْعمائة.

(٣) قال العلامة ابن سحمان: قول القائل بـ«أنه سبحانه وتعالى واحد لا يتجزأ ولا ينقسم» قول مبتدَع مخترَع لم يقله أحد من السلف، رضوان الله عليهم، وليس مذكورًا في عقائد أهل السنة والجماعة، بل هو من جنس ما يذكره أهل البدع من قولهم «ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم» انتهى. وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١١٤).

«**كَذَاتِهِ**» عز شأنه «**قديمة**»[(١)] لا ابتداء لوجودها ولا انتهاء لها.

«**أسماؤه**» سبحانه «**ثابتة**» بالنص والعقل «**عظيمة**».

وصفها بذلك لكونها معظَّمة موصوفة بأنها حسنى.

والمراد بأسمائه تعالى ما دل على مجرد ذاته كـ«الله» أو باعتبار الصفة كـ«العالم والقادر» ولأسمائه الحسنى اعتباران: أحدهما من حيث الذات، والثاني من حيث الصفات. فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة.

«**لكنها**» أي: الأسماء الحسنى «**في**» القول «**الحق**» المعتمد «**توقيفية**» بنص الشرع وورود السمع بها، فلا يطلق على الله إلا ما أطلقه على نفسه، أو أطلقه عليه رسوله ﷺ.

«**لنا**» معشرَ أهل السنة «**بذا**» أي: باعتبار ثبوت التوقيف في أسماء الباري «**أدلة**» جمع دليل «**وفيّة**» عالية تُوفِي بالمقصود.

لأن ما لم يثبت عن الشارع لم يكن مأذونًا في إطلاقه عليه، والأصل المنع حتى يقوم دليل الإذن، فإذا ثبت كان توقيفًا.

٣٦ ـ لَهُ الْحَيَاةُ وَالْكَلَامُ وَالْبَصَرْ   سَمْعٌ إِرَادَةٌ وَعِلْمٌ واقْتَدَرْ
٣٧ ـ بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنِ   كَذَا إِرَادَةٌ فَعِي وَاسْتَبِنِ
٣٨ ـ وَالْعِلْمُ وَالْكَلَامُ قَدْ تَعَلَّقَا   بِكُلِّ شَيْءٍ يَا خَلِيلِي مُطْلَقَا
٣٩ ـ وَسَمْعُهُ سُبْحَانَهُ كَالْبَصَرِ   بِكُلِّ مَسْمُوعٍ وَكُلِّ مُبْصَرِ

---

(١) قال العلامة عبدالرحمن بن قاسم (ص ١١، ١٢): قوله «قديمة» فيه إجمال... ومذهب السلف أن الله قديم بجميع صفاته، لم يزل ولا يزال متكلمًا متى شاء، وفاعلًا متى شاء، ولم تزل الإرادات والكلمات تقوم بذاته، فكلام الله وقدرته وإرادته وغضبه ورضاه، وغير ذلك، قديمة النوع، حادثة الآحاد، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، وشهدت به العقول الصحيحة والفطر السليمة، والحس والمشاهدة. اهـ.

قوله: «**له**» سبحانه «**الحياة**» وهي صفة ذاتية ثبوتية قديمة أزلية، تقتضي صحة العلم والقدرة؛ لاستحالة قيامهما بغير الحي.

والحياة في حقه لا يجوز أن تكون بمعنى الحياة في حقنا؛ لأنها في حقنا قوة تتبع اعتدال النوع، وهذا في حقه محال، وهي لا تتعلق بشيء لا موجود ولا معدوم.

«**والكلام**» أي: يجب الجزم بأنه متكلم بكلام قديم[(١)] ذاتي وجودي، غير مخلوق ولا مُحدث ولا حادث، ولا يشبه كلام الخلق، منه بدأ وإليه يعود.

ومعنى قولهم (منه بدأ) أي: هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره. ولم يُرِدِ السلف أنه كلام فارَقَ ذاته، بل هو صفة له لا تفارقه.

ومعنى قولهم (وإليه يعود) أن القرآن يُسْرَى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف، ولا في القلب منه آية، كما جاء ذلك في الآثار[(٢)].

وصفة الكلام صفة ذات وفعل، فهو تعالى متكلم ويتكلّم بمشيئته وقدرته بحرف وصوت.

---

(١) أي: قديم النوع حادث الآحاد، يعني أن الله سبحانه لم يزل ولا يزال متكلمًا، ليس الكلام حادثًا منه، فهو سبحانه يتكلم بما شاء كيف شاء.

(٢) عن شَدَّادِ بْنِ مَعْقِلٍ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرَ مَا تَفْقِدُونَ الصَّلَاةُ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَنْزِلُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يُوشِكُ أَنْ يُرْفَعَ. قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ: كَيْفَ يُرْفَعُ وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي صُدُورِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا، فَلَا يُتْرَكُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي صَدْرِ رَجُلٍ وَلَا مُصْحَفٍ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] الْآيَةَ. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٠٥ رقم ٣٧٥٨٥)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٦٢ رقم ٥٩٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٤١ رقم ٨٧٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤٩ رقم ٨٥٣٨).

قال الحافظ ابن حجر: ومن نفَى الصوتَ يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحدًا من ملائكته ولا رسله كلامه، بل ألهمهم إياه إلهامًا(١).

ثم اعلم أن بعض الأغبياء(٢) ممن أعمى الله بصيرته نسب إلى الحنابلة أنهم يقولون: إن كلامه سبحانه عرَض من جنس الأصوات والحروف، وهو مع ذلك قديم. وهذا كذب عليهم، لم يقله أحد من أتباع الإمام أحمد، رحمه الله تعالى.

وأعظم فرية من ذلك أن بعض الجهمية نسب إلى الحنابلة أنهم يقولون بقدم الأوراق والجلد والمداد، وهذا من جنس ما قبله فلا تغترَّ به.

قال الإمام ابن القيم الحنبليُّ في «نونيته»(٣):

وكذلك القرآنُ عَيْنُ كلامِهِ الـ ... ـمسموعِ منه حقيقةً ببيانِ
هو قولُ ربِّي كلُّه لا بعضُهُ ... لفظًا ومعنًى ما هما خَلْقَانِ
تنزيلُ ربِّ العالمين وقولُهُ ... اللفظُ والمعنى بلا رَوَغانِ
لكنَّ أصواتَ العباد وفعلَهُم ... كمِدَادِهِم والرَّقِّ مخلوقانِ
فالصوتُ للقارِي ولكنَّ الكَلَا ... مَ كلامُ ربِّ العرش ذِي الإحسانِ
هذا إذا ما كان ثَمَّ وساطةٌ ... كقراءةِ المخلوق للقرآنِ
فإذا انتفت تلك الوساطة مثلما ... قد كلَّم المولودَ من عِمرانِ
فهنالك المخلوقُ نفسُ السمع لا ... شيءٌ من المسموع فافهَم ذانِ

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٥٨) وانظر: «لوامع الأنوار البهية (١/ ١٤٠).

(٢) يعني بذلك «عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبا حفص، نجم الدين النسفي» المتوفى سنة ٥٦٠ هـ وقاله في «العقائد النسفية» له.

(٣) الكافية الشافية (١/ ٣٨).

ويجب له سبحانه البصر، وهو صفة قديمة قائمة بذاته، يتعلق بالمبصَرَات، فيدرك بها إدراكًا تامًّا لا على سبيل التخيل والتوهم، ولا على سبيل تأثر حاسة.

وكذا يجب له تعالى سمعٌ، وهو صفة قديمة، يتعلق بالمسموعات.

وإثبات هاتَين الصفتَين ـ أعني السمع والبصر ـ للدلائل السمعية، وهما صفتان زائدتان على الذات، وليستا راجعتَين إلى العلم بالمسموعات والمبصَرَات، خلافًا للفلاسفة ومن وافقهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وعن أبي موسى الأشعريِّ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فكنا إذا عَلَونا كبَّرنا، فقال: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا**»(١).

ويجب له جل وعلا إرادة. ويرادفها (المشيئة)(٢) وهما عبارتان عن صفة في الحيِّ توجب تخصيص أحد المقدورَين في أحد الأوقات بالوقوع، مع استواء نسبة القدر إلى الكل.

ويجب له عَزَّ وَجَلَّ **(علم)** أي: يجب الجزم بأنه تعالى عالم بعلم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(رقم ٧٣٨٦) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر (رقم ٢٧٠٤).

(٢) قال العلامة عبدالله أبا بطين: قوله «إرادة ويرادفها المشيئة» هذا ليس على عمومه، فإن الإرادة عند أهل السنة تنقسم إلى قسمين: **إرادة كونية**. وهي التي ترادفها المشيئة، وهي التي في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الآية. **والقسم الثاني: إرادة شرعية**. وهذه يرادفها المحبة، وهي التي في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ والله أعلم. اهـ

واحد قديم ذاتيّ محيط بكل معلوم، كليّ أو جزئيّ، على ما هو عليه ليس بضروريّ، ولا كسبيّ، ولا نظريّ، ولا استدلاليّ.

ويجب له تعالى قدرة. وأشار إليها بقوله: «**واقتَدَر**» جل شأنه على إيجاد الموجودات وخلق الممكنات، وهي صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها.

واعلم أن أهل السنة يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من الصفات، أو أثبته له رسوله ﷺ ولا يَحْصُرُون ذلك بعدد.

وأما المتكلمة الصفاتية فيثبتون لله تعالى سبع صفات، وهي التي ذكرها المصنّف بقوله: **له الحياةُ والكلامُ والبَصَرْ**... الأبيات.

ثم أعقب ذلك بذكر متعلقاتها فقال:

«**تعلَّقت**» قدرته تعالى الأزلية القديمة الذاتية بكل «**ممكن**» وهو ما ليس بواجب الوجود ولا مستحيل الوقوع، ولم يوجد شيء ولن يوجد إلا بها «**كذا إرادة**» أي: مثلُ القدرة في التعلق بالممكنات الإرادةُ، وهي والقدرة غير متناهية المتعلقات، إلا أن تعلق القدرة بالممكنات تعلُّقُ إيجاد أو إعدام، وتعلق الإرادة بها تعلق تخصيص، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

«**فَعِي**» أمر من (وعاه يعيه) بمعنى حفظه وجمعه. أي: اجمع حواشي هذا الكلام واحفظه. وإثبات الياء لضرورة الشعر(١).

«**واستبن**» أي: اطلب البيان من مظانه.

(١) لأن الفعل المضاع منه (يعي) وعندما نأتي بالأمر منه نحذف ياء المضارعة، فيصير (عي) والأمر المعتل الآخر يجزم بحذف حرف العلة، فأصبح (عِ) وأثبتت الياء في آخره للحفاظ على وزن البيت.

وإنما أمر بالجمع والحفظ وطلب البيان، لاشتمال المقام على غموض، ولكثرة النزاع فيه.

«**والعلم**» أي: علم الله تعالى «**والكلام**» أي: كلامه سبحانه «**قد تَعَلَّقَا بكل شيء**» من الجائزات والواجبات والمستحيلات، ومعنى تعلق بالمستحيلات علمه باستحالتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن علم الله السابق محيط بالأشياء على ما هي عليه، ولا محو فيه ولا تغيير، ولا زيادة ولا نقصان، فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون[(١)].

قال: وأما ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ، فهل يكون فيه محو وإثبات؟ على قولين للعلماء[(٢)].

وقال: وأما الصحف التي بيد الملائكة فيحصل فيها المحو والإثبات[(٣)].

«**يا خليلي**» أي: صديقي «**مطلقًا**» عن التقييد بواحد من الثلاثة؛ الواجبات والجائزات والمستحيلات بل يعمها جميعها.

«**وسمعه**» سبحانه وتعالى «**كالبصر**» منه جل شأنه يتعلق «**بكل**» شيء «**مسموع و**» بصَر يتعلق بكل شيء «**مُبصَر**» فهو تعالى سميع بصير.

يعني أن هاتَين الصفتَين متحدتَا المتعلَّق، فيتعلقان بالموجود واجبًا كان أو ممكنًا، عينًا كان أو معنًى، كليًّا كان أو جزئيًّا، مجردًا كان أو ذا مادَّة، مركبًا أو بسيطًا.

---

(١) جامع المسائل (٤/ ٤٠٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩٢).
(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩٢).

فصل

في مبحث القرآن العظيم والكلام المنزَّل القديم

اعلم أن مذهب السلف الصالح في القرآن أنه كلام الله منزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم به الله صدقًا، وسمعه منه جبريل حقًّا، وبلَّغه محمدًا وحيًا. ولهذا قال:

٤٠ ـ وَأَنَّ مَا جَاءَ مَعَ جِبْرِيلِ ... مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ وَالتَّنْزِيلِ
٤١ ـ كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ الْقَدِيمُ ... أَعْيَا الْوَرَى بِالنَّصِّ يَا عَلِيمُ
٤٢ ـ وَلَيْسَ فِي طَوْقِ الْوَرَى مِنْ أَصْلِهِ ... أَنْ يَسْتَطِيعُوا سُورَةً مِنْ مِثْلِهِ

قوله: «**وأَنَّ**» أي: ونجزم أن «**ما**» أي: الوحي والكلام الذي «**جاء**» من الله تعالى «**مع جبريل**» الملَك المكرم، أمين الله على وحيه لأنبيائه ورسله «**من محكم القرآن**» العظيم «**والتنزيل**» أي: أنزله الله تعالى على نبيّه محمد ﷺ بواسطة جبريل، فهو عطف مرادف «**كلامه سبحانه**» وتعالى «**القديم**» حروفه ومعانيه غير مخلوق.

وقد أخبر تعالى بتنزيله وشهد بإنزاله، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣] وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، والآيات في ذلك أكثر من أن تحصى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، في قاعدته التي في بيان أن القرآن كلام الله تعالى ليس شيء منه كلامًا لغيره، لا جبريل ولا محمد ﷺ ولا غيرهما، قال: وفي قوله تعالى: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤]، دلالة على بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة، كما هو قول الجهميين الذين

قالوا بخلق القرآن[(١)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القرآن كيف تصرف فهو غير مخلوق، ولا نرى القول بالحكاية والعبارة[(٢)]. وغلَّط من قال بهما وجهَّله.

«**أعيا**» أي: أعجز «**الورى**» من الإنس والجن «**بالنص**» القرآني «**يا عليم**» مبالغة (عالم) تمَّم به البيت.

قال الله تعالى: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

«**وليس في طوق الورى**» أي: ليس في وسع الخلق وطاقتهم «**من أصله**» أي: الورى «**أن يستطيعوا**» الإتيان بأقصر سورة «**من مثله**» أي: القرآن.

وفي قوله: «**وليس في طوق الورى من أصله**»... إلخ، **إشارة إلى أن القرآن معجِزٌ في نفسه، خلافًا لمن يقول بالصَّرْفَة**؛ وهو أن الله صرف قلوب العباد عن معارضته[(٣)].

وهذا القول أضعف ما قيل في وجوه إعجاز القرآن، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٨ ـ ١١٩).

(٢) عقيدة الإمام أحمد، رواية الخلال (١/ ١٠٧).

(٣) زعم النَّظَّام من المعتزلة أن إعجاز القرآن بالصرفة؛ أي أن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم حتى لا يأتوا بمثله، وكان ذلك مقدورًا لهم، لكن عاقهم أمر خارجي، فصار كسائر المعجزات.

(٤) قال ابن تيمية: وَكُلُّ مَا ذَكَرَهُ النَّاسُ مِنَ الْوُجُوهِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، هُوَ حُجَّةٌ عَلَى إِعْجَازِهِ، وَلَا تَنَاقُضَ فِي ذَلِكَ، بَلْ كُلُّ قَوْمٍ تَنَبَّهُوا لِمَا تَنَبَّهُوا لَهُ. وَمِنْ أَضْعَفِ الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ: إِنَّهُ مُعْجِزٌ بِصَرْفِ الدَّوَاعِي، مَعَ تَمَامِ الْمُوجِبِ لَهَا، أَوْ بِسَلْبِ الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ، أَوْ بِسَلْبِهِمُ الْقُدْرَةَ الْمُعْتَادَةَ فِي مِثْلِهِ سَلْبًا عَامًّا، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى لِزَكَرِيَّا: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ صَرَفَ قُلُوبَ الْأُمَمِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ قِيَامِ الْمُقْتَضِي التَّامِّ (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/ ٤٢٩) ثم ذكر أوجه ضعف ذلك القول.

فصل
في ذكر الصفات التي يُثْبِتُها لله أئمةُ السلف دون غيرهم من الخلف

اعلم أن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة، متقدمهم ومتأخرهم، إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأنَّ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتًا حقيقيةً لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله صفات لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو أوَّله على غير ما ظهر من معناه، فهو جَهْمِيٌّ قد اتبع غير سبيل المؤمنين.

ولما كان في إثبات بعض الصفات ما يبدو للعقول الفاسدة ما يوهم التجسيم، قدم أمام ذلك ما ينفيه، فقال:

٤٣ ـ وَلَيْسَ رَبُّنَا بِجَوْهَرٍ وَلاَ عَرَضْ وَلاَ جِسْمٍ تَعَالَى ذُو الْعُلاَ(١)

قوله: «وليس ربنا» تعالى «بجوهر» يراد ما قابل العَرَضَ.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لفظ (الجسم والجوهر والعرض) في أسماء الله تعالى وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها، ولم يقل أحد منهم إن الله جسم، ولا ليس بجسم، ولا جوهر، ولا ليس بجوهر، ولا عرض، ولا ليس بعرض، وذموا الكلام في ذلك، لا لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه. اهـ

وهو عند المتكلمين: الجزء الذي لا يتجزأ. أي الجوهر الفرد.

وعند الفلاسفة وبعض محققي النُّظَّار لا وجود للجوهر الفرد. وإليه ميل شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، وابن القيم، قدس الله سره.

«**ولا عرض**» وهو ما لا يقوم بذاته بل بغيره؛ بأن يكون تابعًا لذلك الغير في التحيز، وإلا لكان ممكنًا؛ لأن العرَض: كل موجود يحدث في الجواهر والأجسام، كالألوان والطعوم والروائح.

«**ولا جسم**» لأن الجسم متركب ومتحيز، وذلك أمارة الحدوث «**تعالى**» وتقدس «**ذو العُلَا**» في ذاته العلية وصفاته القدسية عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قال بعض الأئمة: جمع أهل الحق جميع ما قيل في التوحيد في كلمتين:

إحداهما: أن كل ما تصور في الأفهام فالله تعالى بخلافه.

الثانية: اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بذات، ولا معطلة عن الصفات. وقد أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ويرحم الله القائل[1]:

كل ما ترتقي إليه بوهم ... من جلال وقدرة وثناء
فالذي أبدع البرية أعلى ... منه سبحان مبدع الأشياء[2]

٤٤ ـ سُبْحَانَهُ قَدِ اسْتَوَى كَمَا وَرَدْ ... مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ قَدْ تَعَالَى أَنْ يُحَدْ
٤٥ ـ فَلَا يُحِيطُ عِلْمُنَا بِذَاتِهِ ... كَذَاكَ لَا يَنْفَكُّ عَنْ صِفَاتِهِ

قوله: «**سبحانه**» أي: تنزيهًا لجلال الله عما يقول المعطِّلة

(١) هو: أبو الفتح البستي.
(٢) التمثيل والمحاضرة للثعالبي (١/ ١٢).

ويعتقده المشبِّهة «**قد استوى**» على عرشه بعد خلق السموات والأرض «**كما ورد**» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] و(ثُمَّ) في هذه الآية وغيرها للترتيب، لا لمجرد العطف كما يقوله النفاة.

فهو تعالى مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزَّهًا عن المماسَّة[(١)] والتمكُّن والحلول، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بقدرته، ومقهورون في قبضته.

ولو ذكر الناظم ما يدل على الترتيب كان أحسن؛ موافقةً للقرآن العظيم.

وقد لاحظ الإمام الصَّرْصَرِيُّ ذلك حيث قال[(٢)]:

قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ... ومن علمه لم يخل في الأرض موضع
وليس بخاف عنه مثقال ذرّة ... تضمنها بحر وبيداء بلقع
ومن قال إن الله جل بذاته ... بكل مكان جاهل متسرع
إليه الكلام الطيب الصدق صاعد ... وأعمال كل الخلق تحصى وترفع

ولما سئل ربيعةُ شيخ الإمام مالك عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾: كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول ـ يعني معلوم لغة ـ والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول

(١) قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ عن قول (بلا مماسة) في مجموع فتاويه (١/ ٢١٠): الأولى تركه؛ فإنه ما نطق به الكتاب والسنة. اهـ

(٢) فِي قَصِيدَتِهِ الْعَيْنِيَّةِ الَّتِي أَوَّلُهَا:

تَوَاضَعْ لِرَبِّ الْعَرْشِ عَلَّكَ تُرْفَعُ ... فَقَدْ فَازَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَخْضَعُ
وَدَاوِ بِذِكْرِ اللَّهِ قَلْبَكَ إِنَّهُ ... لَأَعْلَى دَوَاءٍ لِلْقُلُوبِ وَأَنْفَعُ
وَخُذْ مِنْ تُقَى الرَّحْمَنِ أَمْنًا وَعُدَّةً ... لِيَوْمِ بِهِ غَيْرُ التَّقِيِّ مُرَوَّعُ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ مَا لَهُ فِي صِفَاتِهِ ... شَبِيهٌ يَرَى مِنْ فَوْقِ سَبْعٍ وَيَسْمَعُ

البلاغ، وعلينا التصديق[(١)].

وروي أيضًا نحو ذلك عن الإمام مالك[(٢)].

وسئل الإمام الشافعي عن الاستواء فقال: آمنت بلا تشبيه، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك.

ولما سئل الإمام أحمد عن الاستواء أجاب بقوله: استوى، وكما ذكر، لا كما يخطر للبشر.

وقال إمام الأئمة محمد بن خزيمة: من لم يقرّ بأن الله تعالى استوى على عرشه فوق سبع سمواته، بائن من خلقه، فهو كافر، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه[(٣)].

فمذهب السلف الصالح أن الله تعالى مستوٍ على عرشه حقيقةً، من غير مماسَّة[(٤)] **ولا حاجة إلى شيء من مخلوقاته.**

ومذهب جَهْم بن صفوان، وشيخه الجعد بن درهم، وشيخه أبان بن سمعان اليهوديِّ، وأشياخهم وأتباعهم، تحريف كلام الله، وعدم الرضا والتسليم لما أخبر به عن نفسه، أو أخبر به عنه رسول الله ﷺ فقالوا: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ استولى أو قهر أو ملك أو غلب.

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٤١ رقم ٥٥٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٣١٠ رقم ١٠٠٣) وانظر «الأثر المشهور عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة الاستواء» دراسة تحليلية لعبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.

(٣) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (١/ ١٣٦) وتمامه: وألقي على بعض المزابل حيث لا يتأذى المسلمون والمعاهدون بنتن ريح جيفته، وكان ماله فيئًا، لا يرثه أحد من المسلمين؛ إذ المسلم لا يرث الكافر.

(٤) تقدم التعليق على هذه الكلمة.

إلى غير ذلك من الظن والتخمين المنافي لما يطلب في العقائد من الجزم واليقين.

ويرحم الله القائل(١):

أُمر اليهود بأن يقولوا: حطةٌ ... فأبَوا وقالوا حِنطةٌ لِهَوَانِ
وكذلك الجهميُّ قيل له: استوَى ... فأبى وزاد الحرف للنقصانِ
قال استوَى: استَوْلَى وذا مِن جهله ... لغةً وعقلًا ما هما سِيَّانِ

إلى أن قال:

نون اليهود ولام جهميٍّ هما ... في وحي رب العرش زائدتانِ

فاستواء الباري تعالى على عرشه استواء حقيقيٌّ يليق بذاته تعالى، من غير كيف، ولا تشبيه لصفاته بصفات خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وما أحسن ما قيل(٢):

على عرشه الرحمنُ سبحانه استوَى ... كما أخبر القرآنُ والمصطفَى رَوَى
وذاك استواءٌ لائقٌ بجلاله ... وأبرأُ من قولي له العرشُ قد حَوَى
فمن قال مثلَ الفُلك كان استواؤُهُ ... على جبل الجوديِّ من شاهِقٍ هَوَى
ومن يتَّبِعْ ما قد تَشَابَهَ يَبتغِي ... به فتنةً أو يَبغِي تأويلَهُ غَوَى
فلم أقُل استولَى ولستُ مكلَّفًا ... بتأويله كلَّا ولم أقُل احتوَى
ومن قال لي: كيف استوى لا أجيبه ... بشيء سوى أني أقول له استوَى

ثم قال الناظم ملوِّحًا بالرد على الممثِّلة والمعطِّلة: «**تعالى**» الله

---

(١) هو الإمام ابن القيم في نونيته المشهورة «الشافية الكافية» (١/ ١٢١).

(٢) القائل هو: عبدالباقي أفندي الفاروقي.

«**أن يُحَدَّ**»[١].

وفيه الرد على من زعم أنه يلزم من كونه مستويًا على عرشه أنه يُحَدَّ! تعالى الله عن ذلك، إذ المحدود محدَث، والمحدَث مفتقِر للخالق، والخالق سبحانه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ الأول من غير بداية، والآخر من غير نهاية، والظاهر من غير تحديد، والباطن من غير تخصيص، موجود بالوجود القديم من غير تشبيه ولا تكييف «**فلا يحيط علمُنا**» معشَرَ الخلق «**بذاته**» تعالى، فلا يعلم ما هو إلا هو.

وقد نفَى أئمة السلف علم العباد بكيفية صفات الله وحقيقة ذاته، ولو اجتمع العقلاء بأجمعهم على أن يكيِّفوا بصر المخلوق أو سمعه أو عقله، لم يقدروا على ذلك، مع أنه مخلوق، فإذا عجزوا عن تكييف ما هو مخلوق، فعن تكييف من لا يجانسه مخلوق، ولا يقاس على معقولٍ أعجزُ؛ ليس له مثل يقاس عليه هو كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لا يلحقه الوهم، ولا يكيفه العقل.

ولذلك قال المصطفى ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[٢]، تنبيهًا على نفي التشبيه والتكييف، واعترافًا للغنيِّ الحميد بالجلال والعظمة، فهذه غاية المعرفة ﷺ.

---

(١) قال العلامة ابن سحمان: هذا الكلام، الذي أورده الشارح في هذا المقام، من الألفاظ المجملة الموهمة المطلقة المحتملة لمعنيين؛ حق وباطل، فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود (رقم ٤٨٦) وتمامه: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**».

«**كذاك**» أي: كما أن علمنا لا يحيط بذاته المقدسة «**لا ينفك**» أي: يخلص ويزول «**عن صفاته**» الذاتية وأفعاله الاختيارية، فذاته ليست مثل ذوات المخلوقين، وصفاته كذاته، ليست كصفات المخلوقين.

٤٦ ـ فَكُلُّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الدَّلِيلِ ... فَثَابِتٌ مِنْ غَيْرِ مَا تَمْثِيلِ
٤٧ ـ مِنْ رَحْمَةٍ وَنَحْوِهَا كَوَجْهِهِ ... وَيَدِهِ وَكُلِّ مَا مِنْ نَهْجِهِ
٤٨ ـ وَعَيْنِهِ وَصِفَةِ النُّزُولِ ... وَخَلْقِهِ فَاحْذَرْ مِنَ النُّزُولِ

قوله: «**فكل ما**» أي: وصف «**قد جاء في الدليل**» الشرعيِّ من الكتاب والسنة فإنه «**ثابت**» له تعالى وموصوف به «**من غير ما تمثيل**» بل نثبت له ما ورد، ولا نتعرض له بتأويل ولا رد.

فمذهب السلف في آيات الصفات الإثبات، وأنها لا تؤوَّل ولا تفسَّر، بل يجب الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى[1].

«**من رحمة**» وهي صفة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والإنعام «**ونحوها**» أي: نحو الرحمة، من محبته تعالى ورضاه وغضبه.

قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

«**كوجهه**» أي: من الصفات الثابتة له تعالى صفة الوجه، إثبات وجود لا إثبات تكييف وتحديد.

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

(١) تقدم أن هذا الكلام غير صحيح، وأن تفويض الكيفية هو الذي عناه السلف، أما المعاني فهي معلومة، فنصوص الصفات ألفاظ دالة على معانٍ.

وقال أهل التأويل من المعتزلة وغيرهم: المراد بالوجه الذات المقدسة، فأما كونه صفة الله فلا.

وهو خطأ، بل الصواب الأول.

«**و**» كـ«**يَدِهِ**» أي: من الصفات الثابتة له جلَّ وعلا صفة اليد، كما قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠].

«**وكل ما**» أي: شيء واردٍ من صفات الله تعالى «**من نهجه**» أي: نهج اليد والوجه ونحوهما.

والنهج: الطريق الواضح.

أي: كل ما ورد من الأوصاف؛ من الرِّجْلِ والقَدَم والصورة ومن «**عينِهِ**» فنهجه الواضح الإقرار بما ورد والإيمان بما صح من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا إلحاد ولا تعطيل.

«**و**» من «**صفة النزول**» أي: مما يثبته السلف ولا يتأولونه صفة نزول الباري إلى سماء الدنيا.

كما في «صحيح مسلم» وغيره عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعًا: «**إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَنَادَى: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ! هَلْ مِنْ تَائِبٍ! هَلْ مِنْ سَائِلٍ! هَلْ مِنْ دَاعٍ! حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ**»(١).

ورواه البخاريُّ ولفظه: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (رقم ٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب: الدعاء في الصلاة من آخر الليل (رقم ١١٤٥) ورواه أيضًا مسلم باللفظ نفسه في كتاب صلاة المسافرين، باب: الترغيب=

ومن صفة «**خلقه**» التي أثبتها السلف والماتُرِيديَّة، دون المعتزلة والأشعرية والكُلَّابية «**فاحذر من النزول**» من ذروة الإيمان والاتباع، إلى حضيض التأويل والابتداع.

٤٩ ـ فَسَائِرُ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ قَدِيمَةٌ لِلَّهِ ذِي الجَلَالِ
٥٠ ـ لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَمْثِيلِ رَغْمًا لِأَهْلِ الزَّيْغِ وَالتَّعْطِيلِ
٥١ ـ فَمُرَّهَا كَمَا أَتَتْ فِي الذِّكْرِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَغَيْرِ فِكْرِ

قوله: «**فسائر الصفات**» أي: الذاتية؛ من الحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والكلام، وغيرها. وسائر الصفات الخبرية؛ من الوجه واليدين والقدم والعين «**و**» سائر «**الأفعال**» من الاستواء والنزول والإتيان والمجيء والتكوين ونحوها «**قديمة**»[1] عند سلف الأمة وأئمتها «**لله ذي الجلال**» والإكرام، ليس منها شيء محدَثا، وإلا لكان محَلًّا للحوادث، وما حلت به الحوادث فهو حادث، تعالى الله عن ذلك[2].

«**لكن**» إثبات ذلك «**بلا كيف ولا تمثيل**» بل متابعة السلف الكرام «**رغمًا لأهل الزيغ**» أي: الميل والانحراف عن منهج الحق «**و**» رغمًا لأهل «**التعطيل**» من الطوائف الضالة.

= في الدعاء والذكر في آخر الليل (رقم ٧٥٨) ولفظه عندهما: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».

(١) تقدم أن هذا الكلام فيه نظر، قال العلامة ابن عثيمين: كلام المؤلف، رَحِمَهُ اللَّهُ، بقدم الصفات صحيح باعتبار قسمين من الصفات، وهي الصفات الخبرية والذاتية، أما الأفعال فصحيح أنها قديمة باعتبار الجنس، فجنس الأفعال قديمة، وأما أنواعها وآحادها فليست قديمة اهـ شرح السفارينية (ص ٢٨٥).

(٢) قال ابن سحمان: هذا ليس من كلام السلف وأئمته، بل هو من كلام أهل البدع المخالفين للسلف، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وأما حلول الحوادث فيريدون به أنه لا يتكلم بقدرته ومشيئته، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا يأتي يوم القيامة...» إلخ كلامه.

«**فمُرَّهَا**» أي: آيات الصفات «**كما أتت في الذكر**» أي: القرآن والحديث الصحيح «**من غير تأويل لها وغير فكر**» في معانيها(١).

قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله ﷺ(٢).

وسمع الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ شخصًا يروي حديث النزول ويقول: ينزل بغير حركة ولا انتقال، ولا تغير حال. فأنكر الإمام أحمد عليه ذلك وقال: قل كما قال رسول الله ﷺ فهو كان أغيَرَ على ربِّه منك.

ولما فرغ من ذكر ما يجب لله من الأسماء والصفات، شرع في ذكر ما يستحيل في حقه تعالى، فقال:

٥٢ ـ وَيَسْتَحِيلُ الجَهْلُ وَالْعَجْزُ كَمَا قَدِ اسْتَحَالَ المَوْتُ حَقًّا وَالْعَمَى

٥٣ ـ فَكُلُّ نَقْصٍ قَدْ تَعَالَى اللهُ عَنْهُ فَيَا بُشْرَى لِمَنْ وَالاَهُ

قوله: «**ويستحيل**» أي: في حقه تعالى أضداد الصفات التي اتصف بها سبحانه، فمن ذلك «**الجهل**» الذي هو ضد العلم «**والعجز**» الذي هو ضد القدرة «**كما**» أنه «**قد استحال**» في حقه تعالى «**الموت**» الذي هو ضد الحياة «**حقًّا**» مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره (أحق ذلك حقًّا) «**و**» يستحيل «**العمى**» الذي هو ضد البصر، وكذا الصمم الذي هو ضد السمع، والبكم الذي هو ضد الكلام، والفناء الذي هو

---

(١) هذا غير صحيح، بل نتفكر في معانيها ونتأملها، ونتعبد الله بذلك على المعاني اللائقة بالله تعالى.

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٧/ ١٦٦ رقم ١٢٣)، والدارقطني في «الصفات» (١/ ٤١ رقم ٦١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٧٨ رقم ٧٣٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٣٨ رقم ٩٠٦) ولفظه: مَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ فَتَفْسِيرُهُ قِرَاءَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَلَيْهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَهُ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْ رُسُلُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

ضد البقاء، والعدم الذي هو ضد الوجود، والفقر الذي هو ضد الغنى، والمماثلة للحوادث المنفية في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

«**فكل نقص**» من هذه الأوصاف «**قد تعالى**» وتنزه «**الله**» عنه؛ لأن له الكمال المطلق «**فيا بشرى**» احضُرِي «**لـ**» كل «**من**» أي: شخص من أهل السنة والجماعة قد «**والاه الله**» أو قد والى هو اللهَ؛ أي: اتخذه وليًّا معتمدًا عليه ومفوضًا أمره إليه.

* * *

فصل

فِي ذِكْرِ الْخِلَافِ فِي صِحَّةِ إِيمَانِ الْمُقَلِّدِ فِي الْعَقَائِدِ وَفِي جَوَازِهِ وَعَدَمِهِ

٥٤ ـ وَكُلُّ مَا يُطْلَبُ فِيهِ الجَزْمُ فَمَنْعُ تَقْلِيدٍ بِذَاكَ حَتْمُ

٥٥ ـ لِأَنَّهُ لَا يُكْتَفَى بِالظَّنِّ لِذِي الْحِجَا فِي قَوْلِ أَهْلِ الْفَنِّ

قوله: «**وكل ما**» أي: اعتقاد «**يطلب فيه**» أي: في ذلك الاعتقاد من معرفة الله تعالى وما يجب له، وما يستحيل عليه، وما يجوز «**الجزم**» أي: بأن يجزم به جزمًا لا يحتمل متعلِّقُه النقيضَ عنده، لو قدره في نفسه، فإن طابق الواقعَ فهو اعتقاد صحيح، وإلا فاسد.

وما كان من هذا الباب «**فمنع تقليد**» وهو لغةً: وضع الشيء في العنق حال كونه محيطًا به. وذلك الشيء يسمى «قلادة». وعرفًا: أخذ مذهب الغير. يعني اعتقاد صحته واتباعُهُ عليه بلا دليل[١].

(١) الكوكب المنير شرح مختصر التحرير (٣/ ٣٤).

فإن أخذه بالدليل فليس بمقلد له، ولو وافقه، فالرجوع إلى قوله ﷺ ليس بتقليد، كما سيأتي بيانه آخر الكتاب «**بذاك**» أي: بما يطلَب فيه الجزم «**حتم**» أي: لازم.

قال علماؤنا وغيرهم: **يحرم التقليد في معرفة الله تعالى وفي التوحيد والرسالة، وكذا في أركان الإسلام الخمسة مما تواتر واشتهر**(١).

«**لأنه**» أي: الأمر والشأن «**لا يُكْتَفَى**» في الأصول الدينية ومعرفة الله تعالى «**بالظن**» الذي يفيده التقليد.

والظن: هو ترجيح أحد الطرفين على الآخر. **فالراجح** هو الظن، **والمرجوح** هو الوهم(٢).

فلا يُكتَفَى به في أصول الدين «**لذي الحِجَا**» أي: صاحب العقل والفطنة في «**قول أهل الفن**» من الأئمة.

قال ابن حَمْدَانَ(٣): إن كل ما يطلب فيه الجزم يمتنع التقليد فيه، وإلا أخذ فيه بالظن، لأنه لا يفيده، وإنما يفيده دليل قطعيٌّ.

وقال(٤) **في** «**شرح مختصر التحرير**»: وأجازه - يعني التقليد في أصول الدين - جمع(٥).

---

(١) الكوكب المنير شرح مختصر التحرير (٣/ ٣٦، ٣٨).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١١٥٤).

(٣) هو: أحمد بن حَمدان بن شبيب بن حَمدان بن محمود الحراني نجم الدِّين أبو عبدالله النميري الحنبلي. توفي سنة ٦٩٥هـ.

(٤) هو: محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي المعروف بـ«ابن النجار». توفي سنة ٩٧٢هـ.

(٥) الكوكب المنير شرح مختصر التحرير (٣/ ٣٤).

وقال ابن مُفلِح: وأجازه بعض الشافعية لإجماع السلف على قبول الشهادتين من غير أن يقال لقائلها: نَظَرْتَ(١)!

وإلى هذا أشار بقوله:

٥٦ - وَقِيلَ يَكْفِي الجَزْمُ إِجْمَاعًا بِمَا يُطْلَبُ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَا
٥٧ - فَالجَازِمُونَ مِنْ عَوامِّ الْبَشَرِ فَمُسْلِمُونَ عِنْدَ أَهْلِ الأَثَرِ

قوله: «**وقيل يكفي**» أي: في أصول الدين «**الجزم**» ولو تقليدًا «**إجماعًا بـ**» كل «**ما**» أي: حكم «**يطلب فيه**» أي: في ذلك المطلوب من أصول الدين «**عند بعض العلما**» من الحنابلة والشافعية وغيرهم.

«**فالجازمون**» حينئذٍ بعقدهم ولو تقليدًا «**من عوامِّ البشر**» الذين ليسوا بأهل للنظر والاستدلال «**فـ**» على الصواب هم «**مسلمون عند أهل الأثر**» وأكثر النُّظَّار، وإن عجزوا عن بيان ما لا يتم الإسلام إلا به.

قال ابن حامد: لا يشترط أن يجزم عن دليل. يعني: بل يكفي الجزم ولو عن تقليد.

وقال النوويُّ: الآتي بالشهادتين مؤمن حقًّا، وإن كان مقلدًا، على مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف؛ لأنه ﷺ اكتفى بالتصديق بما جاء به، ولم يشترط المعرفة بالدليل(٢).

قلت: وهو القدوة، وبه ﷺ الأسوة.

---

(١) الكوكب المنير شرح مختصر التحرير (٣/ ٣٦).

(٢) قال ابن دقيق العيد: وَفِي قَوْلِهِ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ**» دِلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ لِمَذْهَبِ المُحَقِّقِيْنَ وَالجَماهِيْرِ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا اعْتَقَدَ دِيْنَ الإِسْلَامِ اعْتِقَادًا جَازِمًا لَا تَرَدُّدَ فِيْهِ، كَفَاهُ ذَلِكَ؛ وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ تَعلُّمُ أَدِلَّةِ المُتَكَلِّمِيْنَ وَمَعْرِفَةُ اللهِ بِهَا؛ خِلَافًا لِمَنْ أَوْجَبَ ذَلِكَ وَجَعَلَهُ شَرْطًا فِي نَحْوِ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَهَذَا خَطَأٌ ظَاهِرٌ، فَإِنَّ المُرَادَ التَّصْدِيْقُ الجَازِمُ، وَقَدْ حَصَلَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اكْتَفَى بِالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ وَلَمْ يَشْتَرِطِ المَعْرِفَةَ بِالدَّلِيْلِ (شرح الأربعين النووية ١/ ٥٥).

الباب الثاني
في الأفعال المخلوقة(١)

٥٨ ـ وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ الذَّاتِ وَغَيْرُ مَا الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
٥٩ ـ مَخْلُوقَةٌ لِرَبِّنَا مِنَ الْعَدَمْ وَضَلَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْهَا بِالْقِدَمْ

قوله: «**وسائر**» أي بقية «**الأشياء**» جمع (شيء) «**غير الذات**» المقدسة «**وغير ما الأسماء**» أي: أسمائه تعالى «**و**» غير «**الصفات**» الذاتية والخبرية والفعلية «**مخلوقة لربنا**» تبارك وتعالى «**من العدم**» مسبوقة به «**وضل**» عن الصراط المستقيم «**من أثنى عليها**» أي: على سائر الأشياء بأن وصفها «**بالقِدَم**»(٢).

فقد أخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام(٣).

---

(١) قال العلامة ابن عثيمين في شرح العقيدة السفارينية (ص ٣١٣): الأولى أن يقول (الباب الثاني في الأشياء المخلوقة) وذلك لأن قوله (في الأفعال المخلوقة) يوهم أن المراد بالأفعال أفعال الله، وأفعال الله ليست مخلوقة، وإنما المخلوق هو المفعول، وأما الفعل فهو صفة لله، وصفات الله ليست مخلوقة اهـ.

(٢) قال العلامة ابن عثيمين في شرح العقيدة السفارينية (ص ٣١٨): إن أراد من أثنى عليها بالنوع، فليس بصحيح، وإن أراد من أثنى عليها بالعين، فهذا صحيح، لأنه ما من شيء من المخلوقات يكون قديمًا ليس له أول أبدًا اهـ..

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى=

وفي «صحيح مسلم» عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا: **«إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ»** وكان عرشه على الماء(١).

أي: قدر مقادير الخلائق التي خلقها في ستة أيام، إلى أن يدخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ.

كما في «السنن» عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة»**(٢).

وهذا هو التقدير المذكور في قوله **«مقادير الخلائق»**.

٦٠ ـ وَرَبُّنَا يَخْلُقُ بِاخْتِيَارِ ... مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَلاَ اضْطِرَارِ
٦١ ـ لَكِنَّهُ لاَ يَخْلُقُ الخَلْقَ سُدَى ... كَمَا أَتَى فِي النَّصِّ فَاتْبَعِ الهُدَى

قوله: **«وَرَبُّنَا»** تبارك وتعالى **«يَخْلُقُ»** أي: ما شاء من المخلوقات **«بِاخْتِيَارٍ»** منه تعالى، كما هو مذهب السلف(٣) الأمة وأئمتها، فهو تعالى لم يزل فاعلًا لما يشاء، وأنه تقوم بذاته الأمور الاختيارية، وأنه تعالى لم يزل متصفًا بصفاته الذاتية والفعلية، فلم يحدث لهم اسم من أسمائه، ولا صفة من صفاته، فيخلق سبحانه المخلوقات، ويحدث الحوادث بعد أن لم تكن **«مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ»** منه تعالى **«وَلاَ اضْطِرَارٍ»**

= ﴿ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى (٢٦٥٣) ولفظه: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**» قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب القدر (رقم ٢١٥٥) وصححه الألباني. ولفظه: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ. فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ؛ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ**».

(٣) كذا في الأصل.

عليه، فلا حاجة باعثة له سبحانه على خلقه للمخلوقات، ولا مُكرِهَ له عليها، بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الإرادة.

«**لَكِنَّهُ**» تعالى «**لاَ يَخْلُقُ الخَلْقَ سُدَى**» أي: هَمَلًا بلا أمر ولا نهي ولا حكمة، بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة، وإن تقاصرت عنها عقول البشر.

«**كَمَا أَتَى فِي النَّصِّ**» القرآني والسنة النبوية أن الله تعالى لا يفعل إلا لحكمة وعلم، وهو العليم الحكيم.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦] وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

فنزه سبحانه نفسه وباعدها عن هذا الحسبان، وأنه تعالى متعالٍ عنه، فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة، فإثبات العلة والحكمة لأفعاله هو الحق الحقيق بالاتباع.

وقد حكاه ابن قاضي الجبل عن إجماع السلف «**فَاتْبَعِ الهُدَى**» بالتمسك بالكتاب والسنة واقتفاء السلف الصالح، ولاَ تجحد لحكمة الله، فهو الحكيم القدير.

٦٢ ـ أَفْعَالُنَا مَخْلُوقَةٌ لِلهِ ... لَكِنَّهَا كَسْبٌ لَنَا يَا لاَهِي
٦٣ ـ وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ ... مِنْ طَاعَةٍ أَوْ ضِدِّهَا مُرَادُ
٦٤ ـ لِرَبِّنَا مِنْ غَيْرِ مَا اضْطِرَارِ ... مِنْهُ لَنَا فَافْهَمْ وَلاَ تُمَارِ

قوله: «**أَفْعَالُنَا**» أي: معشر العباد، جميعها «**مَخْلُوقَةٌ لِلهِ**» كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢].

قال العلماء: اتفق السلف قبل ظهور البدع والأهواء على أن الخالق هو الله لا سواه، وأن الحوادث كلها حادثة بقدرة الله تعالى، من غير فرق بين ما يتعلق بقدرة العبد وبين ما لا يتعلق بها، فهي مقدرة بقدرة الله تعالى اختراعًا، وبقدرة العبد على وجه آخر، أشار إليه بقوله: «**لَكِنَّهَا**» أي: أفعالنا «**كَسْبٌ لَنَا**» معشر الخلق.

قال العلامة ابن حمدان: إن الكسب هو ما خلقه الله في محل قدرة المكتسب على وفق إرادته في كسبه.

وقال شيخ الإسلام: الكسب عند القائل به عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة، والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة(١).

ومن جملة ما فُرِّق به بين الكسب والخلق، أن الكسب وقع بآلة، والخلق لا بآلة، والكسب لا يصح انفراد القادر به، والخلق يصح.

قال علماء السنة: وللعباد أفعال اختيارية، يُثابُون بها إن كانت طاعة، ويعاقبون عليها إن كانت معصية.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة مفردة في الكلام على الإرادة والأمر وغير ذلك قال فيها: ومما ينبغي أن يُعلَمَ أن مذاهب سلف الأمة، مع أن قولهم: الله خالق كل شيء وربُّه ومَلِيكُهُ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الذي خلق العبد ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٠] ونحو ذلك ـ أن العبد فاعل حقيقةً، وله مشيئة وقدرة، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١١٩).

تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩].

وقوله: «**يا لاَهِي**» تكملة للبيت، وفيه إشارة إلى الحث على المبادرة في الطاعات.

«**وَكُلُّ مَا**» أي: فعل «**يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ طَاعَةٍ**» وهي متعلَّق المدح في العاجل والثواب في الآجل «**أَوْ ضِدِّهَا**» أي: وكل ما يفعلونه من ضد الطاعة، وهي المعصية، يعني ما فيه ذم في العاجل، وعقاب أو لوم في الآجل «**مُرَادٌ لِرَبِّنَا**» تعالى، أي: داخل تحت إرادته ومشيئته[٢]، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير.

«**مِنْ غَيْرِ مَا اضْطِرَارِ**» من باب (الافتعال) أُبدِلَت التاء طاءً، كما تقرر في محله، و(ما) زائدة لتأكيد النفي «**مِنْهُ**» تعالى «**لَنَا**» معشرَ العباد، بل خلق فينا قدرة، وأقدَرَنا على إيقاع أفعالنا بالإذن منه، فلقدرة العبد تأثير في إيجاد فعله، لا بالاستقلال، بل بالإعانة والتمكين، ولله دَرُّ الإمام أبي الخَطَّاب[٣] فما أحسن قوله:

قالوا: وما فعل العباد! فقلت: ما ... مِن خالقٍ غيرُ الإلهِ الأمجَدِ
قالوا: فهل فِعْلُ القبيح مُرادُهُ؟ ... قلت: الإرادة كلُّها للسَّيِّدِ
لو لم يُرِدْهُ وكانَ، كانَ نَقيصَةً ... سبحانه عن أن يعجزه الرَّدِي

«**فَافْهَمْ**» فهم إذعان وتحقيق «**وَلاَ تُمَارِ**» في علمك، بل كن مع الحق حيث كان.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٥/ ١٤٢).

(٢) الناظم والشارح أطلقا لفظ (الإرادة) من غير تفصيل ولا بيان، ولو فصَّلا لكان أولى. انظر تعليق العلامة ابن سحمان على هذا الموضع، وتعليق العلامة ابن عثيمين في شرح السفارينية (ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

(٣) هو: الإمام الجليل أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن الكلوذاني الحنبلي. في اعتقاده المشهور.

والمماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة. ويقال للمناظرة «مماراة» لأن كل واحد من المتجادلَين يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالبُ اللبَنَ من الضَّرع[(١)].

٦٥ ـ وَجَازَ لِلْمَوْلَى يُعَذِّبُ الْوَرَى مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ وَلاَ جُرْمٍ جَرَى[(٢)]
٦٦ ـ فَكُلُّ مَا مِنْهُ تَعَالَى يَجْمُلُ لأَنَّهُ عَنْ فِعْلِهِ لاَ يُسْأَلُ
٦٧ ـ فَإِنْ يُثِبْ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَإِنْ يُعَذِّبْ فَبِمَحْضِ عَدْلِهِ

قوله: «**وَجَازَ لِلْمَوْلَى**» جل جلاله، وهو رب العالمين «**يُعَذِّبُ الْوَرَى**» أي: الخلق «**مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ**» أي: إثم «**وَلاَ جُرْمٍ**» هو بمعنى ما قبله، وعطف عليه لزيادة البيان «**جَرَى**» من العبد.

«**فَكُلُّ مَا**» أي: شيء «**مِنْهُ تَعَالَى**» من إثابة وعقوبة، وخلق خير وشر «**يَجْمُلُ**» أي: يحسن. فكل ما يصدر عنه تعالى من الأمر والخلق بالنسبة إليه حسن جميل، حتى إثابة العاصي وعقوبة المطيع؛ لأنه تعالى عن فعله لا يُسأل، كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

«**فَإِنْ يُثِبْ**» المطيعين «**فَإِنَّهُ**» أي: الثواب بالخير «**مِنْ فَضْلِهِ**» تعالى «**وَإِنْ يُعَذِّبْ**» عباده «**فَبِمَحْضِ عَدْلِهِ**» تعالى. يعنى أنه تعالى لو عذبهم لعذبهم بعدله الخالص من شائبة الظلم؛ لأنه تعالى تصرف في ملكه[(٣)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (م ر ى).

(٢) قال العلامة صالح الفوزان في شرح الدرة المضية (ص ١٢١ ـ ١٢٢): هذا كلام غير سليم، وهو يجري على مذهب الأشاعرة الذين ينفون الحكمة في أفعال الله جل وعلا، فيقولون: إن الله يفعل لمجرد المشيئة لا لحكمة، فيجوز أن يعذب المطيع، وأن ينعِّم الكافر، لأنه يفعل ما يشاء. وأما أهل السنة فيقولون: هذا باطل في حق الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يليق به أن ينعِّم الكافر وأن يعذب المؤمن... وجاءت الأدلة من الكتاب والسنة في أنه أعد للمتقين الجنات، وأعد للكافرين النار.

(٣) فَطَاعَاتُ الْعَبْدِ وَإِنْ كَثُرَتْ لَا تَفِي بِشُكْرِ بَعْضِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا بِنِعْمَةِ الْإِقْدَارِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ لَهَا، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ اسْتِحْقَاقُهُ عِوَضًا عَلَيْهَا!

والعدل: وضع الشيء في محله، من غير اعتراض على الفاعل، عكس الظلم.

واستدل لهذا بقوله تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] يعني: لم تتصرف في غير ملكٍ. وبقوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

وبقول النبيِّ ﷺ: «**إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم**»(١).

وبقوله ﷺ في دعاء الحزن: «**اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك**» الحديث(٢).

(١) أخرجه ابن حبان (الإحسان ٢/ ٦٠٥ رقم ٧٢٧) وصححه الألباني. وتمامه: عن ابن الديلمي قال: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مِنْ قَلْبِي. فقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ. وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أخطأك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ**» قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٧/ ٣٤١ رقم ٤٣١٨) وصححه الشيخ أحمد شاكر. وتمامه: عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي. إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**».

فبيَّن أن كل قضائه في عبده عدل.

ولهذا يقال: أطعتك بفضلك، والمِنَّة لك، وعصيتك بعلمك أو بعدلك والحجة لك، فأسألك بوجوب حجتك عليَّ وانقطاع حجتي إلا ما غفرت لي.

٦٨ ـ **فَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ فِعْلُ الْأَصْلَحِ وَلاَ الصَّلاحِ وَيْحَ مَنْ لَمْ يُفْلِحِ**(١)

٦٩ ـ **فَكُلُّ مَنْ شَاءَ هُدَاهُ يَهْتَدِي وَإِنْ يُرِدْ إِضْلاَلَ عَبْدٍ يَعْتَدِي**

قوله: «**فَلَمْ يَجِبْ عَلَيْه**» تعالى «**فِعْلُ الْأَصْلَح**» أي: الأنفع «**وَلاَ**» يجب عليه جل جلاله فعل «**الصَّلاَح**» لعباده، خلافًا للمعتزلة.

«**وَيْحَ**» كلمة ترحم تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها. وهي منصوبة على المصدر، وقد ترفع، وتضاف كما هنا(٢)، وضدها (ويل) وأتى بها دون كلمة ويل ترحمًا لمن استزله الشيطان من المسلمين مع ظهور الأدلة.

«**مَنْ**» أي: شخص بالغ عاقل «**لَمْ يُفْلِح**» أي: يفز باتباع الحق.

والفلاح من الكلمات الجوامع، وهو عبارة عن أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنًى بلا فقر، وعزٌّ بلا ذل، وعلمٌ بلا جهل. قالوا: فلا كلمة أجمع للخير منها.

«**فَكُلُّ مَنْ**» أي: شخص «**شَاءَ**» الله تعالى «**هُدَاهُ**» أي: توفيقه «**يَهْتَدِي**» الهداية المطلوبة في قوله تعالى:.

«﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

«**وَإِنْ يُرِدْ**» سبحانه «**إِضْلاَلَ عَبْدٍ**» بترك المأمور وارتكاب المحظور

(١) قال العلامة صالح الفوزان: هذا رد على المعتزلة الذين يقولون: يجب على الله فعل الأصلح. وهذا باطل؛ لأنه لا يجب على الله جل وعلا شيء اهـ. شرح الدرة المضية (ص ١٢٥).

(٢) وكذا في «اللوامع» وأصل الكلام لابن الأثير في «النهاية»: «وقد ترفع، وتضاف ولا تضاف» اهـ فلو أضاف كلمة «ولا تضاف» كان أولى، حتى لا يتوهم من كلامه أنها هنا مرفوعة، وهو إنما قصد أنها هنا مضافة.

«يَعْتَدِي» بفعل ذلك. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١].

٧٠ ـ وَالرِّزْقُ مَا يَنْفَعُ مِنْ حَلَالِ ... أَوْ ضِدِّهِ فَحُلْ عَنِ الْمُحَالِ
٧١ ـ لِأَنَّهُ رَازِقُ كُلِّ الْخَلْقِ ... وَلَيْسَ مَخْلُوقٌ بِغَيْرِ رِزْقِ

قوله: «**وَالرِّزْقُ مَا يَنْفَعُ**» أي: المرتزِق ينتفع بحصوله، سواء كان ذلك المنتفَع به «**مِنْ حَلَالِ**» وهو ما انحلت عنه التبعات ضد الحرام «**أَوْ ضِدِّهِ**» أي: ضد الحلال، وهو الحرام، أي ما مُنع منه شرعًا.

إما لصفة في ذاته(١) **ظاهرة** كالسم والخمر.

أو خفيَّة كالربا ومذكَّى المجوسيِّ ونحوه، لأنه في حكم الميتة.

وإما لخلل في تحصيله(٢) كالربا أو الغصب ونحو ذلك.

فكل ذلك رزق؛ لأن الله يسوقه للحيوان فيتغذَّى به.

«**فَحُلْ**» أي: زُلْ «**عَنِ المُحَالِ**» أي: الخطأ.

قال في القاموس: والمُحَال من الكلام، بالضم: ما عُدل عن وجهه كالمستحيل(٣).

ومراده بذلك مذهب المعتزلة القائلين: إن الإنسان إذا تغذَّى طول عمره بالحرام لم يرزقه الله(٤).

وما ذهبوا إليه مُحَالٌ «**لِأَنَّهُ**» تعالى «**رَازِقُ كُلِّ الخَلْقِ**» كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

---

(١) أي: المحرم لذاته.
(٢) أي: المحرم بسبب وسيلة الحصول عليه لا لذاته.
(٣) القاموس المحيط (ح و ل).
(٤) لأنهم يقولون: إن الحرام ليس برزق.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

«وَلَيْسَ» يوجد «مَخْلُوقٌ» من سائر الحيوانات ويبقى «بِغَيْرِ رِزْقِ» فظهر فساد مذهب المعتزلة، وصحة مذهب أهل السنة؛ فإن الله تعالى قسم بين الخلق معائشهم في الحياة الدنيا، ومعلوم أن الحرام معيشة لبعض الأنام، والله الفعال لما يريد.

٧٢ ـ وَمَنْ يَمُتْ بِقَتْلِهِ مِنَ الْبَشَرْ أَوْ غَيْرِهِ فَبِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرْ

٧٣ ـ وَلَمْ يَفُتْ مِنْ رِزْقِهِ وَلاَ الأَجَلْ شَيْءٌ فَدَعْ أَهْلَ الضَّلاَلِ وَالْخَطَلْ

قوله: «وَمَنْ يَمُتْ» أي: من سائر الحيوانات «بِقَتْلِهِ» من سائر أنواع القتل «مِنَ الْبَشَرْ» الإنسان، ذكرًا كان أو أنثى، واحدًا أو جمعًا «أَوْ غَيْرِهِ» أي: غير البشر من سائر الحيوانات «فَـ»موته «بِالْقَضَاءِ» أي: بقضاء الله تعالى.

وهو **لغةً**: الحكم. **وعرفًا**: إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال(١).

«وَالْقَدَرْ»: أي بتقدير الله تعالى.

قال الخطابيُّ: قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله تعالى والقضاء معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره، ويتوهم أن قوله ﷺ: «**فحَجَّ آدمُ موسى**»(٢) من هذا الوجه، وليس

---

(١) التعريفات للجرجاني (١/ ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند الله (رقم ٦٦٤١)، ومسلم في كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (رقم ٢٦٥٢) ولفظه: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ! قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**».

كذلك، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم، وصدورها عن تقدير منه، وخلق لها، خيرها وشرها(١).

«**وَلَمْ يَفُتْ**» على المقتول ولا غيره «**مِنْ رِزْقِهِ**» المقسوم له في علم الله تعالى «**وَلاَ**» فاته أيضًا من «**الْأَجَلْ**» المحتوم «**شَيْءُ**» ولا لحظة واحدة «**فَدَعْ**» أي: اترُكْ «**أَهْلَ الضَّلَالِ**» من طوائف الاعتزال «**وَ**» دع أهل «**الخَطَلْ**» أي: الكلام الفاسد.

وأهل الضلال هم القائلون: إن للمقتول أجلَين؛ القتل والموت، وأنه لو لم يُقتَل لعاش إلى أجله الذي هو الموت، وهذا قول باطل(٢).

ففي «**الصحيحين**» عن عبدالله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»(٣).

وقد ورد أن هذه الكتابة تكتب بين عينَي الجنين.

---

(١) معالم السنن (٤/ ٣٢٢).

(٢) وأظهر ما في بطلانه أنهم ادَّعَوا الغيب؛ حيث قدروا حياته لأجل آخر إن لم يُقتَل، وهذا كذب على الله! فمن أين علموا أنه يعيش عمرًا آخر إن لم يُقتَل؟

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (رقم ٢٦٤٣) وتمامه: «**فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**».

قال الحافظ ابن رجب: وبكل حال فهذه الكتابة التي تكتب للجنين في بطن أمه غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

وفي «**صحيح مسلم**» عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا: «**إن الله تعالى قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[(١)].

قال علماء الحديث: فيكتب رزقه قليلًا كان أو كثيرًا، وصفته حلالًا كان أو حرامًا أو مكروهًا، ويكتب أجله طويلًا كان أو قصيرًا. والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى (رقم **٢٦٥٣**).

الباب الثالث

في الأحكام والكلام على الإيمان ومتعلقات ذلك

اعلم أن الأحكام: جمع (حكم).

وهو عند الأصوليين: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلَّف من حيث إنه مكلَّف[(١)].

وهي خمسة، لأن الحكم إن عوقب تاركُه فهو واجب، أو فاعلُه فهو حرام، أو أثيب فاعلُه فهو ندب، أو تاركُه فهو مكروه، أو لم يُثَبْ ولم يُعاقَب فهو مباح.

وقد اختلف الناس في علة التكليف[(٢)]:

فذهبت الجبرية إلى أن ذلك صادر عن محض الإرادة وصرف المشيئة، وأنه لا علة ولا حكمة.

وذهب القدرية إلى أن ذلك استئجار منه لعباده لينالوا أجرهم بالعمل.

---

(١) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/ ٤٨٢).

(٢) التقرير والتحبير على تحرير ابن الهمام (٢/ ١٥٩).

وبطلان هذين المذهبين أوضح من أن يقام عليه دليل.

وأما مذهب أهل الحق، أهل البصائر أتباع الرسل، فحكمة الله تعالى في تكليفهم ما كلفهم به أعظم عندهم وأَجَلُّ مما يخطر بالبال، أو يعبَّر عنه بالمقال، ويعلمون أن من حكمته تعالى في أمره ونهيه كونه أهلًا أن يعبد وحده لا شريك له، وأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وإلى هذا المقام أشار بقوله:

٧٤ ـ وَوَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ طُرَّا أَنْ يَعْبُدُوهُ طَاعَةً وَبِرَّا

٧٥ ـ وَيَفْعَلُوا الْفِعْلَ الَّذِي بِهِ أَمَرْ حَتْمًا وَيَتْرُكُوا الَّذِي عَنْهُ زَجَرْ

قوله: «**وَوَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ طُرَّا**» أي: جميعًا. وهو منصوب على الحال «**أَنْ يَعْبُدُوهُ**» سبحانه وتعالى.

والعبادة: ما أُمِرَ به شرعًا من غير اطِّراد عرفي ولا اقتضاء عقلي[١].

«**طَاعَةً**» أي: لأجل الطاعة وامتثال الأمر «**وَبِرًّا**» أي: لأجل البر والإحسان الناشئ عنهما المحبة، فهو سبحانه أَهْلٌ أن يُعبَد، وأَهْلٌ أن يكون الحب كله له والعبادة له، حتى لو لم يخلق جنةً ولا نارًا، ولا وضع ثوابًا ولا عقابًا.

«**وَيَفْعَلُوا**» يعني العباد «**الْفِعْلَ الَّذِي بِهِ أَمَرْ**» فإن كان على سبيل الحتم والوجوب فعلوه «**حَتْمًا**» أي: لزومًا.

قال في «النهاية»: الحتم اللازم الواجب الذي لا بد من فعله[٢].

وإن كان على سبيل الندب والإرشاد فعلوه ندبًا «**وَ**» أن «**يَتْرُكُوا**» الشيء «**الَّذِي عَنْهُ زَجَرْ**» أي: منَع.

والزجر يفيد التحريم. وإن لم يكن على سبيل الزجر فالمكروه وخلاف الأَوْلَى.

---

(١) التحبير شرح التحرير (٢/ ١٠٠١).

(٢) النهاية في غريب الحديث (ح ت م).

فصل
في الكلام على القضاء والقدر

٧٦ ـ وَكُلُّ مَا قَدَّرَ أَوْ قَضَاهُ ... فَوَاقِعٌ حَتْمًا كَمَا قَضَاهُ

٧٧ ـ وَلَيْسَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَبْدِ الرِّضَا ... بِكُلِّ مَقْضِيٍّ وَلَكِنْ بِالْقَضَا

٧٨ ـ لِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعَالَى ... وَذَاكَ مِنْ فِعْلِ الَّذِي تَقَالَى

قوله: «**وَكُلُّ مَا**» أي: شيء «**قَدَّرَ**»ـه سبحانه وتعالى «**أَوْ قَضَاهُ**» من سائر الأشياء «**فَـ**» هو «**وَاقِعٌ حَتْمًا**» لازمًا «**كَمَا قَضَاهُ**» أي: حكم به وقدره حسبما سبق في علمه، وجرى به القلم في الكتاب الذي كتبه قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام، المذكور في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

قال العلامة الحافظ ابن رجب: والإيمان بالقدر على درجتين:

إحداهما: الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر، وطاعة ومعصية قبل خلقهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، وأعدَّ لهم الثواب والعقاب جزاءً لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

والدرجة الثانية: أن الله خلق أفعال العباد كلها، من الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، وشاءها منهم، فهذه الدرجة يُثْبِتُها أهل السنة والجماعة، وتُنْكِرُها القدرية، والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غُلَاتُهم، كَمَعبَدٍ الجُهنيِّ الذي سُئل ابن عمر عن مقالته[(١)] وكعمرو بن عبيد وغيره[(٢)].

(١) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ! فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ. وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ: وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ! قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي! وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** ﷺ، **وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة الإسلام والإيمان (رقم ٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٣).

قال العلماء: والمنكِرون لهذا ـ أي العلم القديم ـ القائلون: الأمرُ أُنُفٌ[(١)]. قد انقرضوا، وهم الذين كفَّرهم الإمام مالك والإمام الشافعيُّ والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله سره: وأما هؤلاء ـ يعني الفرقة الثانية ـ فإنهم مبتدعون ضالون، لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك. قال: وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كُتب عنهم، وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم، لكن من كان داعيةً لم يخرِّجوا له[(٢)]. وهذا مذهب فقهاء الحديث كالإمام أحمد وغيره[(٣)].

قال الإمام أحمد: لو تركنا الرواية عن القَدَرية، لتركنا أكثر أهل البصرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا لأن مسألة خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات مسألة مُشكِلة[(٤)].

ورُوي عن الإمام الشافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال لما سُئل عن القدر:

ما شئتَ كان وإن لم أَشَأْ ... وما شئتُ إن لم تَشَأْ لم يَكُنْ
خَلَقتَ العبادَ على ما عَلِمتَ ... ففي العلم يَجرِي الفَتَى والمُسِنْ
على ذا مَنَنتَ وهذا خَذَلتَ ... وهذا أَعَنْتَ وذا لم تُعِنْ
فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيدٌ ... ومنهم قبيحٌ ومنهم حَسَنْ

هذا، والبحث طويل عريض، وإن أحببت زيادة الاطلاع وتحقيق البحث، فعليك بمؤلَّفات الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه

---

(١) أي: مستأنف؛ لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه.
(٢) انظر مقدمة فتح الباري (١/ ٣٨٤ ـ ٤٦٤ الفصل التاسع في سياق أسماء من طُعن فيه من رجال هذا الكتاب مُرتبًا لهم على حروف المعجم).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٥).
(٤) الإيمان لابن تيمية (١/ ٢٠٣).

الإمام ابن القيم، فقد ألَّف هذا الإمامُ كتابًا سماه «**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل**» لم يؤلَّف مثله، لا قبله ولا بعده، فيما علمت.

«**وَلَيسَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَبْدِ**» المكلف «**الرِّضَا**» وهو سكون القلب وطمأنينته «**بِكُلِّ مَقْضِيٍّ**» بل فيه تفصيل:

لأنه إما أن يكون مقضيًا دينيًّا شرعيًا، فالواجب على العبد ألا يختار في هذا النوع غير ما اختاره الله له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فاختيار العبد خلاف ذلك منافٍ لإيمانه تسليمًا، ورضاه بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا.

وإما أن يكون كونيًا قدريًا كالمصائب التي يُبتلَى بها العبد **فهذا لا يضره فراره منها إلى القدر الذي يرفعها عنه ويكشفها**، وليس في ذلك منازعة للربوبية، وإن كان فيه منازعة للقدر بالقدر(١).

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِـ «سَرْغَ» لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ، فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ. فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ. فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ. فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ. فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ. فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ! قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ=

«**وَلَكِنْ**» يجب الرضا «**بِالْقَضَا**» فإن لفظ الرضا بالقضاء لفظ محمود مأمور به «**لِأَنَّهُ**» أي: القضاء «**مِنْ فِعْلِهِ**» أي: من فعل الله «**تَعَالَى**» فنرضى بفعله تعالى دون المعصية الصادرة من العبد.

«**وَذَاكَ**» أي: المقضيُّ المبغوض لله ولرسوله من المعاصي والظلم لا يرضَى به العبد؛ لأنه «**مِنْ فِعْلِ**» الشخص «**الَّذِي تَقَالَى**» تَفَاعَلَ، مِن (قَلَاه) كـ(رَمَاه): رفضه وأبغضه. أي: من فعل الذي أتَى بما يُبغِضُه الله بإتيانه به من المعاصي والظلم، فهذا لا يسوغ الرضا به.

* * *

فصل
في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها

اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أن أول اختلاف وقع في هذه الأمة هو خلاف الخوارج، حيث أخرجوا عصاة الموحِّدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم.

ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم: إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر. ويثبتون المنزلة بين المنزلتين.

ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان.

= حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب: ما يذكر في الطاعون (رقم ٥٧٢٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (رقم ٢٢١٩).

وقد صنف العلماء قديمًا وحديثًا في هذه المسائل تصانيف متعددة، وبيَّنوا ما هو الحق فيها، وصرَّحوا أن الفاسق المِلِّيَّ[(١)] مرتكب الكبيرة فاسق بكبيرته، مؤمن بإيمانه، وهو تحت مشيئة الله تعالى.

ولهذا قال:

٧٩ ـ **وَيَفْسُقُ الْمُذْنِبُ بِالْكَبِيرَةِ ... كَذَا إِذَا أَصَرَّ بِالصَّغِيرَةِ**

٨٠ ـ **لاَ يَخْرُجُ الْمَرْءُ مِنَ الإِيمَانِ ... بِمُوبِقَاتِ الذَّنْبِ وَالْعِصْيَانِ**

قوله: «**وَيَفْسُقُ**» أي: المسلم المكلف «**الْمُذْنِبُ بِـ**» إتيان المعصية «**الْكَبِيرَةِ**».

وأصل الفسوق: الخروج عن الاستقامة والجَورُ. وبه سُمي العاصي فاسقًا.

والكبيرة: كل معصية فيها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة[(٢)].

وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: أو ورد فيها وعيد بنفي إيمان أو لعن ونحوهما[(٣)].

وإلى ذلك أشار العلامة موسى الحجاويُّ بقوله:

فما فيه حدٌّ في الدُّنا أو توعُّدٌ ... بأخرى فَسِمْ كُبْرَى على نَصِّ أحمدِ

وزاد حفيدُ المجد أوْ جا وعيدُهُ ... بنفي لإيمان ولعنٍ لِمُبْعَدِ

«**كَذَا**» أي: مثل إتيان الكبيرة «**إِذَا أَصَرَّ بِالصَّغِيرَةِ**» الباء بمعنى

(١) أي: المنتسب إلى ملة الإسلام.
(٢) الفصل في الملل والنحل (١/ ١٤٣).
(٣) مختصر الفتاوى المصرية (١/ ٤٩٧).

(على) أي: على الجريمة الصغيرة. والإصرار لزومها ودوامه عليها. وأما من أتبعها بالتوبة والاستغفار فليس بمُصِرٍّ عليها، وفي الحديث: «**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ**»(١).

«**لاَ يَخْرُجُ المَرْءُ مِنَ الْإِيمَانِ**» الآتي تعريفه «**بِمُوبِقَاتِ الذَّنْبِ**» أي: المهلكات. جمع «موبقة».

سميت الجريمة الكبيرة بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقاب، وفي الآخرة من العذاب.

و«ال» في «الذنب» للجنس أو الاستغراق، فيشمل كل الذنوب.

«**وَالْعِصْيَانِ**» دون الشرك بالله تعالى.

والعصيان ضد الطاعة، وهو يرادف الذنب.

فالمؤمن لا يخرج من الإيمان بملابسة كبائر الذنوب والعصيان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وفي الحديث القدسيِّ الذي رواه الترمذيُّ عن أنس مرفوعًا: «**يَابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(٢).

فدلت الآية وحديث أنس أن من جاء مع التوحيد بملء الأرض

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: في الاستغفار (رقم ١٥١٤)، والترمذي في كتاب الدعوات (رقم ٣٥٥٩) وضعفه الألباني. ولفظه: «**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**».

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (رقم ٣٥٤٠) وقال: حديث حسن. وصححه الألباني. وأوله: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي. يَابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي**».

خطايا، لقيه الله بملئها مغفرة، مع مشيئة الله تعالى، فإن شاء غفر له، وإن شاء عذبه وأخذه بذنبه، ثم كان عاقبته ألَّا يخلَّد في النار، بل يخرج منها ثم يدخل الجنة.

٨١ ـ وَواجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَا مِنْ كُلِّ مَا جَرَّ عَلَيْهِ حُوبَا
٨٢ ـ وَيَقْبَلُ المَوْلَى بِمَحْضِ الْفَضْلِ مِنْ غَيْرِ عَبْدٍ كَافِرٍ مُنْفَصِلِ
٨٣ ـ مَا لَمْ يَتُبْ مِنْ كُفْرِهِ بِضِدِّهِ فَيَرْتَجِعْ عَنْ شِرْكِهِ وَصَدِّهِ

قوله: «**وَوَاجِبٌ عَلَيْهِ**» أي: على المذهب «**أَنْ يَتُوبَا**» بألف الإطلاق للوزن، أي: يرجع عن الذنب؛ بأن يقلع عنه، ويندم عليه، ويعزم على ألا يعود إليه، ويُرضِيَ الآدمي عن ظُلَامةٍ إن تعلقت به.

«**مِنْ كُلِّ مَا**» أي شيء «**جَرَّ**» أي قاد «**عَلَيْهِ**» أي على المذنب «**حُوبًا**» أي إثمًا.

«**وَيَقْبَلُ المَوْلَى**» الذي هو رب العالمين «**بِمَحْضِ الْفَضْلِ**» أي: خالص الكرم «**مِنْ**» كل عبدٍ مذنبٍ تاب إلى الله تعالى توبة نصوحًا، بشروطها المذكورة قريبًا.

ولا بد أن تكون من شخص مسلم «**غَيْرِ عَبْدٍ كَافِرٍ**» بالله ورسوله «**مُنْفَصِلِ**» عن الدين، سواء كان مرتدًّا، أم كافرًا أصليًّا، فلا تقبل توبته من الذنوب.

«**مَا لَمْ يَتُبْ**» أي: يرجع من كفره فيُسلِمُ ويقر لله بالوحدانية، ولنبيه ﷺ بالرسالة، ويؤمن بجميع ما جاء به النبيُّ ﷺ ويتصف «**مِنْ**» بعد رجوعه عن الكفر «**بِضِدِّهِ**» من الإسلام «**فَـ**» لا يقبل منه ما لم «**يَرْتَجِعْ عَنْ شِرْكِهِ**» الذي كان متصفًا به.

«**وَصَدِّهِ**» أي: إعراضِهِ عن الدين. فإن كان مرتدًّا بإنكار ما عُلم من الدين بالضرورة إيجابًا وتحريمًا، فيرتجع عن إنكاره ذلك، وإن كان مشركًا معتقدًا أن لله شريكًا يستقل بالنفع والضر وعلم الغيب، فلا بد من رجوعه عما كفر به حتى تقبل توبته.

٨٤ ـ وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الخطَا فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِذِي الْعَطَا
٨٥ ـ فَإِنْ يَشَأْ يَعْفُ وَإِنْ يَشَا انْتَقَمْ وَإِنْ يَشَأْ أَعْطَى وَأَجْزَلَ النِّعَمْ

قوله: «**وَمَنْ يَمُتْ**» أي: أيُّ امرئٍ مذنبٍ أدركه الموت، وهو مصر على ذنوبه، «**وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الخَطَا**» الذي ارتكبه «**فَأَمْرُهُ**» الذي يؤول إليه «**مُفَوَّضٌ**» أي: موكول ومردود «**لِذِي**» أي صاحب «**الْعَطَا**» الواسع. ويُمَدُّ(١).

وفي الأسماء الحسنى «**المعطي**»: أن يعطيَ من يريد ما يريد. ومن ثم قال: «**فَإِنْ يَشَأْ**» سبحانه وتعالى «**يَعْفُ**» أي: يتجاوز عمَّن مات مرتكبًا لذنوبه ولم يتب منها.

والعفو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه.

«**وَإِنْ يَشَا انْتَقَمْ**» منه، فإن عامله بالفضل عفا وأنعم، وإن عامله بالعدل انتقم وآلم.

والانتقام: أن يبلغ في العقوبة حدها.

وفي الأسماء الحسنى «**المنتقم**» وهو البالغ في العقوبة لمن يشاء.

«**وَإِنْ يَشَأْ أَعْطَى**» النوال «**وَأَجْزَلَ**» أي أكثر «**النِّعَمَ**» جمع (نعمة) وهي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير.

* * *

(١) أي: كلمة (العطا) تقصر كما هنا، وتمد (العطاء).

فصل

في ذكر من قيل بعدم إسلامه من طوائف الملحدين

٨٦ - وَقِيلَ فِي الدُّرُوزِ وَالزَّنَادِقَهْ ... وَسَائِرِ الطَّوَائِفِ المُنَافِقَهْ[1]

٨٧ - وَكُلِّ دَاعٍ لابْتِدَاعٍ يُقْتَلُ ... كَمَنْ تَكَرَّرْ نَكْثُهُ لاَ يُقْبَلُ

٨٨ - لأَنَّهُ لَمْ يَبْدُ مِنْ إِيمَانِهِ ... إلاَّ الَّذِي أَذَاعَ مِنْ لِسَانِهِ

٨٩ - كَمُلْحِدٍ وَسَاحِرٍ وَسَاحِرَهْ ... وَهُمْ عَلَى نِيَّاتِهِمْ فِي الآخِرَهْ

٩٠ - قُلْتُ وَإِنْ دَلَّتْ دَلاَئِلُ الهُدَى ... كَمَا جَرَى لِلْعَيْلَبُونِيِّ اهْتَدَى

٩١ - فَإِنَّهُ أَذَاعَ مِنْ أَسْرَارِهِمْ ... مَا كَانَ فِيهِ الهَتْكُ عَنْ أَسْتَارِهِمْ

٩٢ - وَكَانَ لِلدِّينِ الْقَوِيمِ نَاصِرَا ... فَصَارَ مِنَّا بَاطِنًا وَظَاهِرَا

٩٣ - فَكُلُّ زِنْدِيقٍ وَكُلُّ مَارِقِ ... وَجَاحِدٍ وَمُلْحِدٍ مُنَافِقِ

٩٤ - إِذَا اسْتَبَانَ نُصْحُهُ لِلدِّينِ ... فَإِنَّهُ يُقْبَلُ عَنْ يَقِينِ

قوله: «وَقِيلَ» وهو المذهب فقهًا «فِي» طوائف «الدُّرُوزِ» من «الحمزاوية» أتباع «حمزة اللباد» المدعو عندهم بـ«هادي المستجيبين». وهم القائلون بإلهية الحاكم العُبيديِّ.

ومثلهم «البابية» القائلون بإلهية «الباب» وغيره من طواغيتهم.

وهم أربع فرق:

الأولى: «**البابية الخُلَّص**» أي: الذين اتبعوا «الباب» فقط، وهو «**محمد بن عليٍّ الشيرازيُّ**» ولد سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين،

---

(١) ذَكَرَ العُلَمَاءُ تَحَتُّمَ قَتْلِ جَمَاعَةٍ مِنَ الزَّنَادِقَةِ وَأَهْلِ الإِلْحَادِ؛ لِعَدَمِ قَبُولِ إِسْلَامِهِمْ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ كَالزِّنْدِيقِ، وَمَنْ تَكَرَّرَتْ رِدَّتُهُ، أَوْ كَفَرَ بِسِحْرِهِ، أَوْ سَبَّ اللَّهِ، أَوْ رَسُولِهِ، أَوْ تَنَقُّصِهِ.

وكان تلميذًا لأحد تلامذة «أحمد الأحسائيِّ» وهو «كاظم الرشتي» الذي مزج التصوف والفلسفة بالشريعة، وجمع بين الاعتقادات الإمامية والأصول الفلسفية على نمط جديد.

ثم إن «**الميرزا محمد عليّ**» سمى نفسه بـ«الباب» أخذًا من الحديث المشهور: «**أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها**»[(١)] وأظهر التقشف، فاغتر به الأغرار، فما زال أمره يظهر حتى ادعى النبوة ثم الألوهية، فقتل كفرًا بإفتاء علماء الفرس بـ«تبريز» سنة ألف ومائتين وخمس وستين.

الثانية: «**البابية الأزلية**» القائلون بخلافة تلميذ الباب «يحيى» الملقب بـ«**صبح أزل**» لقبه به «الباب».

الثالثة: «**البابية البهائية**» القائلون بإلهية «**البهاء الميرزا حسين المازَنْدَرانيِّ**» وهو أخو يحيى المتقدم. وقد نُفي إلى عكَّا، كما نُفي أخوه إلى قبرص. مات سنة ألف وثلاثمائة وتسع وستين.

الرابعة: «**البابية العباسية**» القائلون بإلهية «**عباس**» ابن البهاء الذي قبله. وقد ولد هذا بطهران سنة ألف ومائتين وخمس وستين، ورافق أباه بالنفي إلى بغداد وأدرنة وعكا، وهو الآن - أي سنة ألف وثلاثمائة وأربع وثلاثين - حيٌّ، وسيقدم على «مالك» إن شاء الله، ومسكنه في عكا من بلاد الشام.

وقد استوفى الكلام على هذه الطوائف أحد علماء الفرس في كتابه «باب الأبواب» وكذا في «مفتاح باب الأبواب».

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٦٥ رقم ١١٠٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٣٧ رقم ٤٦٣٧) وقال: صحيح، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: بل موضوع. وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب (رقم ٣٧٢٣) بلفظ: «**أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا**» وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مُنْكَرٌ.

وإنما ألحقت البابية بالدروز لأن الحكم يدور مع علته، وكلاهما قد ارتد عن الإسلام، وأَلَّهَ المخلوقَ المربوبَ دون الخالق رب العباد، فحكمهم حكم الدروز «**وَالزَّنَادِقَهْ**» جمع (زنديق) وهو الذي يُظهر الإسلام ويُخفي الكفر «**وَسَائِرِ**» أي بقية «**الطَّوَائِفِ**» جمع (طائفة) وهي القطعة. أو الواحد فصاعدًا «**الْمُنَافِقَهْ**» من النفاق: وهو خلاف السر والعلانية.

وكلُّ مَن أظهَر الإسلام وأبطَن خلافَه يُسمَّى «منافقًا» وأما اليوم فيُسمَّى «زنديقًا».

«**وَكُلِّ دَاعٍ لِـ**» انتحال «**ابْتِدَاعٍ**» مكفِّرٍ «**يُقْتَلُ**» لعدم قبول توبته ظاهرًا.

ذكر القاضي وأصحابه من علماء المذهب رواية عن الإمام أحمد، رحمه الله تعالى: لا تقبل توبة داعيةٍ إلى بدعة مُضِلَّةٍ.

والصحيح أنها تقبل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قد بَيَّنَ الله تعالى أنه يتوب على أئمة الكفر، الذين هم أعظم من أئمه البدع[(١)].

وأما من قلَّد الداعية إلى البدعة فإنه يُفَسَّق. نص على ذلك غير واحد.

قال العلامة الشيخ منصور[(٢)] **في «حاشية المنتهى»**: قال المَجْدُ[(٣)]: الصحيح أن كل بدعة كفَّرنا فيها الداعية فإنا نفسِّق المقلِّد

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٨٦).

(٢) هو: منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي.

(٣) هو: عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين. جد شيخ الإسلام ابن تيمية.

فيها، كمن يقول بخلق القرآن، أو بأن ألفاظنا به مخلوقة، أو أن علم الله به مخلوق، أو أن أسماء الله مخلوقة، أو أنه لا يُرَى في الآخرة، أو يسب الصحابه تديُّنًا، أو أن الإيمان مجرد الاعتقاد، وما أشبه ذلك، فمن كان عالمًا بشيء من هذه البدع، يدعو إليه، ويناظر عليه، فهو محكوم بكفره.

نص أحمد على ذلك صريحًا في مواضع.

واختُلف عنه في تكفير القدرية بنفي خلق المعاصي، على روايتين، وله في الخوارج كلام يقتضي في تكفيرهم روايتين، نقل حرب: لا تجوز شهادة صاحب بدعة. انتهى.

قلت: وإنما قيَّد نفي القدرية بالمعاصي جريًا على المشهور لدى الجمهور. والصحيح أن القدرية ينفون خلق أفعال العباد مطلقًا، بل غلَّط شيخُ الإسلام ابن تيمية حفيدُ «المجد» من خص النفي بالمعاصي فقط.

«**كَمَنْ**» أي: كمكلَّف «**تَكَرَّرَ نَكْثُهُ**» أي: نقضه للإسلام؛ بأن تكررت رِدَّتُه «**لاَ يُقْبَلُ**» منه الإسلام على ظاهر المذهب؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧].

والسبب في عدم قبول توبة نحو المنافق ذَكَرَهُ بقوله: «**لِأَنَّهُ لَمْ يَبْدُ**» للعيان ظاهرًا «**مِنْ إِيمَانِهِ**» الذي زعم أنه أتى به ودخل به إلى الإسلام «**إِلاَّ الَّذِي أَذَاعَ**» أي: أظهر «**مِنْ لِسَانِهِ**» مع عدم اعتقاده للإسلام.

«**كَـ**» ما لا يقبل إيمان «**مُلْحِدٍ**» مأخوذ من الإلحاد، وهو الميل

والعدول عن الشيء. والجمع (ملاحدة) وهم الذين يسبون الله تعالى أو نبيًّا من أنبيائه[(١)] «وَ» كـ«**سَاحِرٍ وَسَاحِرَةْ**» ممن يكفر بسحره من ذكر أو أنثى.

قال في «فتح المجيد»: قال أبو محمد المقدسيُّ ـ يعني موفَّق الدين ابن قدامة ـ **في «الكافي»**[(٢)]: السحر عزائمُ ورقًى وعُقدٌ تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه. قال: واختلفوا؛ هل يكفَّر الساحر أو لا؟.

فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأبو حنيفة وأحمد، قال أصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر.

وقال الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يوجب الكفر؛ مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يُلتَمَس منها، فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته كفر. انتهى، أي كلام الموفَّق[(٣)].

ثم ساق الشيخ عبدالرحمن بعض الآيات الدالة على أن السحر من الكفر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وغيرها.

«**وَهُمْ**» يعني الدروز والزنادقة والمنافقة ونحوهم يبعثون «**عَلَى**

---

(١) أصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد والجور عنه والإعراض. ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم، ولذلك قيل للَّحد القبر. وقد كان إلحاد المشركين في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها آلهتهم وأوثانهم وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها «اللات» اشتقاقًا منهم لها من اسم الله الذي هو «الله» وسموا بعضها «العزى» اشتقاقًا لها من اسم الله الذي هو «العزيز».

(٢) الكافي (٤/ ٦٤ ـ ٦٥) بمعناه.

(٣) بل هذا نص كلامه في «فتح المجيد» وليس من كلام الموفق ابن قدامة.

نِيَّاتِهِمْ فِي» الدار «**الْآخِرَهْ**» فمن صدق منهم في التوبة قُبلت باطنًا ونفعه ذلك بلا خلاف، كما ذكره ابن عقيل وموفَّق الدين ابن قدامة.

وقيل: يقبل الإسلام والتوبة مِن كل مَن ذُكر، حتى في الدنيا.

وإليه ذهب الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله سره، وقال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ [النساء: ١٣٧] أي: ثبتوا عليه حتى ماتوا(١).

وقد توسط الناظم في المسألة حيث قال: «**قُلْتُ: وَإِنْ دَلَّتْ**» من الشخص التائب «**دَلائِلُ الهُدَى**» وقرائن الأحوال «**كَمَا جَرَى لِـ**» حسن «**الْعَيْلَبُونِيِّ**» نسبة إلى «عَيْلَبُونَ» بلدة بالشام كانت لطائفة من الدروز ومسكنًا لهم، فتاب من إلحاده حيث إنه كان دُرْزِيًّا و«**اهْتَدَى**» وأنقذه الله من الضلال «**فَإِنَّهُ**» أي: العَيْلَبُونِيَّ «**أَذَاعَ**» أي أظهر «**مِنْ أَسْرَارِهِمْ**» أي من أسرار الدروز «**مَا**» أي شيئًا «**كَانَ فِيهِ**» أي في ذلك الشيء المذاع «**الهَتْكُ**» أي الكشف «**عَنْ أَسْتَارِهِمْ**» التي كانوا يكتمونها؛ من الوقوع على المحارم، كالبنات والأخوات، وأكل الخنزير، ورفض العبادات، وإنكار الشرائع، واعتقادهم أن كل ما حرمته الشريعة فهو مباح لهم.

قلت: وقد شاركهم «البابية» في أكثر هذه القبائح، وزادوا عليها

---

(١) لفظ شيخ الإسلام: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: ﴿ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾: ثَبَتُوا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتُوا. قُلْت: وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّائِبَ رَاجِعٌ عَنِ الْكُفْرِ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَإِنَّهُ مُسْتَمِرٌّ، يَزْدَادُ كُفْرًا بَعْدَ كُفْرٍ فَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ﴾ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ الْقَائِلِ: ثُمَّ أَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ، وَدَامُوا عَلَى الْكُفْرِ. فَهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إسْلَامِهِمْ، ثُمَّ زَادَ كُفْرُهُمْ مَا نَقَصَ، فَهَؤُلَاءِ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ، وَهِيَ التَّوْبَةُ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَابَ قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ فَقَدْ تَابَ مِنْ قَرِيبٍ وَرَجَعَ عَنْ كُفْرِهِ، فَلَمْ يَزْدَدْ بَلْ نَقَصَ؛ بِخِلَافِ الْمُصِرِّ إلَى حِينِ الْمُعَايَنَةِ فَمَا بَقِيَ لَهُ زَمَانٌ يَقَعُ لِنَقْصِ كُفْرِهِ فَضْلًا عَنْ هَدْمِهِ (مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٩).

أعظم منها قبحًا، ومن تتبَّع تواريخ الأمم التي اختلفت في الديانات لم يجد أكفر من هذه الطائفة الملعونة، فقد ألف كل طاغوت من طواغيتهم هذيانًا يزعم أنه قرآن، وفيه من الفضائح ما يستحي الإنسان من ذكره، أبعدهم الله.

«**وَكَانَ**» العَيْلَبُونِيُّ «**لِلدِّينِ الْقَوِيمِ**» والهدي المستقيم «**نَاصِرًا**» باتباعه فضلًا «**فَصَارَ مِنَّا**» أهل الحق «**بَاطِنًا**» أي في الباطن «**وَظَاهِرًا**» فهو مسلم مقبول الإسلام.

وكان العَيْلَبُونِيُّ شاعرًا لبيبًا، أخذ عن علماء مصر ودمشق، وجاور بها، ثم ارتحل إلى عكا، ومات بها سنة ألف وخمس وثمانين. رحمه الله تعالى.

«**فَكُلُّ زِنْدِيقٍ**» لا يتدين بدين «**وَكُلُّ مَارِقٍ**» من أهل البدع «**وَ**» كل «**جَاحِدٍ**» من درزيٍّ ودَهريٍّ وغيرهما «**وَ**» كل «**مُلْحِدٍ**» في آيات الله ومُنكِر لشيء مما ثبت بالضرورة من الشريعة «**مُنَافِقٍ**» أي: ذي نفاق «**إِذَا**» تاب مما هو عليه و«**اسْتَبَانَ**» أي: بان وظهر صحة إيمانه و«**نُصْحُهُ لِلدِّينِ**» القويم «**فَإِنَّهُ**» أي: هذا التائب «**يُقْبَلُ**» منه ذلك الرجوع والتوبة «**عَنْ يَقِينٍ**» وهو الحكم الجازم المطابق للواقع.

وسنده قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ الآية [البقرة: ١٦٠].

* * *

فصل
في الكلام على الإيمان

وهو لغةً: التصديق. واصطلاحًا: تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به [من] ربه.

وهو تصديق تامٌّ، قائم بالقلب، مستلزم لما وجب من الأعمال القلبية، وأعمال الجوارح، فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم.

ولهذا قال:

٩٥ ـ إِيمَانُنَا قَوْلٌ وَقَصْدٌ وَعَمَلْ   تَزِيدُهُ التَّقْوَى وَيَنْقُصْ بِالزَّلَلْ

قوله: «**إِيمَانُنَا**» أي: أهل السنة أتباع الأثر «**قَوْلٌ**» باللسان، فمن لم يُقِرَّ ويصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى مصدِّقًا، فليس بمؤمن.

«**وَقَصْدٌ**» أي: عَقد بالجَنَان، فمن تكلم بكلمة التوحيد غير معتقد لها بقلبه، فهو منافق وليس بمؤمن.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، فنفى الله الإيمان عن المنافقين.

«**وَعَمَلْ**» بالأركان. وهذا هو اللفظ الوارد عن السلف.

قال البخاري في «صحيحه»: الإيمان قول وعمل(١).

قال الحافظ في «فتح الباري»: وهذا اللفظ الوارد عن السلف الذين أطلقوا ذلك. قال: والمراد بالقول النطق بالشهادتين، وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح، ليدخل الاعتقاد والعبادات(٢).

«**تَزِيدُهُ**» أي الإيمان «**التَّقْوَى**» وهي: التحرز بطاعة الله عن مخالفته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه.

---

(١) لفظ البخاري: «وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ» قاله في كتاب الإيمان، باب: قول النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ».

(٢) فتح الباري (١/٤٦) وأوله: «وَفِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيِّ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ».

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات، كما قال الشاعر:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كَمَاشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تَحْقِرَنَّ صغيرة إن الجبال من الحصى

«وَيَنْقُصُ» الإيمان «بِـ» ارتكاب «الزَّلَلْ» وتعاطيه.

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٩٦ ـ وَنَحْنُ فِي إِيمَانِنَا نَسْتَثْنِي مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فَاسْتَمِعْ وَاسْتَبِنْ

قوله: «**وَنَحْنُ**» أي: أهل السنة أتباع الأثر «**فِي إِيمَانِنَا**» الذي سبق تعريفه «**نَسْتَثْنِي**» فيقول أحدنا: أنا مؤمن إن شاء الله «**مِنْ غَيْرِ شَكٍّ**» مِنَّا في ذلك.

والشك: التردد بين طرفين لا مزية لأحدهما على الآخر.

«**فَاسْتَمِعْ**» أي: اطلب سماع أدلة ذلك «**وَاسْتَبِنْ**» بسكون الباء لإقامة الوزن، أي: اطلب بيانه بأدلته النقلية والعقلية المفصلة في ذلك.

وأحسن كتاب في ذلك وأجمعه، فيما علمت، كتاب «الإيمان» للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله سره، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه: وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل: «أنا مؤمن إن شاء الله» فالناس فيه على ثلاثة أقوال: منهم من يُوجِبه، ومنهم من يُحرِّمه، ومنهم من يجوِّز الأمرين باعتبارَين، وهذا أصح الأقوال، فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم، ممن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا، يعلمه

الإنسان من نفسه(١).

ثم أطال الكلام بما يملأ القلب نورًا وإيمانًا.

٩٧ ـ نُتَابِعُ الْأَخْيَارَ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرْ وَنَقْتَفِي الْآثَارَ لاَ أَهْلَ الْأَشَرْ

قوله: «**نُتَابِعُ**» أي: في اعتقادنا الجازم «**الْأَخْيَارَ مِنْ**» الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة «**الْأَثَرِ**» على نهج رسول الله ﷺ «**وَنَقْتَفِي**» أي نتبع «**الْآثَارَ**» المأثورة عن الله وعن رسوله ﷺ «**لا**» نتابع «**أَهْلَ الْأَشَرِ**» أي: البطر من كل متحذلق من الجهمية والمرجئة والكَرَّامية وسائر المبتدعة، فبيننا وبينهم من الفرق ما بين القدم والفرق.

٩٨ ـ وَلاَ تَقُلْ إِيمَانُنَا مَخْلُوقُ وَلاَ قَدِيمٌ هَكَذَا مَطْلُوقُ
٩٩ ـ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ لِلصَّلاَةِ وَنَحْوِهَا مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ

قوله: «**وَلاَ تَقُلْ**» أي: أيها الأثريُّ «**إِيمَانُنَا**» الذي هو قول اللسان وعقد الجَنَان وعمل الأركان «**مَخْلُوقُ**» لدخول الأعمال فيه التي من جملتها الصلاة المشتملة على فاتحة الكتاب القديم، ولدخول الأقوال التي من جملتها «لا إله إلا الله» كلمة الإخلاص التي هي من كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

«**وَلاَ**» تقل: إيماننا «**قَدِيمٌ**» لدخول أفعالنا فيه، من الركوع والسجود والقيام والقعود، بل «**هَكَذَا مَطْلُوقُ**» عن القيود «**فَإِنَّهُ**» أي الإيمان «**يَشْمَلُ لِلصَّلاَةِ**» المشروعة «**وَ**» يشمل لـ«**نَحْوِهَا**» أي: نحو الصلاة «**مِنْ سَائِرِ**» أي بقية «**الطَّاعَاتِ**» جمع (طاعة).

والمراد بها هنا كل عبادة. وفي اصطلاح الفقهاء: كل عبادة غير واجبة. وحينئذٍ فلا بد من التفصيل.

---

(١) الإيمان (١/ ٢٢٧).

ويرحم الله الإمام ابن القيم حيث قال(١):

فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ … إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ … أذهان والآراء كل زمان
١٠٠ ـ **فَفِعْلُنَا نَحْوُ الرُّكُوعِ مُحْدَثُ … وَكُلُّ قُرْآنٍ قَدِيمٌ فَابْحَثُوا**

قوله: «**فَفِعْلُنَا**» أي: معشر الخلق «**نَحْوُ الرُّكُوعِ**» والسجود في الصلاة وسائر أفعال الخلق «**مُحْدَثُ**» لأنه مسنَد إلى العبد ومضاف إليه، والله خالق العباد وأفعالهم «**وَكُلُّ**» ما كان من «**قُرْآنٍ**» فهو «**قَدِيمٌ**» أي: غير مخلوق؛ إذ هو كلام الله، وكلامه تعالى قديم، والكلام صفة من صفات كماله، فهو سبحانه تكلَّم، ويكلِّم من أطاعه، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه.

قال العلامة الشيخ عبدالرحمن في «فتح المجيد»: وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين؛ قيام الأفعال بالله تعالى، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئًا فشيئًا، ولم يزل متصفًا به، فهو حادث الآحاد، قديم النوع، كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضًا، وذلك في القرآن كثير. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا قالوا لنا، يعني النُّفَاةَ: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قائمة به! قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، ولفظ الحوادث مجمل؛ فقد يراد به الأعراض والنقائص! والله تعالى منزَّه عن ذلك، ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله، ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب

---

(١) الكافية الشافية (١/ ٥٢).

والسنة. والقول الصحيح هو قول أهل العلم والحديث الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء. كما قال عبدالله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة السنة[(١)] انتهى.

قال العلامة الشيخ عبدالرحمن: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم[(٢)].

وقوله: «**فَابْحَثُوا**» تمم به البيت. والبحث: التفتيش عن دقائق المعاني.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قال: «الإيمان مخلوق» كفر، ومن قال «غير مخلوق» ابتدع[(٣)].

قال الحافظ عبدالغنيِّ: وإنما كفَّر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ومن قال بخلق ذلك كفَر، وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون، ومن قال بقِدَم ذلك ابتدَعَ.

١٠١ ـ وَوَكَّلَ اللّهُ مِنَ الْكِرَامِ   اثْنَيْنِ حَافِظَيْنِ لِلأَنَامِ
١٠٢ ـ فَيَكْتُبَانِ كُلَّ أَفْعَالِ الْوَرَى   كَمَا أَتَى فِي النَّصِّ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا

قوله: «**وَوَكَّلَ اللّهُ**» سبحانه وتعالى، أي: ومما يجب الإيمان به أن الله تعالى وكَّل «**مِنَ**» الملائكة «**الْكِرَام**» وصفهم بالكرام لما جاء بالكتاب والسنة من وصفهم بذلك، وهم ذوات قائمة بأنفسهم، قادرة على التشكُّل بالقدرة الإلهية، كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة.

وقد حكى غير واحد من المحققين الاتفاق على أن الملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ١١٨ ـ ١١٩).
(٢) فتح المجيد (١/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).
(٣) عقيدة الإمام أحمد رواية الخلال (١/ ١١٧).

«**اثْنَيْنِ**» مفعول (وكَّل) «**حَافِظَيْنِ لِلأَنَام**» كـ(سحاب): الخلقُ من جميع ما على وجه الأرض. والمراد هنا من الإنس «**فَيَكْتُبَانِ**» يعني الملكين الحافظين «**كُلَّ أَفْعَالِ الْوَرَى**» كـ(فتى) الخلق «**كَمَا أَتَى فِي النَّصِّ**» القرآني، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢] وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ ـ ١٨] «**مِنْ غَيْرِ امْتِرَا**» أي: شك.

قال المحققون، منهم ابن حَمدان في «نهاية المبتدئين»: الرقيب والعتيد ملكان موكَّلان بالعبد، يجب أن نؤمن بهما ونصدق بأنهما يكتبان أفعاله، ولا يفارقان العبد بحال. وقيل: بل عند الخلاء[١].

وقال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائطه، وعند جِمَاعِه.

ومفارقتهما للمكلف حينئذٍ لا يمنع من كتبهما ما يصدر منه في تلك الحال، كالاعتقاد القلبيِّ، يجعل الله لهما أمارة على ذلك.

والصحيح من مذهبنا، كالمالكية، كتب حسنات الصبيِّ.

قال علماؤنا: يكتب له ولا يكتب عليه.

واختلف العلماء؛ هل للكافر حفظة أو لا؟

الأكثر: نعم.

قال بعض المالكية: ولا يصح غيره.

وصوبه النوويُّ. وللعلماء فيه كلام طويل لا يليق ذكره بهذا المختصر.



(١) نهاية المبتدئين (٥٣).

الباب الرابع
في ذكر السمعيات

وهي التي طريق العلم بها الكتاب أو السنة والآثار، مما ليس للعقل فيه مجال.

ويقابله ما يثبت بالعقل وإن وافق النقل. فما كان طريق العلم به العقل يسمَّى «**العقليات والنظريات**» ولهذا يقال لعلماء هذا الشأن «النُّظَّار».

وقد أشار إلى ذكر المقصود بقوله:

١٠٣ ـ وَكُلُّ مَا صَحَّ مِنَ الْأَخْبَارِ أَوْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ وَالْآثَارِ

١٠٤ ـ مِنْ فِتْنَةِ الْبَرْزَخِ وَالْقُبُورِ وَمَا أَتَى فِي ذَا مِنَ الْأُمُورِ

قوله: «**وَكُلُّ مَا**» أي حكم «**صَحَّ**» عن رسول الله ﷺ من الأحكام أو خبر «**مِنَ الْأَخْبَارِ**» النبوية «**أَوْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ**» أي القرآن «**وَ**» ما صح في «**الْآثَارِ**» السلفية عن الصحابة، مما ليس للعقل فيه مجال، فإنه يشعر بأنهم إنما تلقَّوه عن رسول الله ﷺ «**مِنْ فِتْنَةِ الْبَرْزَخِ**» الفتنة: الامتحان والاختبار.

وفي حديث الكسوف: «**إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ**»[١]، يريد مسألة منكر ونكير.

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: من أجاب في الفتيا بإشارة اليد والرأس=

وقال عليه الصلاة والسلام: «**عني تُفتَنُون، وعني تُسأَلُون**»(١)، أي: تُـمْتحَنُون بي في قبوركم، ويتعرف إيمانكم بنبوتي.

والبرزخ، قال في «القاموس»: البرزخ الحاجز بين الشيئين من وقت الموت إلى القيامة، من مات دخله(٢).

وسُمِّيَ برزخًا لكونه حاجزًا بين الدنيا والآخرة.

«**وَمَا أَتَى**» أي: والهول الذي أتى عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه «**فِي ذَا**» اسم الإشارة راجع إلى ما تقدم من فتنة البرزخ والقبور «**مِنَ الْأُمُورِ**» العجيبة والأشياء الغريبة التي منها سؤال الملكين، فالإيمان بذلك واجب لثبوته عن النبي ﷺ في عدة أخبار يبلغ مجموعها التواتر.

وقد أخرج الشيخان(٣) من حديث البراء بن عازب عن النبيِّ ﷺ

= (رقم ٨٦)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف (رقم ٩٠٥) ولفظه: عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ: نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي المَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلاَّ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ ـ قَرِيبَ ـ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِنُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ. ثَلاثًا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ. وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**».

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤٢/ ١٢ رقم ٢٥٠٨٩) ولفظه: «**فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ؛ فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ...**».

(٢) القاموس المحيط (ب ر ز خ).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(رقم ٤٦٩٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (رقم ٢٨٧١).

أنه قال في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]: «نزلت في عذاب القبر».

زاد مسلم: «**يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيِّي محمد. فذلك قوله تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾».

وفي رواية للبخاريِّ: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أُتِيَ، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الآية[(١)]».

١٠٥ ـ وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْوَرَى لَمْ تُعْدَمِ مَعْ كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً فَاسْتَفْهِمِ

قوله: «**وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْوَرَى**» أي مما ينبغي أن يعلم أن أرواح الورى، أي الخلق، والمراد به بنو آدم والجن؛ لأن التكليف يشملهم، فهو من إطلاق الكل مراد به البعض، فيكون مجازًا مرسلًا «**لَمْ تُعْدَمِ**» بموت الأبدان التي كانت فيها.

والأرواح: جمع رُوح، وهي جسم ممتزج بالبدن امتزاج الماء بالعود الأخضر.

«**مَعْ كَوْنِهَا**» أي الأرواح «**مَخْلُوقَةً**» لله تعالى ومحدثة «**فَاسْتَفْهِمِ**» أي: اطلب علم ذلك من مظانه.

وحاصل ذلك أنه ذكر مسألتين عظيمتين:

الأولى: أن الروح مخلوقة.

وقد اتفقت الأمة وأئمتها على ذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر (رقم ١٣٦٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢١٧).

الثانية: أنه لا يلحقها فناء ولا عدم؛ لأنها خُلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان.

وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقتها لأبدانها إلى أن يرجعها الله إليها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وإلى هذا الاختلاف أشار المتنبي بقوله:

تنازع الناس حتى لا اتفاقَ لهم ... إلا على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجَبِ
فقيل تخلص نفس المرء سالمةً ... وقيل تَشْرَكُ جسمَ المرء في العَطَبِ

والمستثنى من الهلاك ثمانية، ذكرها بعضهم في قوله:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسيُّ نار وجنة ... وعَجْبٌ وأرواح كذا اللوح والقلم

وقد نص الإمام أحمد أن العرش لا يبيد ولا يفنى؛ لأنه سقف الجنة، والله سبحانه وتعالى عليه، فلا يهلك ولا يبيد.

والعَجْبُ، بالفتح: أصل الذَّنَب، ومؤخَّر كل شيء. كما في القاموس[(١)].

ودلائل بقاء هذه الأشياء مفصلة في محالها.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] فالمراد: كل شيء كتب الله عليه الهلاك والفناء، لا ما خلقه الله للبقاء.

١٠٦ ـ فَكُلُّ مَا عَنْ سَيِّدِ الخَلْقِ وَرَدْ ... مِنْ أَمْرِ هَذَا الْبَابِ حَقٌّ لَا يُرَدْ

---

(١) القاموس المحيط (ع ج ب).

قوله: «**فَكُلُّ مَا**» أي: أي شيء «**عَنْ سَيِّدِ الخَلْقِ**» أي: أَجَلِّهِم، وهو نبينا محمد ﷺ «**وَرَدْ**» أي بالأسانيد المقبولة «**مِنْ أَمْرِ**» أي أمور «**هَذَا الْبَابِ**» الذي مناطه السمع من الكتاب والسنة وإجماع السلف، فكل ذلك «**حَقٌّ**» يجب اعتقاده والإيمان به لصحة النقول به، فـ«**لاَ يُرَدْ**» شيء من ذلك لثبوته عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

١٠٧ ـ وَمَا أَتَى فِي النَّصِّ مِنْ أَشْرَاطِ فَكُلُّهُ حَقٌّ بِلاَ شَطَاطِ

قوله: «**وَمَا أَتَى فِي النَّصِّ**» أي القرآن أو الحديث النبوي «**مِنْ أَشْرَاطِ**» جمع (شرط) وهي أمارات الساعة وعلاماتها «**فَكُلُّهُ**» أي: كل الذي أتى في النص من الأشراط والعلامات «**حَقٌّ**» واقع ويقين ليس له مدافع «**بِلاَ شَطَاطِ**» كـ(سَحَاب وكِتَاب) أي: من غير بُعد.

والمعنى أن كل ما ثبت بالنصوص من أشراط الساعة حق لا بُعْدَ فيه ولا عقل ينافيه.

١٠٨ ـ مِنْهَا الْإِمَامُ الْخَاتَمُ الْفَصِيحُ مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَسِيحُ

قوله «**منها**» أي: أشراط الساعة التي وردت بها الأخبار «**الإمام**» المقتَدَى به «**الخاتم**» للأئمة «**الفصيح**» اللسان؛ لأنه من صميم العرب «**محمد المهدي**» هذا اسمه، واسم أبيه «عبدالله».

لما روى أبو نعيم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ يَوْمٌ وَاحِدٌ، لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، يَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»[١].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء في المهدي (رقم ٢٢٣١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح. وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٧٥) من حديث ابن مسعود.

وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة[(١)] لم يثبت منها حديث واحد، والمصنف إنما ذكر «المهديَّ» لبيان أنه قد جاءت بذكره أحاديث تنبئ بمجيئه، لا أنه مما يجب اعتقاده، فلا نعتقد بمجيء هذا «المهديِّ»[(٢)] ولا ندين الله به، إذ مبنى الاعتقاد اليقين. ومن أراد تحقيق هذه المسألة فليراجع «مقدمة» ابن خلدون، فقد أفاد فيها وأجاد[(٣)].

«وَ» منها «**المَسِيحُ**» عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو أن ينزل من السماء، إذ هو لم يمت حتى الآن، وذلك مستنبط من القرآن، وجاءت به السنة.

أما القرآن فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان[(٤)].

وأما السنة فأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ**» الحديث[(٥)].

وأما تسمية المسيح فقيل: لأن زكريا مسحه.

---

(١) انظر كتاب «تحديق النظر في أخبار الإمام المهدي المنتظر» للمؤلف.
(٢) مراد الشيخ أن لفظ (المهدي) غير ثابت عنده، والثابت هو (محمد بن عبدالله)، وقد رد الشيخ عبدالمحسن العباد على هذا القول وبين أن لفظ (المهدي) ثابت في الأحاديث.
(٣) وقد رد على ابن خلدون مجموعة من العلماء، وأفرد الشيخ أحمد الصديق الغماري كتابًا بيَّن فيه أوهام ابن خلدون سماه «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون».
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٦٦٣).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: قتل الخنزير (٢٢٢٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ (رقم ١٥٥).

وقيل: لأنه لا يمسح ذا عاهة إلا برأ.

فهو مسيح الهُدَى، ويقتل مسيح الضلال، كما قال:

١٠٩ ـ وَأَنَّهُ يَقْتُلُ لِلدَّجَّالِ بِبَابِ لُدَّ خَلِّ عَنْ جِدَالِ

قوله: «**وَأَنَّهُ**» أي مسيح الهُدَى «**يَقْتُلُ**» بأمر الله تعالى «**لِلدَّجَّالِ**» أي الكذاب.

وسُمِّيَ دجالًا لتمويهه على الناس وتلبيسه.

ويخرج بخراسان، كما في «سنن الترمذيّ»[(١)].

ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان، كما في «صحيح مسلم»[(٢)].

وإنما سُمِّيَ مسيحًا لأن أحد عينيه ممسوحة لا يبصر بها.

ويقتله سيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ «**بِبَابِ لُدَّ**» بضم اللام.

قال ياقوت: هي قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، ببابها يدرك عيسى ابنُ مريم الدجَّالَ فيقتله[(٣)].

وقد دل على ذلك حديث في «مسند» الإمام أحمد[(٤)] رحمه الله تعالى.

---

(١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا (خُرَاسَانُ) يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ**» أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء من أين يخرج الدجال (رقم ٢٢٣٧) وقال: حديث حسن غريب. وصححه الألباني.

(٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**» أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب: في بقية من أحاديث الدجال (رقم ٢٩٤٤).

(٣) معجم البلدان (٥/ ١٥).

(٤) عَنْ مُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَقْتُلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ أَوْ إِلَى جَانِبِ لُدٍّ**» أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٢/ ٢٢٦ رقم ١٩٤٧٨).

«**خَلِّ عَنِ جِدَالِ**» في أمر الدجال، فلا تجادل في مجيئه وقتل المسيح إياه لورود ذلك في الأحاديث، والواجب علينا قبول ما صح منها وإن لم تبلغه عقولنا.

١١٠ ـ وَأَمْرَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ اثْبِتِ   فَإِنَّهُ حَقٌّ كَهَدْمِ الْكَعْبَةِ

قوله: «**وَأَمْرَ**» مفعول مقدم لقوله «**اثبتِ**» وهو مضاف و«**يَأْجُوجَ**» مضاف إليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة للعلمية والعجمة، و«**مَأْجُوجَ**» معطوف عليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة «**اثْبِتِ**» أي اعتقِدْ ثبوته «**فَإِنَّهُ**» أي أمر يأجوج ومأجوج، يعني خروجهم «**حَقٌّ**» ثابت، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] فمجيئهم قطعي يجب الإيمان به.

قال المؤرخون: أولاد نوح ثلاثة: «سام» وهو أبو العرب والعجم والروم، و«حام» أبو الحبشة والزنج والنوبة، و«يافث» أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج.

فخروجهم ثابت «**كـ**» ثبوت «**هَدْمِ الْكَعْبَةِ**».

كما روى البخاريُّ وغيره عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ**»[(١)].

وقوله: «ذو السُّوَيقتَيْنِ» أي صاحبهما. وهما تصغير (ساقين) أي: دقيق الساقين.

واختلف العلماء؛ متى يكون ذلك؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: هدم الكعبة (رقم ١٥٩٦)، ومسلم في كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت (رقم ٢٩٠٩).

فقيل: بعد خروج الدابة.

وقيل: بعد الآيات كلها، قرب قيام الساعة، حين ينقطع الحجُّ، ولا يبقى في الأرض من يقول «الله الله».

١١١ ـ وَأَنَّ مِنْهَا آيَةَ الدُّخَانِ وَأَنَّهُ يُذْهَبُ بِالْقُرْآنِ

قوله: «**وَأَنَّ مِنْهَا**» أي: من أشراط الساعة التي ورد النص بها «**آيَةَ الدُّخَانِ**» وهي ثابتة بالكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].

قال ابن عباس وغيره: هو دخان قبل قيام الساعة، يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنَ كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أُوقِدَ فيه، ولم يأت بعد، وهو آتٍ[(١)].

وأما السنة ففي «صحيح مسلم» من حديث حذيفة[(٢)] مرفوعًا: «**إنها**» أي الساعة «**لن تقوم حتى تروا عشر آيات**» فذكر منها الدخان[(٣)].

«**وأنه**» الضمير للشأن و«**يذهب**» بالبناء للمفعول «**بالقرآن**» العظيم.

---

(١) انظر تفسير البغوي (٤/ ١٧٥).

(٢) هو «حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ».

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة رقم (٢٩٠١) ولفظه: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**» فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ...

يعني أن من أشراط الساعة أنه يُرفَع القرآن، فلا يبقى في المصاحف ولا الصدور منه حرف واحد.

وقد تقدم ذكر ما حكاه الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية عن السلف؛ من أن القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن معنى «وإليه يعود» ما جاء في الآثار أن القرآن يُسْرَى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف، ولا في القلوب منه آية(١).

١١٢ ـ طُلُوعُ شَمْسِ الْأُفْقِ مِنْ دَبُورِ كَذَاتِ أَجْيَادٍ عَلَى الْمَشْهُورِ

قوله: «**طُلُوعُ**» أي: ومن أشراط الساعة طلوع «**شَمْسِ الْأُفُقِ**» هو الناحية، والجمع (آفاق).

والأفق: ما ظهر من نواحي الفلك. وهو المراد هنا.

«**مِنْ دَبُورِ**» بفتح الدال المهملة: جهة المغرب؛ لأنها تدابر باب الكعبة.

وتُسمَّى الريح التي تهب من جهة المغرب دبورًا.

وفي الحديث عنه ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**» رواه الشيخان عن ابن عباس(٢).

قال العلماء: طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) عَنْ شَدَّادِ بْنِ مَعْقِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَإِنَّ آخِرَ مَا يَبْقَى مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَيُصَلِّيَنَّ الْقَوْمُ الَّذِينَ لَا دِينَ لَهُمْ، وَلَيُنْتَزَعَنَّ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ. قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَسْنَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا! قَالَ: يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا فَيُذْهَبُ بِهِ مِنْ أَجْوَافِ الرِّجَالِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ. أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٦٢ رقم ٥٩٨١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ «نصرت بالصبا» (رقم ١٠٣٥)، ومسلم في كتاب الاستسقاء، باب: في ريح الصبا والدبور (رقم ٩٠٠).

«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾(١) الآية [الأنعام: ١٥٨]».

وقال جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] إنها طلوع الشمس من مغربها(٢).

«**كَذَاتِ أَجْيَادٍ**» يعني أن طلوع الشمس من مغربها من أشراط الساعة وعلاماتها، كـ(ذات أجياد) وهي الدابة التي تخرج منه.

و(ذات) بمعنى صاحبة.

و(أجياد) أرض بمكة أو جبل بها. ويقال فيه (جياد) بلا همزة.

ولما كان موضع خروجها مختلفًا فيه قال «**عَلَى المَشْهُورِ**» أي: من الأقوال(٣).

والمقصود بيان أن خروج الدابة من علامات الساعة التي يجب الإيمان بها.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ اختلف في معنى هذا الوقوع:

فقال قتادة: وجب الغضب عليهم(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ (رقم ٤٦٣٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (رقم ١٥٧).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١٣ ـ ٢٧).

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ١٢١ ـ ١٢٦).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١١٩).

وقيل: وقع القول بموت العلماء، وذهاب العلم، ورفع القرآن، وذلك إذا لم يأمروا بالمعروف وينهَوا عن المنكر. قاله ابن عمر[(١)].

وجواب الشرط قوله: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾.

قيل: تكلم الموحدين ببطلان سوى دين الإسلام[(٢)].

وقيل: تكلمهم بما يسوؤهم[(٣)].

وقيل: تكلمهم بقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

قال ابن عباس: أي بخروجها؛ لأن خروجها من الآيات.

١١٣ ـ وَآخِرُ الْآيَاتِ حَشْرُ النَّارِ كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَخْبَارِ

قوله: «**وَآخِرُ الْآيَاتِ**» أي: آيات الساعة وعلاماتها الدالة على قربها «**حَشْرُ النَّارِ**» للناس من المشرق إلى المغرب، ومن اليمن إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام «**كَمَا أَتَى**» ذلك مصرَّحًا به «**فِي مُحْكَمِ الْأَخْبَارِ**».

ففي «**صحيح مسلم**» من حديث حذيفة بن أَسِيدٍ الغفاريِّ أنه ﷺ أخبر ببعض أشرطة الساعة، وقال: «**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٢٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٣٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٣٨).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة رقم (٢٩٠١) ولفظه: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**» فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ...

وهذا لا يعارض ما في «البخاريِّ» عن أنس مرفوعًا: «**أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق، فتحشر الناس إلى المغرب**»(١).

فقال غير واحد من العلماء: إنهما ناران:

إحداهما: تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

والثانية: تخرج من اليمن فتطرد الناس إلى المحشر الذي هو أرض الشام.

فلعل إحدى النارين في أول الآيات والأخرى في آخرها(٢).

ومع هذا فقد اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ هل يوم القيامة أو قبله؟

فقال القرطبيُّ والخطابيُّ، وصوَّبه القاضي عياض: إن هذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: خلق آدم وذريته (رقم **٣٣٢٩**) ولفظه: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ. قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ**» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا**» قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟**» قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ!**» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ! فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا. وَوَقَعُوا فِيهِ.

(٢) إكمال المعلم (٨/ ٤٤٢). والصواب أنها نار واحدة.

الحشر يكون قبل يوم القيامة[١].

وقال الحكيم الترمذيُّ وأبو حامد الغزاليُّ: هو يوم القيامة. والله أعلم.

١١٤ ـ فَكُلُّهَا صَحَّتْ بِهَا الْأَخْبَارُ وَسَطَّرَتْ آثَارَهَا الْأَخْيَارُ

قوله: «**فَكُلُّهَا**» أي: الأشراط المذكورة «**صَحَّتْ بِهَا الْأَخْبَارُ**» أي: بأكثرها؛ فإن الأحاديث التي فيها ذكر «المهديِّ» لم تصح عند علماء الحديث[٢] «**وَ**» كلها قد «**سَطَّرَتْ**» أي: كتبت «**آثَارَهَا**» أي: الآثار الدالة عليها «**الْأَخْيَارُ**» جمع (خَيِّر) وهم ضد الأشرار، والمراد بهم علماء الأمة من التابعين وتابعيهم، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

١١٥ ـ وَاجْزِمْ بِأَمْرِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحَشْرِ جَزْمًا بَعْدَ نَفْخِ الصُّورِ

قوله: «**وَاجْزِمْ**» أي: جزم إيقان وإذعان «**بِأَمْرِ الْبَعْثِ**» بعد الموت «**وَالنُّشُورِ**» من القبور «**وَالْحَشْرِ**» لأجل الجزاء وفصل القضاء «**جَزْمًا**» مصدر مؤكِّد لعامله الذي هو (اجزم) «**بَعْدَ**» ظرف زمان «**نَفْخٍ**» في «**الصُّورِ**» المراد نفخة البعث.

وفي «الترمذيِّ» وحسَّنه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»[٣].

وحاصل ما ذكر في هذا البيت أربعة أشياء: البعث، والنشور، والحشر، والنفخ في الصور.

---

(١) إكمال المعلم (٨/ ٣٩١).

(٢) يأتي الرد على هذا القول في تعليق المحقق على كتاب «تحديق النظر».

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الصور (رقم ٢٤٣٠).

أما البعث فالمراد به المعاد الجسمانيُّ، فإنه المتبادر عند الإطلاق، ويجب الإيمان به واعتقاده، ويكفُر مُنكِرُهُ.

وأما النشور فهو يرادف البعث في المعنى. يقال: نُشِرَ المَيِّتُ يُنْشَرُ نُشُورًا؛ إذا عاش بعد الموت. وأنشَرَه الله؛ أي أحياه. ومنه قولهم: (يوم البعث والنشور).

وأما الحشر فهو في اللغة: الجمع. تقول: حشرت الناس؛ إذا جمعتهم. والمراد به جمع أجزاء الإنسان بعد التفرقة، ثم إحياء الأبدان بعد موتها.

وأما النفخ في الصور فهو ثلاث نفخات:

نفخة الفزع، وهي التي يتغير بها العالم ويفسُد نظامه. وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص: ١٥].

يقول تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ أي: ما ينتظر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار مكة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ وهي النفخة الكائنة عند قيام الساعة ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ في محل نصب صفة لـ(صيحة).

قال الزجاج: فَوَاق، بفتح الفاء وضمها، لغتان، بمعنًى واحد، وهو الزمان الذي بين حلبتَي الحالب ورضعتَي الراضع(١).

وقال السُّدِّيُّ: ما لها من إفاقة(٢).

ونفخة الصعق، وفيها هلاك العالم.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨] وقد فُسِّر الصعق بالموت(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٤).

ونفخة البعث.

وقد دل عليها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

١١٦ ـ كَذَا وُقُوفُ الخَلْقِ لِلْحِسَابِ وَالصُّحْفِ وَالْمِيزَانِ لِلثَّوَابِ

قوله: «كَذَا» أي: كما يجب الإيمان بالبعث وما عطف عليه، يجب الجزم والإيمان بأمر «وُقُوفُ الخَلْقِ» من الإنس والجن والدواب والطير.

قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، والضمير المنصوب في قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ مراد به الخلائق.

«لِلْحِسَابِ» الثابت بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق بلا ارتياب.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، وقال تعالى في حق أعدائه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨].

قال الثعلبيُّ: الحساب: تعريف الله عَزَّوَجَلَّ الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نَسُوه من ذلك، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾(١) [المجادلة: ٦].

«وَ» كذا وقوف الخلق لأخذ «الصُّحْفِ» جمع (صحيفة) وهي التي كتبتها الملائكة، وأحصَوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية.

(١) تفسير الثعلبي (٢/ ١١٧).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ١٠] أي: فُتحت وبُسطت للحساب. لأنها تُطوَى عند الموت وتنشر عند الحساب، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها، فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩]، ويجوز أن يراد: نُشِرَت بين أصحابها؛ أي: فُرِّقَت بينهم.

«وَ» كذا وقوف الخلق لأجل «**الْمِيزَانِ لِلثَّوَابِ**» أي: ثواب الأعمال الصالحة، وبيان السيئات الفاضحة.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والحق أن الكفار لا يقيم الله تعالى لهم وزنًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: ١٠٥].

ومن قال: توزن أعمالهم لوروده في ظواهر الآيات. قال مجيبًا عن الآية الكريمة بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنًا نافعًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ﴾ [الفرقان: ٢٣] أي: كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته.

والحق أن مؤمني الجن كالإنس في الوزن، وكافرهم ككافرهم.

قال العلامة الشيخ مرعيٌّ: إن المراد بالميزان الميزان الحقيقيُّ، لا مجرد العدل، خلافًا لبعضهم.

قال العلماء: له لسان وكِفَّتَانِ توزن به صحائف الأعمال(١).

وقال ابن عباس: توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة(٢).

(١) شرح أصول الاعتقاد (٦/ ١٢٤٢ ـ ١٢٤٥).
(٢) شعب الإيمان (١/ ٤٤٧).

١١٧ ـ كَذَا الصِّرَاطُ ثُمَّ حَوْضُ المُصْطَفَى فَيَا هَنَا لِمَنْ بِهِ نَالَ الشِّفَا

قوله: «**كَذَا الصِّرَاطُ**» أي: يجب الإيمان به لأنه حق ثابت.

وهو لغةً: الطريق الواضح. ومنه قول جرير:

أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون. فهو قنطرة بين الجنة والنار.

وخُلق من حينِ خُلقت جهنم.

ونقل في «كنز الأسرار» عن بعض أهل العلم أنه يجوز أن يخلقه الله تعالى حين يضرب على متن جهنم. والله أعلم.

«**ثُمَّ**» اجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور بثبوت «**حَوْضِ المُصْطَفَى**» وهو نبينا محمد ﷺ فإنه حق بإجماع أهل الحق.

وقد ورد في «الصحيحين» عن عبدالله بن عمرو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا**»[(١)].

«**فَيَا هَنَا**» الهنيء: ما أتاك بلا مشقة. كأنه يقول: أيها الشراب السائغ الهنيء الآتي بلا مشقة أقبل «**لِمَنْ**» أي: على أي شخص من ذكر أو أنثى «**بِهِ**»: أي سبب الشرب منه «**نَالَ**» أي أصاب. ومراده أُعطِيَ «**الشِّفَا**» من ظمأ ذلك اليوم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: في الحوض (رقم ٦٥٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (رقم ٢٢٩٢).

١١٨ ـ عَنْهُ يُذَادُ المُفْتَرِي كَمَا وَرَدْ وَمَنْ نَحَا سُبْلَ السَّلَامة لَمْ يُرَدْ

قوله «عَنْهُ» أي عن حوض المصطفى ﷺ «يُذَادُ» أي: يُطرَد «المُفْتَرِي» من الفرية، بكسر الفاء، أي: الكذب، فالمطرود عن حوضه ﷺ مَن كذب على الله ورسوله، وأحدث في الدين ما لم يأذن به الله ولا رسوله «كَمَا وَرَدْ» ذلك في أحاديث:

منها ما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَصْحَابِي! يَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(١).

قال في «جامع الأصول»: اختُلِجُوا إذا استُلِبُوا وأُخِذُوا بسرعة(٢).

قال القرطبيُّ: قال علماؤنا: كل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به، فهو من المطرودين عن الحوض، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، كالخوارج والروافض والمعتزلة(٣).

«وَمَنْ» أي: أي شخص «نَحَا» أي قصد «سُبُلَ» جمع (سبيل) وهو الطريق «السَّلَامَةِ» أي: البراءة من عيوب البدع المضلة وكبائر الذنوب، فإنه يَرِدُ الحوض و«لَمْ يُرَدْ» عنه؛ لكونه متبعًا لا مبتدِعًا، سالكًا سبيل النجاة، وأما من خالف رسول الله ﷺ قولًا أو فعلًا،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب، باب: ما جاء في قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ (رقم ٧٠٤٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (رقم ٢٢٩٧).

(٢) جامع الأصول (١٠/٤٦٨).

(٣) إكمال المعلم (٢/٥٢). التمهيد لابن عبدالبر (٢٠/٢٦٢).

وإن خدعته نفسه بأنه معظِّم لرسول الله ومحبٌّ له، فهذا جاهل مغرور، يقال له غدًا عند الورود: بُعدًا! وسُحقًا!

١١٩ ـ فَكُنْ مُطِيعًا وَاقْفُ أَهْلَ الطَّاعَهْ فِي الحَوْضِ وَالْكَوْثَرِ وَالشَّفَاعَهْ

قوله: «**فَكُنْ**» أيها الناظر السامع «**مُطِيعًا**» لما جاءت به الأخبار وصحت بمقتضاه الآثار، من صريح المنقول وصحيح المعقول «**وَاقْفُ**» أي اتبع «**أَهْلَ الطَّاعَهْ**» من أهل السنة والجماعة «**فِي**» اعتقاد ثبوت «**الحَوْضِ**» الذي تقدم ذكره، «**وَ**» اقْفُ أهل السنة أيضًا في اعتقاد ثبوت «**الْكَوْثَر**» لنبينا محمد ﷺ وهو نهر في الجنة كما فسره بذلك أكثر العلماء[(١)].

وفي «**صحيح البخاريِّ**» عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما عُرج بالنبيِّ ﷺ إلى السماء قال: «**أَتَيْتُ عَلَى نَهَر، حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ**»[(٢)].

والذي عليه المحققون أن الكوثر غير الحوض، وأن الحوض قبل الصراط.

قال القرطبيُّ: والمعنى يقتضي ذلك، فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا، فناسب تقديمه لحاجة الناس[(٣)].

واحتج القاضي عياض أن الحوض بعد الصراط، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب، والنجاة من النار[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٧٩ ـ ٦٨٢).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ (رقم ٤٩٦٤).
(٣) تذكرة القرطبي (١/ ٧٠٣).
(٤) إكمال المعلم (٧/ ٢٥٧).

وقال ابن حمدان: يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وبعد جواز الصراط. والله أعلم.

«**وَ**» اقْفُ أهل الحق بثبوت «**الشَّفَاعَهْ**» لنبينا ﷺ ولغيره ممن يأتي ذكرهم.

وهي **لغةً**: الوسيلة والطلب. **وعرفًا**: سؤال الخير للغير.

كذا عرَّفها بعضهم.

والحق أنها مشتقة من (الشفع) الذي هو ضد (الوتر) فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له.

والمشفِّع، بكسر الفاء: الذي يقبل الشفاعة.

والمشفَّع: الذي تقبل شفاعته.

فنبينا محمد ﷺ هو الشافع المشفَّع، ولكن شفاعته ما تكون إلا للمخلصين الموحدين.

ولما قال له ﷺ أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**مَنْ قَالَ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[(١)].

وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»[(٢)].

وأما من ابتدع في الدين، وأشرك مخلوقًا في عبادة رب العالمين، سواء كان مَلَكًا أو نبيًّا أو وليًّا، أو ادعى أن الأموات

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث (رقم ٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (رقم ١٩٩).

ينفعون من دعاهم، والتجأ إليهم، وأنهم وسائل بينه وبين الله، فهذا لا تناله شفاعة رسول الله ﷺ إذ هي لأهل الإخلاص، وهذا ليس بمخلِص، بل هو مشرك، وافق باعتقاده اعتقادَ المشركين القائلين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

والشفاعة ما تكون إلا بعد الإذن والرضا.

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وأصل شرك العالم طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم، ولم يعلم الجاهلون أن الأموات قد انقطع عملهم، فلا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عمَّن استغاث بهم وجعلهم وسائل وشفعاء بينه وبين الله.

١٢٠ ـ فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لِلْمُصْطَفَى   كَغَيْرِهِ مِنْ كُلِّ أَرْبَابِ الْوَفَا
١٢١ ـ مِنْ عَالِمٍ كَالرُّسْلِ وَالْأَبْرَارِ   سِوَى الَّتِي خُصَّتْ بِذِي الْأَنْوَارِ

قوله «**فَإِنَّهَا**» أي: الشفاعة العظمى وغيرها من الشفاعات التي ذكرها «**ثَابِتَةٌ**» بالنقل الصحيح بل المتواتر «**لِـ**»النبيِّ «**الْمُصْطَفَى**» محمدٍ عليه الصلاة والسلام «**كَـ**»ما أنها ثابتة لـ«**غَيْرِهِ**» أي غير نبينا عليه الصلاة والسلام «**مِنْ كُلِّ أَرْبَابِ**» أي أصحاب «**الْوَفَا**» بامتثال الأوامر واجتناب النواهي «**مِنْ عَالِمٍ** » عامل بعلمه.

كما روى البيهقيُّ عن جابر مرفوعًا: «**يُبْعَثُ الْعَالِمُ وَالْعَابِدُ، فَيُقَالُ لِلْعَابِدِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. وَيُقَالُ لِلْعَالِمِ: اثْبُتْ حَتَّى تَشْفَعَ لِلنَّاسِ بِمَا أَحْسَنْتَ أَدَبَهُمْ**»(١).

(١) شعب الإيمان (٣/ ٢٣٤ رقم ١٥٨٨).

«**كَالرُّسْلِ**» والأنبياء عليهم السلام.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**أنا أول شافع وأول مشفع**» أخرجه مسلم عن أبي هريرة(١).

وأخرج ابن ماجه والبيهقيُّ عن عثمان بن عفان مرفوعًا: «**يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ**»(٢).

«**وَالْأَبْرَارِ**» جمع (بارٍّ) وهم الأتقياء الأخيار.

فروى البيهقيُّ وغيره عن أنس مرفوعًا: «**إن الرجل يَشْفَعُ في الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيامة**»(٣).

والحاصل أن للناس شفاعاتٍ بقدر أعمالهم وعلوِّ مراتبهم، ولكن لا يشفعون ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

«**سِوَى**» الشفاعات «**الَّتِي خُصَّتْ بِذِي**» أي بصاحب «**الْأَنْوَارِ**» نبينا محمد ﷺ فلا يشاركه فيها نبيٌّ مرسَل، ولا ملَك مقرَّب.

وذكر الإمام ابن القيم أن الشفاعة ستة أنواع:

الأول: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهيَ إليه ﷺ فيقول: «**أنا لها!**»(٤)، وذلك حين يرغب

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (رقم ٢٢٧٨) ولفظه: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**».

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب: ذكر الشفاعة (رقم ٤٣١٣) وقال الألباني: موضوع.

(٣) أخرجه البزار في «مسنده» (١٣/ ٣١٩ رقم ٦٩٢١).

(٤) جزء من حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري (رقم ٧٥١٠)، ومسلم (رقم ١٩٣) ويسمى حديث الشفاعة.

الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف.

وهذه شفاعة يختص بها لا يشاركه فيها أحد.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها.

وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته، قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم ألا يدخلوها.

الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون بذنوبهم.

والأحاديث بها متواترة عن النبيِّ ﷺ وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدَّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب، ونادَوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم.

وهذه مما لم ينازع فيها أحد، وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليًّا ولا شفيعًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١].

السادس: شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه.

وهذه خاصة بأبي طالب وحده.

١٢٢ ـ وَكُلُّ إِنْسَانٍ وَكُلُّ جِنَّهْ ... فِي دَارِ نَارٍ أَوْ نَعِيمِ جَنَّهْ

١٢٣ ـ هُمَا مَصِيرُ الخَلْقِ مِن كُلِّ الْوَرَى ... فَالنَّارُ دَارُ مَنْ تَعَدَّى وَافْتَرَى

١٢٤ ـ وَمَنْ عَصَى بِذَنْبِهِ لَمْ يَخْلُدِ　　　وَإِنْ دَخَلَهَا يَا بَوَارَ الـمُعْتَدِي

قوله: «**وَكُلُّ إِنْسَانٍ**» من بني آدم، فالإنس والإنسان من البشر، والواحد: إنس وإنسيٌّ، الجمع أَنَاسِيُّ، والمرأة إنسان، وبالهاء عامية، كما في «القاموس»[(١)].

«**وَكُلُّ جِنَّةٍ**» بكسر الجيم وتشديد النون المفتوحة: طائفة الجن. والجان: اسم للجن. أي: كل واحد من الثقَلَين اللذَين هما الإنس والجن لا بد أن يكون «**فِي**» إحدى الدارَين؛ إما في «**دَارِ نَارٍ**» وهي دار البوار ومقر الكفار «**أَوْ**» في دار «**نَعِيم**» مقيم في «**جَنَّة**» المولى الكريم الرؤوف الرحيم.

فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكل ما هو كذلك فالإيمان به واجب.

والمراد من الجنة دار الثواب، ومن النار دار العقاب.

ولقد أحسن القائل:

الموت باب وكل الناس داخله　　　يا ليت شعري بعد الموت ما الدار
الدار جنة خلد إن عملت بما　　　يُرضي الإله وإن خالفت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما　　　فانظر لنفسك أي الدار تختار

وفي بيت الناظم «جناس محرف» كقولهم: جُبَّة البُرد جُنَّة البَرد. والمراد لفظ البُرد بالضم، والبَرد بالفتح. وأما لفظ الجُبَّة والجُنَّة فمن «الجناس اللاحق» وسُمِّيَ محرَّفًا لانحراف هيئة أحد اللفظين عن الآخر.

«**هُمَا**» أي الجنة والنار «**مَصِيرُ**» أي: مرجع ومآب «**الخَلْقِ**» بعد

(١) القاموس المحيط (أ ن س).

البعث من الإنس والجن، أي: لا بد لـ«**كُلِّ**» واحد من «**الْوَرَى**» كـ(فَتًى) الخلق من الإنس والجن، بل ومن الملائكة، فإنهم يكونون في الجنة.

«**فَالنَّارُ**» التي هي «**دَارُ**» البوار دار «**مَنْ**» أي: كل شخص «**تَعَدَّى**» طوره وخالف مولاه، فكفر به، أو بأحد من رسله، أو بكتاب من كتبه «**وَافْتَرَى**» فيما عبد، فلم يقف عند حدود الله، بل تجاوز.

«**وَمَنْ**» أي: أي شخص مؤمن بالله ورسوله، ولو مبتدعًا، لم يحكُم الشرع بكفره «**عَصَى**» ربه «**بِذَنْبِهِ**» أي بارتكاب ذنب غير مكفِّر، كالقتل والزنا وأكل الربا، وغير ذلك من الذنوب، ومات على الإيمان، ولم يتُبْ مما ارتكبه «**لَمْ يَخْلُدِ**» في النار «**وَإِنْ دَخَلَهَا**» ليتطهر من الأوزار فإنه يخرج منها؛ إما بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين «**يَا بَوَارَ الْمُعْتَدِي**» أي: يا هلاكه!

وفيه إشارة إلى تقبيح ما ذهبت إليه الخوارج والمعتزلة من زعمهم خلود المؤمن المُصِرِّ في النار، والحق مذهب أهل الحق.

١٢٥ ـ وَجَنَّةُ النَّعِيمِ لِلأَبْرَارِ   مَصُونَةٌ عَنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ

قوله: «**وَجَنَّةُ النَّعِيمِ**».

اعلم أن للجنة عدةَ أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات، فمن جملة تلك الأسماء «**جنة النعيم**» سميت بذلك لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس وغير ذلك من أنواع النعيم الثابتة «**لِلأَبْرَارِ**» جمع (بارٍّ) وهو كثير البِرِّ، هو اسم جامع للخير.

«**مَصُونَةٌ**» تلك الجنة، أي محفوظة «**عَنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ**» أي: جميعهم، فلا يدخلونها؛ لأن الله تعالى أعد لهم النار.

كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ﴾ الآية [البقرة: ٢٤ ـ ٢٥].

١٢٦ ـ وَاجْزِمْ بِأَنَّ النَّارَ كَالجَنَّةِ فِي وُجُـودِهَـا وَأَنَّـهَـا لَـمْ تَـتْـلَـفِ

قوله «**وَاجْزِمْ**» أي: جزم إيقان وإذعان «**بِأَنَّ النَّارَ**» وما فيها من أصناف العذاب موجودة الآن ومن قبل الآن، كما أن الجنة وما فيها من النعيم المقيم موجودة الآن ومن قبله، فالنار «**فِي وُجُودِهَا**» الآن «**كَالجَنَّةِ**» فهما موجودتان ولا تفنيان، ولذا قال: «**وَاجْزِمْ**» أيضًا بـ«**أَنَّهَا**» أي: النار « **لَمْ تَتْلَفِ**» أي: ولن تتلف وتبيد.

١٢٧ ـ فَنَسْأَلُ اللّهَ النَّعِيمَ وَالنَّظَرْ لِـرَبِّـنَـا مِـنْ غَـيْـرِ مَـا شَـيْـنٍ غَـبَـرْ
١٢٨ ـ فَـإِنَّـهُ يُـنْـظَـرُ بِـالأَبْـصَـارِ كَـمَـا أَتَـى فِـي الـنَّـصِّ وَالأَخْـبَـارِ

قوله: «**فَنَسْأَلُ اللّهَ**» العظيم «**النَّعِيمَ**» المقيم في جنات النعيم «**وَ**» نسأله سبحانه «**النَّظَرْ لِـ**» وجه «**رَبِّنَا**» مع أهل الطاعة «**مِنْ غَيْرِ مَا شَيْنٍ**» (ما) زائدة لتأكيد النفي. والشين: ضد الزين. والمراد به العذاب.

«**فَإِنَّهُ**» سبحانه «**يُنْظَرُ**» بالبناء للمفعول «**بِالأَبْصَارِ**» في دار القرار «**كَمَا أَتَى**» أي: جاء ذكر الرؤية «**فِي النَّصِّ**» القرآنيّ.

وأصل النص: أقصى الشيء وغايته. وقول الفقهاء (نص القرآن ونص السنة) أي: ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام.

«**وَ**» كما أتى في «**الأَخْبَارِ**» النبوية الثابتة.

ففي «**الصحيحين**» عن جرير بن عبدالله البَجَليِّ قال: كنا جلوسًا مع النبيِّ ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربعة عشر فقال: «**إنكم سَترون ربّكم**

عِيانًا كما تَرَونَ هذا، لا تضارُّون في رؤيته»[(١)].

والتشبيه للرؤية بالرؤية لا للمَرْئيِّ بالمَرْئيِّ، كما قاله الأئمة.

والمعنى: ترون ربكم رؤية حقيقية، ينزاح معها الشك وتنتفي معها الريبة، كرؤيتكم القمر، لا ترتابون ولا تمترون.

وفي لفظ: **«لاَ تُضَامُونَ»**[(٢)].

وروي بتخفيف الميم وضم أوله، من الضيم. أي: لا يلحقكم في رؤيته ضيم ولا مشقة، وبتشديدها والفتح على حذف إحدى التاءين، والأصل: لا تتضامون؛ أي لا يُضامُّ بعضكم بعضًا، كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفيِّ الذي لا يسهل إدراكه، فيتزاحمون عند ذلك، ينظرون إلى جهة يُضامُّ بعضهم بعضًا. يريد أنكم ترونه، وكل واحد في مكانه.

١٢٩ ـ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُحْجَبِ إِلاَّ عَنِ الْكَافِرِ وَالْمُكَذِّبِ

قوله: «**لِأَنَّهُ**» أي: الرب «**سُبْحَانَهُ**» وتعالى «**لَمْ يُحْجَبِ**» بالبناء للمفعول، أي: لم يمتنع سبحانه من أن يمكِّن عباده من رؤيته في دار القرار «**إِلاَّ عَنِ الْكَافِرِ**» بالله تعالى وبكل مكفِّر اتصف به، فكل من حكم الشرع بكفره فهو محجوب عن رؤية ربه.

وقد قال بعض الأئمة[(٣)]: ما حجب الله عَزَّ وَجَلَّ أحدًا عنه إلا عذبه. ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥ ـ ١٧] قال: بالرؤية[(٤)].

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر (رقم ٥٥٤)، ومسلم في كتاب المساجد، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر (رقم ٦٣٣).
(٢) هو لفظ البخاري.
(٣) هو ابن المبارك.
(٤) شرح مذاهب أهل السنة (١/ ٣٠).

«وَ» يُحجَب أيضًا عن «**المُكَذِّبِ**» برؤيته وبتكليمه لعباده المتقين.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لم يقل بالرؤية فهو جهميٌّ[(١)]. ومن قال: إن الله لا يُرَى في الآخرة فهو كافر، أو فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، كائنًا من كان من الناس، أليس الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].



(١) شرح مذاهب أهل السنة (١/ ٢٩).

الباب الخامس
في ذكر النبوة

١٣٠ ـ وَمِنْ عَظِيمِ مِنَّةِ السَّلَامِ وَلُطْفِهِ بِسَائِرِ الْأَنَامِ
١٣١ ـ أَنْ أَرْشَدَ الخَلْقَ إِلَى الْوُصُولِ مُبَيِّنًا لِلْحَقِّ بِالرَّسُولِ

قوله: «**وَمِنْ عَظِيمِ مِنَّةِ**» الرب «**السَّلَامِ**».

المنة مأخوذة من المن، وهو الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه. ومن أسمائه تعالى «**المنان والسلام**» ومعناه: ذو السلامة من كل عيب ونقيصة.

«**وَ**» من عظيم «**لُطْفِهِ**» أي رفقه «**بِسَائِرِ**» أي جميع «**الْأَنَامِ**» أي: الخلق، أو الإنس والجن «**أَنْ أَرْشَدَ**» أي هدى ودل «**الخَلْقَ**» من الثقلين «**إِلَى الْوُصُولِ**» إلى معرفته تعالى وعبادته والقيام بما شرعه من التكليف الذي ثمرته الفوز بالسعادة الأبدية.

«**مُبَيِّنًا**» أي مظهر النهج «**لِلْحَقِّ**» وهو الحكم المطابق للواقع.

ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك. ويقابله (الباطل).

ومن أسمائه تعالى «**الحق**» أو من صفاته بحسب الاعتبار.

«**بِالرَّسُولِ**» متعلق بـ«مبينًا».

والرسول كما تقدم: إنسان أوحيَ إليه بشرع وأُمر بتبليغه .فإن لم يؤمر بتبليغه فنبيٌّ فقط.

والأولى عدم حصرهم في عدد معين؛ لأن الحديث الوارد في ذلك ضعيف[١] وربما خالف قوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

١٣٢ ـ وَشَرْطُ مَنْ أُكْرِمَ بِالنُّبُوَّهْ حُـــرِّيَّـــةٌ ذُكُـــورَةٌ كَـــقُـــوَّهْ
١٣٣ ـ وَلاَ تُـنَـالُ رُتْـبَـةُ الـنُّـبُـوَّهْ بِالْـكَـسْـبِ وَالـتَّـهْـذِيـبِ وَالْـفُـتُـوَّهْ

---

(١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَحْدَهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةً، وَإِنَّ تَحِيَّتَهُ رَكْعَتَانِ، فَقُمْ فَارْكَعْهُمَا» قَالَ: فَقُمْتُ فَرَكَعْتُهُمَا، ثُمَّ عُدْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِالصَّلَاةِ، فَمَا الصَّلَاةُ؟ قَالَ: «خَيْرُ مَوْضُوعٍ، اسْتَكْثِرْ أَوِ اسْتَقِلَّ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْمَلُ إِيمَانًا؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَسْلَمُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الصِّيَامُ؟ قَالَ: «فَرْضٌ مُجْزِئٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ أَضْعَافٌ كَثِيرَةٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ، وَأُهْرِيقَ دَمُهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جَهْدُ الْمُقِلِّ يُسَرُّ إِلَى فَقِيرٍ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ» ثُمَّ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: «مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ؟ قَالَ: «آدَمُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قِبَلًا» ثُمَّ، قَالَ: يَا «أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سُرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشِيثُ، وَأَخْنُوخُ، وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنُوحٌ. وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودٌ، وَشُعَيْبٌ، وَصَالِحٌ، وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ» أخرجه ابن حبان (الإحسان ٢/٧٦ رقم ٣٦١) وضعفه الألباني (السلسلة الضعيفة ١٩١٠، ٦٠٩٠).

١٣٤ ـ لَكِنَّهَا فَضْلٌ مِنَ المَوْلَى الْأَجَلّْ   لِمَنْ يَشَا مِنْ خَلْقِهِ إِلَى الْأَجَلْ

قوله: «**وَشَرْطُ مَنْ**» أي: كل إنسان «**أُكْرِمَ**» بالبناء للمفعول، أي: أكرمه الله تعالى «**بِالنُّبُوَّةِ**» من (النبأ) أي: الخبر. لأن النبيَّ يُنبئ عن الله، أي: يخبر. وقيل: من النَّبْوَة: وهي الشيء المرتفع. لأن النبيَّ مرتفع الرتبة على سائر الخلق.

و«**حُرِّيَّةٌ**» خبر المبتدأ الذي هو (شرط) وذلك لأن الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة.

و«**ذُكُورَةٌ**» لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [يوسف: ١٠٩] فأثبت الرسالة للرجال المُوحَى إليهم، وأشعر بنفي ذلك عن غيرهم.

فلا تكون أنثى نَبِيَّةً، خلافًا لأهل التوراة الزاعمين نُبُوَّةَ مريم بنت عمران أخت موسى وهارون(١).

وخالف في اشتراط الذكورة أبو الحسن الأشعريُّ، وتبعه على ذلك أناس.

والحق اعتبار الذكورية.

«**كَقُوَّةٍ**» أي: كما يعتبر فيمن أكرمه الله بالنبوة أن يكون قويًّا بأعباء ما حُمِّل من ثقل النبوة.

والقوة: الطاقة. والجمع: قوًى، بالضم وبالكسر.

قال في «القاموس»: القوة ضد الضعف(٢).

«**وَلاَ تُنَالُ**» بضم أوله، أي لم تعط «**رُتْبَةُ**» نائب الفاعل. والرتبة والمرتبة: المنزلة.

---

(١) القول خطأ كما نبه على ذلك ابن كثير في البداية ٥٢٦/١، وقد بين أن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على من عنده أدنى علم.

(٢) القاموس المحيط (ق و ي).

«**النُّبُوَّةِ**» وكذا الرسالة «**بِالْكَسْبِ**» والجد والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات وتهذيب النفوس.

«**وَ**» لا تنال بـ«**التَّهْذِيبِ**» أي: تنقية البدن وتصفية الأخلاق من الرذائل، والاتصاف بالفضائل.

«**وَ**» لا تنال بـ«**الْفُتُوَّةِ**» التي هي كرم النفس وتخليصها من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف الممدوحة.

«**لَكِنَّهَا**» أي النبوة، وكذا الرسالة «**فَضْلٌ**» وإنعام «**مِنَ**» الله «**الْمَوْلَى الْأَجَلِّ**» يؤتيه مَن يشاء ممن سبق علمه وإرادته الأزليان باصطفائه لها، فالله أعلم حيث يجعل رسالته «**لِمَنْ يَشَاءُ**» أن يكرمه بالنبوة، فلا يَبلُغها أحد بعلمه، ولا يستحقها بكسبه، ولا ينالها عن استعداد ولايته، بل يَخُص بها مَن يشاء مِن خلقه.

ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله؛ لأن كلامه يقتضي أن النبوة لا تنقطع، وهو مخالف لنص القرآن، إذ نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين.

وقوله «**إِلَى الْأَجَلْ**» مراده به أن النبوة فضل من الله ونعمة يمُن بها على مَن يشاء مِن عباده، مِن عهد آدم عليه السلام إلى أن بُعث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

وهذا خلافاً للفلاسفة المَشَّائين[1] المجوِّزين اكتساب النبوة، بزعمهم أن مَن لازَم الخَلوة والعبادة، وداوَم المراقبة، وتناوَل الحلال، وأخلَى نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة، بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة، انصقلت مرآة باطنه، وفُتحت بصيرة لُبِّه لما لا يتهيأ لغيره من التحلِّي بالنبوة.

---

(١) هم أتباع أرسطو، وسموا بذلك لأنه كان يلقي الدرس وهو يتمشى والتلاميذ يسيرون من حوله.

قال شيخ الإسلام: وهؤلاء عندهم النبوة مكتَسَبة[(١)].

وكان جماعة من زنادقة الإسلام يطلبون أن يصيروا أنبياء! أبعدهم الله؛ حيث كذبوا كتابه وخالفوه.

١٣٥ ـ وَلَمْ تَزَلْ فِيمَا مَضَى الْأَنْبَاءُ ... مِنْ فَضْلِهِ تَأْتِي لِمَنْ يَشَاءُ

١٣٦ ـ حَتَّى أَتَى بِالخَاتَمِ الَّذِي خَتَمْ ... بِهِ وَأَعْلَانَا عَلَى كُلِّ الْأُمَمْ

قوله: «**وَلَمْ تَزَلْ فِيمَا**» أي: في الزمن الذي «**مَضَى**» من الأزمان «**الْأَنْبَاءُ**» جمع (نبيٍّ) كالأنبياء والنبيين «**مِنْ فَضْلِهِ**» أي: من فضل الله تعالى ولطفه، لا من حيث إن ذلك واجب عليه تعالى «**تَأْتِي**» بإبلاغ الشرائع، وبيان الحق، وإيضاح السبيل «**لِمَنْ يَشَاءُ**» سبحانه من الأمم الماضية والقرون الخالية.

فلم تَخْلُ الأرض من داع يدعو إلى الله تعالى من لَدُنْ آدم إلى أن بُعث محمد صلوات الله وسلامُه عليهما فيجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وأنهم صادقون فيما أخبَروا به عن الله تعالى إجمالاً فيما لم يعيِّنوا، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦]، **فدلت على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل، إلا من ثبتت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين.**

«**حَتَّى**» أي إلى أن «**أَتَى بِـ**» النبيِّ «**الخَاتَمِ الَّذِي خَتَمْ**» الله «**بِهِ**» النبيين والمرسلين، وأكمل بدينه كل دين.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠] أي: الذي خَتَمَهم وخُتِمُوا به، فلا نبيَّ بعده.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٥٣).

وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث العرباض بن سارية السلميِّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ**»(١).

واستدل الإمام أحمد بهذا الحديث على أن نبينا ﷺ لم يزل على التوحيد منذ نشأ.

قال الحافظ ابن رجب: بل يستدل به على أنه ﷺ ولد نبيًّا، فإن نبوته وجبت له من حين أخذ الميثاق، حيث استخرج من صلب آدم، فكان نبيًّا قبل خروجه إلى الدنيا(٢).

قال ابن عقيل: لم يكن ﷺ على دين سوى الإسلام، ولا كان على دين قومه قط.

«**وَأَعْلَانَا**» معشر أمته «**عَلَى كُلِّ الْأُمَمْ**» الماضية.

لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدولًا خيارًا.

وفضيلة هذه الأمة على الأمم المتقدمة، وإن كان ذلك باختيار الله، إلا أنه قد جعَل له سببًا، هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس، فاعتبر حالهم بمن قبلهم.

فإن قوم موسى رأَوا قدرة الباري في شق البحر، ثم قالوا: اجعل لنا إلهًا. ثم مال كثير منهم إلى عبادة العجل، وعرَضَت لهم غزاة فقالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا. فلم يقبلوا التوراة حتى نتَق عليهم الجبل، إلى غير ذلك مما هو مذكور في الكتاب العزيز.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨/ ٣٩٥ رقم ١٧١٦٣). وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) لطائف المعارف (١/ ٨٢).

وكذلك النصارى اعتقدوا أن الله جوهر، والجواهر تتماثل، ولا مِثْلَ للخالق، ومقالاتهم في عيسى، وتثليثهم، ودعواهم فيه الإلهية، وأنه ابن الله! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

١٣٧ ـ وَخَصَّهُ بِذَاكَ كَالمَقَامِ وَبَعْثِهِ لِسَائِرِ الْأَنَامِ
١٣٨ ـ وَمُعْجِزِ الْقُرْآنِ وَالْمِعْرَاجِ حَقًّا بِلَا مَيْنٍ وَلاَ اعْوِجَاجِ

قوله «وَخَصَّهُ» أي: خص الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ دون سائر الأنبياء «بِذَاكَ» أي: بكونه ختم به النبوة والرسالة، فلا نبيَّ بعده، لقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وختم الأعم يستلزم ختم الأخص، بلا عكس، والنبوة أعم من الرسالة.

«كَـ» ما خصه بـ«المَقَامِ» المحمود الذي هو الشفاعة العظمى.

«وَ» خصه بـ«بَعْثِهِ» نبيًّا رسولًا «لِسَائِرِ الْأَنَامِ» إلى جميع الخلق من الإنس والجن.

«وَ» خصه بـ«مُعْجِزِ الْقُرْآنِ» الذي أذعن لإعجازه واعترف بالعجز عن الإتيان بأقصر سورة من مثله أهلُ الفصاحة والبلاغة من سائر الأديان.

كما خصه بـ«الْمِعْرَاجِ» إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى، إلى مستوى سَمِعَ فيه صريف الأقلام، فكان قاب قوسين أو أدنى.

واختلف العلماء؛ متى كان المعراج؟

فقيل: في رمضان، في السنة الثالثة عشرة من المبعث، قبل الهجرة بثمانية أشهر.

وقيل: في ربيع الأول، قبل الهجرة بسنة.

وهذا قول ابن عباس وعائشة، وادعى ابن حزم الإجماع فيه.

وقيل: إنه ليلة سبع وعشرين من شهر رجب.

واختاره الحافظ عبدالغنيِّ المقدسيُّ الحنبليُّ.

وكان المعراج إلى السماء بجسده الشريف وروحه المقدسة، كالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به من بيت المقدس إلى السماء، حَقَّ هذا «**حَقًّا**» ثابتًا «**بِلَا مَيْنٍ**» أي: بلا كذب ولا ريب «**وَ**» بـ«**لاَ اعْوِجَاجِ**» يقال: اعوج اعوجاجًا؛ إذا كان غير مستقيم. أي: لا تخرج عن الحق والاستقامة في إثبات المعراج لرسول الله ﷺ.

والصحيح أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنهما كانا يقظة بالروح والجسد.

١٣٩ ـ فَكَمْ حَبَاهُ رَبُّهُ وَفَضَّلَهْ   وَخَصَّهُ سُبْحَانَهُ وَخَوَّلَهْ

قوله: «**فَكَمْ حَبَاهُ**» أي أعطاه. والحباء: العطاء «**رَبُّهُ**» سبحانه وتعالى من مكرمة «**وَ**» كم «**فَضَّلَهْ**» على غيره بميزة من المزايا التي لا تحصى «**وَ**» كم «**خَصَّهُ**» بخصوصية «**وَخَوَّلَهْ**» أي ملَّكه.

والمعنى أنه سبحانه خص نبيَّهُ بخصائص كثيرة، وأوصلها بعضهم إلى ثلاثمائة. وقال بعض الحفاظ: الحق عدم حصرها. وهو الصواب.

* * *

فصل
في التنبيه على بعض معجزاته

١٤٠ ـ وَمُعْجِزَاتُ خَاتَمِ الْأَنْبَاءِ كَثِيرَةٌ تَجِلُّ عَنْ إِحْصَائِي
١٤١ ـ مِنْهَا كَلَامُ اللهِ مُعْجِزُ الْوَرَى كَذَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ فِي غَيْرِ امْتِرَا

قوله «**وَمُعْجِزَاتُ**» جمع (معجزة) مأخوذة من العجز الذي هو ضد القدرة.

قال في «القاموس»: ومعجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي. والهاء للمبالغة[1]. انتهى.

والتحدي: المنازعة في الغلبة.

وقال ابن حمدان: إن المعجزة هي ما خرق العادة؛ من قول أو فعل، إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداءً، بحيث لا يقدر أحد عليها، ولا على مثلها، وعلى ما يقاربه.

فمعجزات «**خَاتَمِ الْأَنْبَاءِ**» يعني نبينا محمدًا ﷺ. والأنباء جمع نبيٍّ، كما تقدم «**كَثِيرَةٌ**» جدًّا «**تَجِلُّ**» بالكسر، أي: تعظم «**عَنْ إِحْصَائِي**» أي: عَدِّي وحفظي؛ لكثرة أفرادها وتنوعها من الأقوال والأعمال.

«**مِنْهَا**» أي: من معجزات خاتم النبيين والمرسلين «**كَلَامُ الله**» الذي سمعه منه جبريل، وسمعه نبينا محمد ﷺ من جبريل عليه السلام «**مُعْجِزُ الْوَرَى**» الخلق؛ إنسهم وجنهم، وأولهم وآخرهم، فهو مُعجِز

(١) القاموس المحيط (ع ج ز).

بنفسه، ليس في وسع البشر الإتيان بسورة من مثله، خلافًا لمن يقول بالصَّرْفَة(١)، فهو قول ضعيف كما سبق.

«كَذَا» أي: من معجزاته ﷺ «انْشِقَاقُ الْبَدْرِ» أي: القمر «مِنْ غَيْرِ امْتِرَا» أي: شك؛ لوروده بالنص.

ففي «سنن أبي داود» عن ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ(٢).

وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا(٣).

وفيهما من حديث ابن مسعود قال: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ؛ فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اشْهَدُوا**»(٤).

* * *

(١) يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَرَفَ الْعَرَبَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، لَا أَنَّهُمْ عَجَزُوا.

(٢) لم يخرجه أبو داود ولا أحد من أصحاب السنن عن ابن عمر، وإنما هو عند أبي داود الطيالسي في «مسنده» (٢٠٠٣)، وأخرجه ابن حبان (الإحسان ١٤/ ٤٢١ رقم ٦٤٩٦) بلفظ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الانصار، باب: انشقاق القمر (رقم ٣٨٦٨)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر (رقم ٢٨٠٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ (رقم ٤٨٦٤)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر (رقم ٢٨٠٠).

فصل
في ذكر فضيلة نبينا محمد ﷺ وأولي العزم وغيرهم من الأنبياء والمرسلين

١٤٢ ـ وَأَفْضَلُ الْعَالَمِ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا   نَبِيُّنَا الْمَبْعُوثُ فِي أُمِّ الْقُرَى

قوله: «**وَأَفْضَلُ الْعَالَمِ**» العلويِّ والسفليِّ؛ من ملَك وبشر وجن، في الدنيا والآخرة «**مِنْ غَيْرِ امْتِرَا**» أي: شك «**نَبِيُّنَا**» محمد «**الْمَبْعُوثُ**» رسولًا لكافة الناس «**فِي أُمِّ الْقُرَى**» أي: مكة المعظمة.

وفي تسميتها بذلك أقوال:

أقواها قول ابن عباس: سميت بذلك لأن الأرض دُحِيَت من تحتها(١).

وقال ابن قتيبة: لأنها أقدمها(٢).

وقد سماها الله تعالى بذلك كما في قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧] وتسميتها بذلك دليل على فضلها على سائر البلاد.

ومن شرفها أنها كانت لقاحًا؛ أي: لا تدين لدين الملوك، ولا ملَكها ملِكٌ قط من سائر البلدان، وكان أهلها آمنين؛ يَغْزُون ولا يُغْزَوْنَ، ويَسْبُونَ ولا يُسْبَوْنَ، ولم تُسْبَ قرشية فتوطأ قهرًا، ولا تجال عليها السهام.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٤٠٣).
(٢) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن (١/ ٢٣٢).

وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء، فقال بعضهم:

أَبَوْا دِينَ الملوك فهم لِقَاحٌ إذا هِيجُوا إلى حرب أجابوا

وفضائل سيدنا رسول الله، وبيان فضيلته على سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أشهر من أن تُذكَر، وأكثر من أن تُحصَر.

ورضي الله عن حسانَ، فلقد أحسن إذ قال:

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنَ اللهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الْإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وقد روى الحاكم في «صحيحه» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما يدل على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلد وخاتم النبوة بين كتفيه(١).

وقيل: إنه على كتفه الأيسر.

وهو شامة دالة على نبوته، يعرفه بها أهل الكتاب، ويَسألون عنها ويطلبونها ليقفوا عليها؛ لإخبار الأنبياء الأولين بها.

١٤٣ ـ وَبَعْدَهُ الْأَفْضَلُ أَهْلُ الْعَزْمِ فَالرُّسْلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَا بِالْجَزْمِ

قوله: «**وَبَعْدَهُ**» أي: بعد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**الْأَفْضَلُ**» في سائر الخلق «**أَهْلُ الْعَزْمِ**» أي: الثبات والجد. وهم على المشهور: إبراهيم وموسى وعيسى ونوح وخاتم النبيين نبينا محمد عليهم

---

(١) المستدرك (٢/ ٦٥٧ رقم ٤١٧٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وإطلاق لفظ «الصحيح» على «المستدرك» لا يصح كما قرر ذلك كثير من العلماء. وخاتم النبوة ثابت في أحاديث صحيحة.

الصلاة والسلام. وقد نظم أسماءهم بعض الفضلاء بقوله:

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح أولو العزم فاعلم

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]: ذوو الحزم[(١)].

وقال الضحاك: ذوو الجد والصبر[(٢)].

قال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي العزم، لم يبعث الله نبيًّا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل، وإنما دخلت (من) للتجنيس لا للتبعيض[(٣)].

ثم بعد أولي العزم «فـَ» الواجب اعتقاده أن يليهم في الأفضلية سائر «**الرُّسْل**» المكرمين بالرسالة «**ثُمَّ**» الأفضل بعد الرسل «**الأَنْبِيَا**» عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهم متفاوتون في الفضيلة، فبعضهم أفضل من بعض، كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فهذا واجب الاعتقاد تفصيلًا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلًا، وإجمالًا فيمن علم منهم وعلم حكمه إجمالًا. ولهذا قال «**بِالجَزْم**» السديد والقطع المفيد للحكم المذكور. وعلم من ذلك رَدُّ زعم مَن زعم أن الوليَّ قد يبلغ درجة النبيِّ كما يقوله بعض الجاهلين.

* * *

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢٧١).
(٢) تفسير البغوي (٧/ ٢٧١).
(٣) تفسير البغوي (٧/ ٢٧١).

فصل

فيما يجب للأنبياء، وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم

قد تقدم في أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من الذكورة والحرية والقوة على أعباء ما حُمِّلُوا، وذكر هنا ما يمتنع في حقهم وما يجوز، قال:

١٤٤ ـ وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَلِمْ مِنْ كُلِّ مَا نَقْصٍ وَمِنْ كُفْرٍ عُصِمْ

١٤٥ ـ كَذَاكَ مِنْ إِفْكٍ وَمِنْ خِيَانَهْ لِوَصْفِهِمْ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَهْ

قوله: «**وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ**» أي: من الأنبياء والرسل «**سَلِمْ**» وتنزه «**مِنْ كُلِّ مَا نَقْصٍ**» يؤدي إلى إزالة الحشمة وإسقاط المروءة. و(ما) زائدة للتأكيد «**وَ**» أن كل واحد منهم «**مِن كُفْرٍ**» بجميع أنواعه «**عُصِمْ**» أي: مُنع قبل النبوة وبعدها «**كَذَاكَ**» كل واحد من الأنبياء والرسل قد عُصم «**مِنْ إِفْكٍ**» أي: كذب «**وَ**» عُصِم «**مِنْ خِيَانَهْ**» ولو قلَّت «**لِـ**» وجوب «**وَصْفِهِمْ**» عليهم السلام «**بِالصِّدْقِ**» الذي هو ضد الكذب «**وَالْأَمَانَهْ**» التي هي ضد الخيانة، والضدان لا يجتمعان، فالصدق واجب في حقهم عقلًا وشرعًا، وهو مطابقة أخبارهم للواقع.

١٤٦ ـ وَجَائِزٌ فِي حَقِّ كُلِّ الرُّسْلِ النَّوْمُ وَالنِّكَاحُ مِثْلُ الْأَكْلِ

قوله: «**وَجَائِزٌ**» أي: عقلًا وشرعًا «**فِي حَقِّ كُلِّ**» الأنبياء و«**الرُّسُلِ**» عليهم السلام «**النَّوْمُ**» وهو رحمة من الله على عباده لتستريح أبدانهم عند تعبهم، وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع معرفة الأشياء، لكنْ نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه كان تنام عيناه ولا

ينام قلبه[(١)].

«وَ» مثل النوم مما هو جائز في حق الأنبياء والمرسلين الجلوس والمشي والبكاء والضحك و«النِّكَاحُ» والتَّسَرِّي، وكل ما هو من خواص البشرية المباحة «مِثْلُ الأَكْلِ» والشرب للحلال.

* * *

فصل
في الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم

١٤٧ ـ وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ بِالتَّحْقِيقِ فِي الْفَضْلِ وَالمَعْرُوفِ كَالصِّدِّيقِ

قوله: «**وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ**» أي: المحمدية أمة الإسلام «**بِالتَّحْقِيقِ**» الثابت المنصوص «**فِي الْفَضْلِ**» بجميع أنواعه «**وَ**» بذل «**المَعْرُوفِ**» من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم «**كَـ**» أبي بكر، وكان اسمه في الجاهلية (عبد الكعبة) فسماه النبيُّ ﷺ «عبدالله» ولقَّبه بـ«**الصِّدِّيقِ**»[(٢)].

قال ابن قتيبة: ولقَّبه النبيُّ ﷺ عتيقًا لجمال وجهه، فهو «أبو بكر عبدالله بن عثمان» يجتمع نسبه مع النبي عليه الصلاة والسلام في «مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب» وهو أول من أسلم وآمن بالنبيِّ ﷺ على قول أكثر أهل العلم[(٣)].

---

(١) عن عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ! قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ تَنَامُ عَيْنَايَ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي**» أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤٠/ ٨٣ رقم ٢٤٠٧٣).

(٢) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: اسْمُ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرٍو» وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ اسْمُ «عَتِيقٍ» (تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٤٧٦).

(٣) معجم الصحابة للبغوي (٢/ ٤٤٨).

ولهذا قال أبو مِحْجَن:

وسميت صديقًا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليسًا في العريش المشهر

وقيل: أول من آمن عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقيل: خديجة.

ويروى عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: الأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان عليٌّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد، ومن العبيد بلال.

وهذا من أحسن ما قيل؛ لجمعه الأقوال.

وهو أفضل الصحابة بإجماع أهل السنة.

قال شيخ الإسلام في «الفتاوى المصرية»: قد نُقل عن عليٍّ من نحو ثمانين وجهًا: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر[(١)].

وهو أول من ولي الخلافه بعد النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومدة خلافته سنتان وأربعة أشهر إلا عشر ليال[(٢)].

وتوفي، وهو ابن ثلاث وستين سنة[(٣)].

وغسَّلته زوجته أسماء بنت عُمَيس[(٤)].

---

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٧١).

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٣٠ رقم ٩٤).

(٣) عن مُعَاوِيَةَ قَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب: كم أقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة والمدينة (رقم ٢٣٥٢). قال الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي: (وأنا ابن ثلاث وستين) أي وأنا متوقع موافقتهم وأني أموت في سنتي هذه.

(٤) معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٣٠ رقم ٩٨).

وصلى عليه الخليفة بعده بعهده عمر بن الخطاب[(١)]، وهو الذي يليه في الفضيلة، فلهذا قال:

١٤٨ ـ وَبَعْدَهُ الْفَارُوقُ مِنْ غَيْرِ افْتِرَا   وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ فَاتْرُكِ الْمِرَا

قوله: «**وَبَعْدَهُ**» أي: بعد أبي بكر الصديق الذي يليه في الفضيلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب «**الْفَارُوقُ**» لقَّبه بذلك رسول الله ﷺ لأن الله فرَّق به بين الحق والباطل[(٢)]. فهو «عمر بن الخطاب القرشي العدوي» وكنيته «أبو حفص» كناه بذلك النبي ﷺ.

أسلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في السنة السادسة من البعثة[(٣)]، ففرح المسلمون بإسلامه وظهر الإسلام بعد ذلك بمكة.

بويع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق، وذلك يوم الثلاثاء، لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة، فقام بالأمر أتم القيام.

وكثرت الفتوح في أيامه، فأزال دولة الروم من الشام، وأسقط دولة الفرس المجوس من العراق وفارس حتى انقرضت، فلذا طعنه مجوسي يقال له (أبو لؤلؤة) حنَقًا لما حلَّ بقومه من الدمار والبوار، وذلك يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين. ودفن يوم الأحد[(٤)].

ولما طعن قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الحمد لله الذي جعل منيتي بيد رجل لا يدعي الإسلام.

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠٦).
(٢) تاريخ دمشق (٤٢/ ٤١).
(٣) أسد الغابة (٣/ ٦٤٣).
(٤) التاريخ الكبير (٦/ ١٣٨).

فعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر الصديق **«مِنْ غيرِ افْتِرَا»** أي: كذب، بل هو حق ثابت وصدق واضح.

«وَبَعْدَهُ» أي: بعد أمير المؤمنين في الفضيلة، أمير المؤمنين **«عُثْمَانُ»** بن عفان الأموي.

أسلم قديمًا على يد أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

وهاجر الهجرتين إلى الحبشة[(٢)].

وتزوج رقية بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة، وماتت عنده، فزوجه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أختها أم كلثوم، وتوفيت عنده أيضًا، فلذا سُمِّيَ «ذا النورَين»[(٣)].

ولي الخلافة بعد عمر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، باتفاق أهل الشورى من الصحابة.

واستشهد سنة خمس وثلاثين في داره، وذلك في ذي الحجة، وهو يومئذ صائم، تجمعت عليه الأسافل والأنذال من العراق والشام ومصر، ونهَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن قتالهم اتقاءً لسفك الدماء واحتسابًا. فرضي الله عنه وأرضاه.

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال: ما سمعت من مَرَاثِي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ
وَقَالَ لِأَهْلِ الدَّارِ لَا تَقْتُلُوهُمُ ... عَفَا اللهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ الْـ ... ـعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصُلِ
وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْخَيْرَ أَدْبَرَ بَعْدَهُ ... عَنِ النَّاسِ إِدْبَارَ الرِّيَاحِ الْجَوَافِلِ[(٤)]

---

(١) الإصابة (٣/ ٤٣٠).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة الحبشة (رقم ٣٨٧٢).
(٣) أسد الغابة (٣/ ٤٨٥).
(٤) المستدرك (٣/ ١١٣ رقم ٤٥٦٥).

فهو رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ أفضل الأمة المحمدية بعد أبي بكر وعمر، باتفاق أهل السنة، ولهذا قال: «**فَاتْرُكِ الْمِرَا**» في الجدال والشك في فضيلته؛ فإن عليًّا رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ مِن جملة مَن بايَعَه، وقد غزا معه وكان يقيم الحد بين يديه.

١٤٩ ـ وَبَعْدُ فَالْفَضْلُ حَقِيقًا فَاسْمَع ... نِظَامِي هَذَا لِلْبَطِينِ الْأَنْزَعِ
١٥٠ ـ مُجَدِّلِ الْأَبْطَالِ مَاضِي الْعَزْمِ ... مُفَرِّجِ الْأَوْجَالِ وَافِي الْحَزْمِ
١٥١ ـ وَافِي النَّدَى مُبْدِي الهُدَى مُرْدِي الْعِدَا ... مُجْلِي الصَّدَى يَا وَيْلَ مَنْ فِيهِ اعْتَدَى

قوله: «**وَبَعْدُ**» ببنائها على الضم لحذف المضاف إليه ونية ثبوت معناه، أي: وبعد عثمان بن عفان «**فَالْفَضْلُ**» الشامخ «**حَقِيقًا**» أي: في حقيقة الأمر من غير شك «**فَاسْمَع نِظَامِيَ**» أي منظومي «**هَذَا**» الذي أدرجته في هذه العقيدة المفيدة ثابت «**لِـ**» لإمام الهمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب «**الْبَطِينِ**» أي عظيم البطن «**الْأَنْزَعِ**» أي: المنحسر شعر رأسه مما فوق الجبين «**مُجَدِّلِ الْأَبْطَالِ**».

قال في «القاموس»: جدله فانجدل وتجدَّل: صرعه على الجَدَالة، كسحابة: الأرض مطلقًا، أو ذات رمل دقيق[(١)].

والأبطال جمع بطل: الرجل الشجاع. سمي بذلك لأنه تبطل عنده دماء الأقران، أو لأنه يبطل جراحته فلا يكترث لها. ولا شك أن عليًّا رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ قتل من الأبطال عدة.

وقوله: «**مَاضِي الْعَزْمِ**» إشارة إلى شدة قوته ووفور شدته.

والماضي: مِن مَضَى في الأمر مَضَاءً؛ نفذ. ومضى السيف: أي قطع.

والعزم: الجد والصبر.

(١) القاموس المحيط (ج د ل).

«**مُفَرِّج**» أي: كاشف «**الْأَوْجَالِ**» جمع (وَجَل): الخوف «**وَافِي**» أي: تام «**الحَزْمِ**» الذي هو ضبط الأمور والحذر من فواتها .

«**وَافِي**» أي: كثير «**النَّدَى**» أي: السخاء والكرم «**مُبْدِي**» أي: مظهر «**الهُدَى**» مراده العلوم الغامضة والفهوم الرائضة «**مُرْدِي**» أي: مهلك «**الْعِدَا**» جمع (عدو) وضد الولي، وهو جمع لا نظير له «**مُجْلِي**» أي: مزيل «**الصَّدَى**» أي: العطش، والمراد به كاشف الكرب ومجلي النُّوَب.

«**يَا وَيْلَ**» هذه الكلمة مثل (ويح) إلا أنها كلمة عذاب. وتنصب على إضمار الفعل، وترفع على الابتداء إذا لم تُضَف، فأما إذا أضيفت فليس إلا النصب، لأنك لو رفعتها لم يكن لها خبر.

قال عطاء بن يسار: الويل واد في جهنم، لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره.

ومعنى النداء هنا: يا ويلُ، احضُرْ، فهذا وقتك وأوانك لـ«**مَنْ**» أي: إنسان مكلف من ذكر وأنثى «**فِيهِ**» أي: في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «**اعْتَدَى**» أي: تجاوز حده بالغلو فيه كفعل الروافض، أو بانتقاصه كما فعلت الخوارج.

فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عم رسول الله ﷺ ورابعُ الخلفاء، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وصِهْرُ النبي ﷺ على فاطمة الزهراء، وأحد السابقين إلى الإسلام.

قال ابن عباس وغيره: إنه أول من أسلم(١).

وقد تقدم ما يجمع الأقوال.

---

(١) عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه الترمذي في كتاب المناقب (٣٧٣٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٣٢/ ٣٢ رقم ١٩٢٨١) واللفظ له. وقال الترمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني.

بويع رضي الله عنه بالخلافة يوم قُتل عثمان.

وقتله ابن مُلْجَم الخارجيُّ، ليلة الأحد، لتسع عشرة مضت من رمضان، سنة أربعين. وغسَّله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر. وصلَّى عليه الحسن. ودفن بدار الإمارة بالكوفة.

ومما نسب إلى الإمام عليٍّ رضي الله عنه[(١)]:

مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ أَخِي وَصِهْرِي ... وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي
وَجَعْفَرٌ الَّذِي يُمْسِي وَيُضْحِي ... يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي
وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وَعِرْسِي ... مَسُوطٌ لَحْمُهَا بِدَمِي وَلَحْمِي
وَسِبْطَا أَحْمَدَ ابْنَايَ مِنْهَا ... فَأَيُّكُمُ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي
سَبَقْتُكُمُ إِلَى الْإِسْلَامِ طُرًّا ... غُلَامًا مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حُلْمِي

١٥٢ ـ فَحُبُّهُ كَحُبِّهِمْ حَتْمًا وَجَبْ ... وَمَنْ تَعَدَّى أَوْ قَلَى فَقَدْ كَذَبْ

قوله: «**فَحُبُّهُ**» أي: حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «**كَحُبِّهِمْ**» أي: كحب الخلفاء الراشدين «**حَتْمًا وَجَبْ**» على جميع الأمة باتفاق الأئمة «**وَمَنْ تَعَدَّى**» في حبه وغَلَا فيه، وجعل له تصرُّفًا بالأحياء ينفعهم أو يضرهم «**أَوْ**» لم يقل بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة أو قَلَاهُم؛ أي: أبغضهم أو أبغض واحدًا منهم «**فَقَدْ كَذَبْ**» في كل واحدة من هاتين الخصلتين المذمومتين؛ خصلتي الإفراط أي: تجاوز الحد، والتفريط أي التقصير في حقهم وبغضهم. رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

١٥٣ ـ وَبَعْدُ فَالْأَفْضَلُ بَاقِي الْعَشَرَهْ ... فَأَهْلُ بَدْرٍ ثُمَّ أَهْلُ الشَّجَرَهْ

قوله: «**وَبَعْدُ**» أي: بعد الخلفاء الراشدين «**فَالْأَفْضَلُ**» من سائر الصحابة «**بَاقِي الْعَشَرَهْ**» المشهود لهم بالجنة والمبشَّرين بها.

---

(١) أخرجه أبو بكر بن دريد في المجتبى (ص٢٦)، ونقلها عنه ابن كثير في البداية والنهاية (١١/١١٧) وقال: وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمن علي ومعاوية. اهـ. ورد شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج (٥/٥٠، ٦٢، ٦٣) كلاماً مشابهاً لهذا نسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الرافضة.

بما رواه الترمذيُّ عن عبدالرحمن بن عوف[(١)] وابن ماجه عن سعيد بن زيد[(٢)] أن النبيَّ ﷺ قال: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ فِي الجَنَّةِ**».

فهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة، رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

ونذكر شيئًا من مآثر الستة الباقين من العشرة لمزيد الإيضاح والتبيين، فنقول:

أحدهم أبو محمد طلحة بن عبيد الله القرشيُّ التيميُّ.

أسلم قديمًا على يد أبي بكر الصديق[(٣)].

وشهد المشاهد كلها غير بدر؛ لأن النبيَّ ﷺ أنفذه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العِيرِ التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب، فعَادَا يوم اللقاء ببدر[(٤)].

وثبت مع النبيِّ ﷺ يوم أُحُد، ووقاه بيده فشَلَّت إِصبُعُه[(٥)].

وجرح يومئذٍ أربعًا وعشرين جراحة.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب: مناقب عبدالرحمن بن عوف (رقم ٣٧٤٧) واللفظ له. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فضائل العشرة (رقم ١٣٣) وصححه الألباني.

(٣) الإصابة (٣/ ٤٣٠).

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ٢١٦).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ (رقم ٤٠٦٣).

وسماه النبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ «**طلحة الخيرِ**»(١).

قُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم وقعة الجمل، يوم الخميس، لعشر بَقِينَ من جمادَى الآخرة، سنة ست وثلاثين(٢).

وثانيهم أبو عبدالله الزبير بن العوام القرشيُّ الأسديُّ.

وأمه «صفية بنت عبد المطلب» عمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسلم قديمًا على يد أبي بكر الصديق(٣).

وهاجر الهجرتين(٤).

وشهد المشاهد كلها(٥).

وهو أول من سل السيف في سبيل الله(٦).

وثبت مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد.

قتل في وقعة «الجمل» سنة ست وثلاثين(٧).

---

(١) عَنْ طَلْحَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَآنِي قَالَ: «**سَلَفِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**» وَسَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ «طَلْحَةَ الْخَيْرِ» وَفِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعُسَيْرَةِ «طَلْحَةَ الْفَيَّاضِ» وَيَوْمَ حُنَيْنٍ «طَلْحَةَ الْجُودِ» وَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ**»، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٦١٣ رقم ١٤٠٣).

(٢) التاريخ الكبير (٤/ ٣٤٤ رقم ٣٠٦٩).

(٣) الإصابة (٣/ ٤٣٠).

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٢).

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٤).

(٦) عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ سَلَّ السَّيْفَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، سَمِعَ نَفْخَةً نَفَخَهَا الشَّيْطَانُ؛ أُخِذَ رَسُولُ اللهِ! فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ يَشُقُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ، وَالنَّبِيُّ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ: «**مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟**» قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أُخِذْتَ! قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ وَلِسَيْفِهِ (معرفة الصحابة لأبي نعيم ١/ ١٠٨).

(٧) الاستيعاب (٢/ ٥١٥).

وثالثهم أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص - واسم أبي وقاص «مالكٌ» - **القرشيُّ الزهريُّ.**

أسلم قديمًا على يد أبي بكر[١].

وقال: كنتُ ثالثًا في الإسلام[٢]، وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله[٣].

شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[٤].

مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعقيق قريبًا من المدينة، فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة، وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذٍ والي المدينة مِن قِبَلِ معاوية، ودفن بالبقيع[٥]، وذلك سنة خمس وخمسين[٦] وقيل: سنة سبع وخمسين.

ورابعهم أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

قال ابن عبدالبر: هو ابن عم عمر بن الخطاب[٧].

أسلم قديمًا[٨].

وشهد المشاهد كلها غير بدر[٩] كما تقدم.

---

(١) الإصابة (٣/ ٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ باب: مناقب سعد بن أبي وقاص (رقم ٣٧٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة الطائف (رقم ٤٣٢٦).

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٥).

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٩).

(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ١١٠).

(٧) الاستيعاب (٢/ ٦١٤).

(٨) الطبقات الكبرى (٨/ ٢٦٧).

(٩) الطبقات الكبرى (٣/ ٢١٦).

مات بالعقيق[١] فحمل إلى المدينة، ودفن بها، سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة اثنتين وخمسين[٢].

وخامسهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين أبو محمد عبدالرحمن بن عوف القرشيُّ الزهريُّ.

أسلم قديمًا على يد أبي بكر[٣].

وهاجر إلى الحبشة الهجرتين[٤].

وشهد المشاهد كلها[٥].

وثبت مع النبيِّ ﷺ يوم أحد.

وصلى رسول الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خلفه يومًا في غزوة تبوك وأتم ما فاته[٦].

مات سنة اثنتين وثلاثين. ودفن بالبقيع[٧].

وسادسهم أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح القرشيُّ الفهريُّ.

أسلم مع عثمان بن مظعون.

(١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ اسْتُصْرِخَ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَمَا ارْتَفَعَ الضُّحى، فَأَتَاهُ ابْنُ عُمَرَ بِالْعَقِيقِ وَتَرَكَ الْجُمُعَةَ (مصنف عبدالرزاق ٣/ ٢٣٩ رقم ٥٤٩٤).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٨٤).

(٣) الإصابة (٣/ ٤٣٠).

(٤) الاستيعاب (٢/ ٨٤٤).

(٥) الاستيعاب (٢/ ٨٤٤).

(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ٩٥).

(٧) الاستيعاب (٢/ ٨٥٠).

وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية[(١)].

وشهد المشاهد كلها[(٢)].

وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، ونزع الحلقتين اللتَين دخلتا في وجه رسول الله ﷺ يوم أحد من حَلَق المِغْفَر بِفِيه، فوقعت ثَنِيَّتَاه، فكان أحسن الناس هتمًا[(٣)].

مات في طاعون «عَمْوَاسَ» بالأردن، سنة ثماني عشرة، ودفن هناك[(٤)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثم ذكر من يلي العشرة في الفضيلة بقوله: «**فَأَهْلُ**» غزوة «**بَدْرٍ**» التي أعز الله بها الإسلام وأذل بها عبدة الأصنام.

وبدر: قرية كانت مشهورة، على نحو أربع مراحل من المدينة.

وكانت وقعة «بدر» نهار الجمعة، لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، من السنة الثانية من الهجرة، وكان عدة المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، واستشهد من المسلمين في وقعة بدر أربعة عشر رجلًا؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وقتل من الكفار سبعون، وأُسر سبعون.

ثم بعد أهل بدر فالأفضلية ثابتة لأهل بيعة الرضوان تحت الشجرة المعهودة، وهي من شجر الطلح، وأهل بيعة الرضوان هم أصحاب الحديبية.

قال ياقوت: اختلفوا فيها؛ فمنهم من شددها، ومنهم من خففها، فرُوي عن الشافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: الصواب تشديد الحديبية، وتخفيف الجعرانة. وخطَّأ من نص على تخفيفها. وهي قرية متوسطة

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٧٩٣).

(٢) أسد الغابة (٣/ ٢٤).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٧٩٣).

(٤) الاستيعاب (٢/ ٧٩٤).

ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وفي الحديث أنها بئر، وبعض الحديبية في الحل، وبعضها في الحرم، وهو أبعد الحِلِّ من البيت(١). انتهى ملخصًا.

وسببها أن قريشًا لما منعت النبي ﷺ والمسلمين من دخول المسجد الحرام بعث عليه الصلاة والسلام عثمانَ بن عفان إلى قريش ليخبرهم أنهم لم يأتوا للقتال، وإنما جاءوا عُمَّارًا، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، ثم بلغه عليه السلام أن عثمان قتلته قريش، فدعا الناس إلى البيعة وقال: «**لا نبرح حتى نناجز القوم**» فبايعوه، وضرب عليه الصلاة والسلام بإحدى يديه على الأخرى عن عثمان وقال: «**اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك**»(٢)، ثم تبين كذب الخبر بقتل عثمان، فقدم على النبيِّ ﷺ هو ومن معه بعد البيعة، وكانوا عشرة، ثم كانت الهدنة بينه عليه الصلاة والسلام وبَيْنَ قريش، ووقع الصلح على أن يرجع ويعتمر من العام المقبل، فرجع عليه السلام، وذلك سنة ست من الهجرة، ثم اعتمر عمرة القضية، وتسمى عمرة القضاء، سنة سبع من الهجرة(٣). والله أعلم.

١٥٤ ـ وَقِيلَ أَهْلُ أُحُدِ المُقَدَّمَهْ ۞ وَالأَوَّل اوْلَى لِلنُّصُوصِ المُحْكَمَهْ

قوله: «**وَقِيلَ أَهْلُ**» غزوة جبل «**أُحُدٍ**» سمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أُخر هناك، وهو الذي قال فيه ﷺ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»(٤).

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١/ ١٣٠ رقم ١٤٢).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ١٩١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: أُحد جبل يحبنا ونحبه (رقم ٤٠٨٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب: أُحد جبل يحبنا ونحبه (رقم ١٣٩٣).

وكانت هذه الوقعة يوم السبت في شوال، سنة ثلاث من الهجرة، وسببها[(١)] أنه لما قتل الله مَن قتل من الكفار يوم بدر، ورجع من بقي منهم إلى مكة، وجدوا العير التي قدم بها أبوسفيان من الشام سالمة موقوفة في دار الندوة، فمشت أشراف قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم، إلى أبي سفيان فقالوا: نحن طيبو الأنفس بأن نجهِّز بربح هذه العير جيشًا إلى محمد. فقال أبو سفيان: أنا أول من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد المطلب معي. ففعلوا ذلك، وكانت العير ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار، فسلم إلى أهل العير رؤوس أموالهم، وعزلت الأرباح، وكانوا يربحون في تجارتهم الدينار دينارًا، وجهزوا الجيش، وفيهم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وخرجت قريش ومَن تابعها مِن القبائل فساروا حتى وصلوا إلى أُحُد، وخرج عليهم رسول الله ﷺ واقتتل الفريقان، فقُتل من المسلمين سبعون رجلًا، وقُتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلًا، وقتَل رسول الله ﷺ بيده الكريمة أُبَيَّ بن خلف، وانهزم المسلمون في هذه الوقعة إلا رسول الله ﷺ وبعض الصحابة فلم ينهزموا، وسبب هذا الانكسار مخالفة أمر رسول الله، عليه السلام، وقد عفا الله عنهم بنص القرآن.

وإذا تدبرنا ما حَلَّ بالمسلمين في هذه الأزمان مِن تغلب الكفار عليهم، وجدنا ذلك بسبب مخالفتهم أمر الله، فلا عِزَّ للمسلمين إلا بالتمسك بكتابهم وبما جاء به نبيهم من السنة الصحيحة، ولنا في قصة أُحُد أعظم عبرة، فأهل هذه الغزوة قيل: هم «**المُقَدَّمَهْ**» في الزمن والأفضلية «**وَالأَوَّلُ**» وهو تقديم أهل البيعة في الأفضلية على أهل غزوة أحد «أولى» وأحق بذلك «**لِـ**» ورود «**النُّصُوصِ المُحْكَمَهْ**» من الكتاب

(١) في المطبوع: وسيما.

والسنة، فقد رضي الله عنهم كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ..﴾ [الفتح: ١٨] ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وروى الترمذيُّ وغيره عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيَدْخُلَنَّ الجنَّة مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِلاَّ صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ**»(١).

ومن ثَمَّ قال ابن عبدالبر: ليس في غزواته ﷺ ما يعدل بدرًا أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية(٢).

وصاحب الجمل الأحمر رجل أضل بعيرًا له، فدخل في العسكر يتطلبه، ولم يكن من المسلمين، فبلغه ما قال رسول الله ﷺ فقيل له: اذهب يستغفر لك رسول الله ﷺ. فقال: لأن أجد ضالتي أحب إليَّ من أن يستغفر لي! فبينما هو سائر إذ زلقت به نعله، فتردى فمات، فما عُلم به حتى أكلته السباع. والرجل من بني ضبة من أهل سيف البحر.

١٥٥ ـ وَعَائِشَهْ فِي الْعِلْمِ مَعْ خَدِيجَهْ ... فِي السَّبْقِ فَافْهَمْ نُكْتَةَ النَّتِيجَهْ

قوله: «**وعائشة**» أي: الصديقة بنت الصديق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أم المؤمنين.

عقد عليها رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، قبل الهجرة، ودخل بها بالمدينة في السنة الأولى وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة سنة ثمان وخمسين، وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة، ودفنت بالبقيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فهي أفضل نسائه ﷺ في العلم النافع، حتى كان الأكابر من أصحاب النبيِّ عليه الصلاة والسلام إذا أشكل عليهم أمر من الدين استفتَوها، فيجدون علم ذلك عندها.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب: فيمن سب أصحاب النبي ﷺ (رقم ٣٨٦٣).

(٢) الاستيعاب (١/ ٤٣).

وقد اختلف العلماء في المفاضلة بين عائشة وخديجة.

قال ابن القيم: وسألت شيخنا عنهما فقال: اختص كل واحدة منهما بخاصة(١).

فلهذا قال: «**مَعْ خَدِيجَهْ**» بنت خويلد الأسدية أم المؤمنين.

تزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي أول أزواجه، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله بالرسالة، فآمنت به ونصرته، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يتزوج عليها غيرها، وكل أولاده منها، إلا إبراهيم فمن سُرِّيَّتِهِ مارية القبطية.

فخديجة أفضل نسائه عليه الصلاة والسلام «**فِي السَّبْقِ**» إلى الإسلام «**فَافْهَمْ**» فهم تحقيق «**نُكْتَةَ النَّتِيجَهْ**» أي: أثر فائدة الخلاف، فإن النكتة أثر قليل كالنقطة.

والنتيجة عند المناطقة: تصديق يلزم مِن تسليم تصديقَين لذاتهما. كقولنا في القياس الاقتراني من الشكل الأول: كل جسم مؤلف، وكل مؤلف حادث. ينتج: كل جسم حادث.

وقولهم (لذاتهما) يخرج به التصديق اللازم من تسليم تصديقَين،

---

(١) جلاء الأفهام (١/ ٢٣٤ ـ ٢٤٤) وتمامه: وَاخْتلف فِي تفضيلها على عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على ثَلَاثَة أَقْوَال؛ ثَالِثهَا الْوَقْف. وَسَأَلت شَيخنَا ابْن تَيْمِية رَحمَه الله فَقَالَ: اخْتصَّ كل وَاحِدَة مِنْهمَا بِخَاصَّة، فخديجة كَانَ تأثيرها فِي أول الْإِسْلَام، وَكَانَت تسلي رَسُول الله ﷺ وتثبته وتسكنه وتبذل دونه مَالهَا، فأدركت عزة الْإِسْلَام، واحتملت الْأَذَى فِي الله وَفِي رَسُوله، وَكَانَت نصرتها للرسول ﷺ فِي أعظم أَوْقَات الْحَاجة، فلهَا من النُّصْرَة والبذل مَا لَيْسَ لغَيرهَا، وَعَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تأثيرها فِي آخر الْإِسْلَام، فلهَا من التفقه فِي الدّين وتبليغه إِلَى الْأمة وانتفاع نبيها بِمَا أدَّت إِلَيْهِم من الْعلم مَا لَيْسَ لغَيرهَا. هَذَا معنى كَلَامه.

لا لذاتهما بل لأمر خارج، كقولهم: زيد مساوٍ لعمرو، وعمرٌو مساوٍ لبكر. ينتج: زيد مساوٍ لبكر. فليس هذا قياسًا اصطلاحًا لعدم تكرر الحد الوسط.

وعند المتكلمين: ما يحصل العلم به عقب العلم بوجه الدليل.

وقد اختلف علماء المعقول في الارتباط بين الدليل والنتيجة على أقوال، أشار إليها صاحب «السلم» بقوله:

وفي دلالة المقدمات ... على النتيجة خلاف آت
عقلي او عادي او تولد ... أو واجب والأول المؤيد

والمراد بها هنا الحكم المتولد من القضيتين بالتفصيل في التفضيل.

* * *

فصل

في ذكر الصحابة الكرام وبيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل وتقبيح من آذاهم

١٥٦ ـ وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَهْ ... فِي الْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِصَابَهْ

قوله: «**وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ**» أي: المحمدية المفضلة على سائر الأمم بالدلائل القطعية، كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] «**كَالصَّحَابَةِ**» الكرام «**فِي الْفَضْلِ**».

الشاهد قوله عليه الصلاة والسلام: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» أخرجه الشيخان عن عمران بن حصين،



وقال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[(١)].

ورواه أبو داود ولفظه: «**خير أمتي القرن الذي بُعِثْتُ فيهم، ثم الذين يلونهم**»[(٢)].

«**وَالمَعْرُوفِ**»: أي: وليس في الأمة كالصحابة في المعروف، الذي هو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله تعالى والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه، فهم أحق بالفضل والمعروف «**وَالْإِصَابَةِ**» للحكم المشروع وبموافقة الكتاب والسنة من جميع الأمة.

قال عبدالله بن مسعود: من كان مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلَّها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم؛ فإنهم كانوا على الهَدي المستقيم[(٣)].

قال في «المشكاة»: رواه رَزين[(٤)]. ورواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ (رقم ٣٦٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (رقم ٢٥٣٥) ولفظه: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا «**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**».

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب: في فضل أصحاب رسول الله ﷺ (رقم ٤٦٥٧) ولفظه: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٤٩ رقم ١٨١٠).

(٤) مشكاة المصابيح (١٩٣).

١٥٧ ـ فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَا وَعَـايَـنُـوا الْأَسْـرَارَ وَالْأَنْـوَارَا
١٥٨ ـ وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَتَّى بَانَا دِيـنُ الـهُـدَى وَقَـدْ سَـمَـا الْأَدْيَـانَـا

قوله: «**فَإِنَّهُمْ**» أي: الصحابة الكرام «**قَدْ شَاهَدُوا**» وصحبوا النبي «**الْمُخْتَارَا**» من سائر الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام «**وَعَايَنُوا**» أي: رأوا في صحبتهم النبي ﷺ «**الْأَسْرَارَ**» القرآنية، وعلموا التنزيل وأسبابه، والتأويل وآدابه «**وَ**» عاينوا «**الْأَنْوَارَا**» المشرقة من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام «**وَجَاهَدُوا فِي**» سبيل «**اللهِ**» لتكون كلمة الله هي العليا «**حَتَّى بَانَا**» بألف الإطلاق، أي ظهر «**دِينُ الْهُدَى**» الذي هو دين الإسلام الذي به الهدى، والدلالة الموصلة، والفوز والفلاح « **وَقَدْ سَمَا**» أي علا دين الإسلام ولله الحمد «**الْأَدْيَانَا**» التي كانت قبله.

فسائر الأديان غير دين الإسلام منسوخة، وكل عبادة لم يأت بها فهي باطلة ممسوخة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ويرحم الله القائل:

الله أكـبـر إن ديـن مـحـمـد وكـتـابـهُ أقـوى وأقـوم قِـيـلَا
طلعت به شمس الهداية للوَرَى وأبى لها وصف الكمال أُفُولَا
والحق أبلج في شريعته التي جمعت فروعًا للهُدَى وأصولَا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفئ القنديلا
درست معالمها ألا فاستخبروا عنها رسومًا قد عَفَت وطُلُولَا

١٥٩ ـ وَقَدْ أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي لِلْغَلِيلِ
١٦٠ ـ وَفِي الْأَحَادِيثِ وَفِي الْآثَارِ وَفِـي كَـلَامِ الْـقَـوْمِ وَالْأَشْـعَـارِ
١٦١ ـ مَا قَدْ رَبَا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي عَنْ بَعْضِهِ فَاقْنَعْ وَخُذْ عَنْ عِلْمِ

قوله: «**وَقَدْ أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ**» من الكتاب العظيم والذكر الحكيم «**مِنْ فَضْلِهِمْ**» أي الصحابة الكرام «**مَا**» أي الذي «**يَشْفِي**» أي: يبرئ «**لِلْغَلِيلِ**» بالغين المعجمة: العطش. والمراد: ما يطفئ حرارة الجهل بمقاماتهم العالية، كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] إلى غير ذلك من الآيات.

«**وَ**» قد أتى أيضًا «**فِي الْأَحَادِيثِ**» النبوية، كقوله عليه الصلاة والسلام: «**خير أمتي قرني...**» الحديث «**وَفِي الْآثَارِ**» السلفية الواردة عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم «**وَ**» قد أتى «**فِي كَلَامِ الْقَوْمِ**» من المحدثين والفقهاء والصوفية وسائر أرباب المعارف «**وَ**» في «**الْأَشْعَارِ**» المَرضية «**ما**» أي شيء «**قَدْ رَبَا**» أي زاد وعلا «**مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي**» في هذه الأرجوزة ويضيق «**عَنْ بَعْضِهِ**» فضلًا عن غالبه وكله «**فَاقْنَعْ**» من القنوع، وهو الرضا باليسير «**وَخُذْ**» ذلك «**عَنْ عِلْمِ**» ويقين لا عن ظن وتخمين.

١٦٢ ـ وَاحْذَرْ مِنَ الخَوْضِ الَّذِي قَدْ يُزْرِي بِفَضْلِهِمْ مِمَّا جَرَى لَوْ تَدْرِي
١٦٣ ـ فَإِنَّهُ عَنِ اجْتِهَادٍ قَدْ صَدَرْ فَاسْلَمْ أَذَلَّ اللهُ مَنْ لَهُمْ هَجَرْ(١)

قوله: «**وَاحْذَرْ**» أمرٌ من الحذر، الذي هو التحرز والتيقظ، أي: احذر حَذَرَ إذعان مع سلامة صدر «**مِنَ الخَوْضِ**» المفضي إلى التوسع في البحث والتنقيب «**الَّذِي قَدْ يُزْرِي**» مضارع (أَزرى).

(١) بعد هذا البيت: ١٦٤

وَبَعْدَهُمْ فَالتَّابِعُونَ أَحْرَى بِالْفَضْلِ ثُمَّ تَابِعُوهُمْ طُرًّا

ولم يذكره المصنف، ومعناه: بَعْدَ الصَّحَابَةِ الْمَخْصُوصِينَ بِالْفَضْلِ وَالْعَدَالَةِ الْعَامَّةِ وَالْإِصَابَةِ، التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وهم أَحَقُّ وَأَجْدَرُ بِالْفَضْلِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّقْدِيمِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

قال في «القاموس»: زرَى عليه: عابه وعاتبه، كأزرَى، لكنه قليل[١].

وقال أبو عمرو: والزاري على الإنسان: الذي لا يعده شيئًا، وينكر عليه فعله. والإزراء: التهاون بالشيء. يقال: أزرى؛ إذا قصَّر به، وازدراه أي حقَّره. قاله في «المختار»[٢].

فقول الناظم «**يُزْرِي**» أي: يحط قدرهم وينقص «**بِفَضْلِهِمْ**» أي: من فضلهم المعلوم من الكتاب والسنة «**مِمَّا**» أي: من الاختلاف الذي «**جَرَى**» بينهم «**لَوْ تَدْرِي**» عاقبة الخوض وما يفضي إليه لما خُضتَ فيه وسكَتَّ عنه «**فَإِنَّهُ**» أي: وما وقع بينهم من التخاصم «**عَنِ اجْتِهَادٍ قَدْ صَدَرْ**» منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم «**فَاسْلَمْ**» من الخوض في تلك البحور المهلكة، واقطع لسانك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ بما يحطُّ من رتبتهم العالية ومقامتهم الرفيعة «**أَذَلَّ اللهُ**» تعالى «**مَنْ**» أي: كل مبتدع من الروافض ومن وافقهم «**لَهُمْ**» أي للصحابة الكرام «**هَجَرْ**» وعادى ولم يوالِ ويحبَّ.

وقد أخرج **الترمذي** من حديث عبدالله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي! لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أبغضهم، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ تَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**»[٣].

والذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة، بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم.

---

(١) القاموس المحيط (ز ر ي).
(٢) مختار الصحاح (ز ر ي).
(٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب: فيمن سب أصحاب النبي ﷺ (رقم ٣٨٦٢).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر كتابه «الصارم المسلول» فصلًا في تفصيل القول فيمن سب الصحابة، فقال:

أما من اقترن بسبِّه دعوى أن عليًّا إلهٌ، وأنه كان هو النبيَّ وإنما غلط جبريل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر مَن توقف في كفره، وكذا من زعم منهم أن القرآن نُقص منه آيات وكُتمت، أو زعم أن له تأويلاتٍ باطنةً تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يُسَمَّون «القرامطة والباطنية».

وأما من سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يُحمَل كلام من لم يكفِّرهم من العلماء.

وأما من لعن وقبَّح، فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعَم أنهم ارتدُّوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامَّتُهُم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنه مكذِّب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار وفساق، وأن هذه الآية التي هي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة شرارها، وكفر هذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام. قال: وبالجملة فمن أصناف السابَّة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تُرُدِّد فيه، وقد تقدم التفصيل[(١)].

(١) الصارم المسلول (١/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧).

فصل
في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها

١٦٤ ـ وبعدهم فالتابعون أمرى بالفضل ثم تابعوهم طُرًا
١٦٥ ـ وَكُلُّ خَارِقٍ أَتَى عَنْ صَالِحِ مِنْ تَابِعٍ لِشَرْعِنَا وَنَاصِحِ
١٦٦ ـ فَإِنَّهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي بِهَا نَقُولُ فَاقْفُ لِلأَدِلَّةِ
١٦٧ ـ وَمَنْ نَفَاهَا مِنْ ذَوِي الضَّلَالِ فَقَدْ أَتَى فِي ذَاكَ بِالْمُحَالِ
١٦٨ ـ فَإِنَّهَا شَهِيرَةٌ وَلَمْ تَزَلْ فِي كُلِّ عَصْرٍ يَا شَقَا أَهْلِ الزَّلَلْ

قوله: «وَكُلُّ خَارِقٍ» أي: للعادة من الخوارق.

ومراده **الكرامة**: وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبدٍ ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبيٍّ تكلف شريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم بها.

ولا تدل على صدق من ظهرت على يديه ولا على ولايته؛ لجواز سلبها، وأن تكون استدراجًا ومكرًا.

وبهذا يتبين أن من ظهر على يديه شيء من الخوارق التي يسمونها (كرامات الأولياء) وهو مُصِرٌّ على دعوة غير الله تعالى من الأحياء والأموات، معتقدًا أنهم ينفعونه أو يضرون، فهو من الحيل والشعوذة لا من الكرامات؛ إذ من شروط حصولها صحة الاعتقاد، وأي اعتقاد أفسد من الإشراك بالله تعالى!

وكذا يتبين كذب من ادعى الولاية، وهو تارك للصلوات مع المسلمين في مساجدهم، ويزعم أنه يصلي بمكة جميع الصلوات، ولو كان بينه وبينها مسافة أيام! وينشد على ذلك:

وفي طندتا قالوا صلاتي تركتها ولم يعلموا أني أصلي بمكة
أصلي صلاة الخمس في البيت دائمًا مع السادة الأقطاب أهل الطريقة

وكذلك من سالم الحيات وسالمنه فأمسكهنَّ، فإن ذلك ليس من الكرامات في شيء؛ لأنه معصية لأمر رسول الله ﷺ بقتلهن.

كما في سنن أبي داود عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهُنَّ، فَمَنْ خَافَ ثَأْرَهُنَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)].

وفيها أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْهُنَّ خِيفَةً، فَلَيْسَ مِنَّا**»[(٢)].

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَا سَالَمْنَاهُنّ**» وهؤلاء الجهال سالموهن وادَّعَوا أن ذلك كرامة وولاية.

قال أهل الحق: والولي يكتمها ـ أي الولاية ـ ويسترها غالبًا، ويسرُّها ولا يساكنها.

وهذا دليل على كذب المشعوذين الدجالين، الذين جعلوا الكرامات سلاحًا يحاربون به ضعاف العقول من العوام بالترغيب والترهيب، وهم بذلك أكذب من مسيلمة وسَجَاحِ.

وقد نقل عن بعض الدجالين أنه قال، قاتله الله إن صح عنه: إن الله أعطاني أن أقول للشيء (كن) فيكون.

فهذا المخدوع ادَّعى الإلهية من حيث لا يشعر ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

فالحاصل أن الكرامة لا بد أن تكون أمرًا خارقًا للعادة «**أَتَى**» ذلك الخارق «**عَنْ**» امرئ «**صَالِحِ**».

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في قتل الحيات (رقم ٥٢٤٩) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في قتل الحيات (رقم ٥٢٤٨) وصححه الألباني.

والولي: العارف بالله وصفاته حسبما يمكن، المواظب على الطاعة، التارك للمعاصي، المُعْرِض عن الانهماك في اللذات والشهوات «**مِنْ**» ذكر وأنثى «**تَابِعِ لِشَرْعِنَا**» معشرَ المسلمين، لنسخ ما سواه من الشرائع به «**وَنَاصِحٍ**» لله والكتاب ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإن الدين النصيحة، فإذا صدرت الخوارق عن أحد ممن اتصف بهذه الصفات «**فَإِنَّهَا**» تكون «**مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي بِهَا**» أي: بجوازها ووقوعها «**نَقُولُ**» كما هو مذهب أهل السنة.

قال ابن حمدان: وكرامات الأولياء حق، وأنكر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على من أنكرها وضلَّله[1].

«**فَاقْفُ**» في اعتقادك، أي: اتبع «**لِلْأَدِلَّةِ**» الشرعية الدالة على كرامات الأولياء، كقصة «مريم» و«آصِف»[2] و«أصحاب الكهف».

«**وَمَنْ**» أي: أي إنسان «**نَفَاهَا**» أي: كرامات الأولياء، فلم يقل بها «**مِنْ ذَوِي**» أي: أصحاب «**الضَّلَالِ**» والانحراف عن نهج أهل السنة إلى سلوك طريق الاعتزال، وكذا من نحا نحوهم من الأشاعرة كالأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني وعبدالله الحَلِيمي «**فَقَدْ أَتَى فِي ذَاكَ**» النفي «**بِالمُحَالِ**» أي: الباطل المنابذ للبرهان «**فَإِنَّهَا**» ثابتة بالكتاب والسنة واتفاق أهل السنة؛ لأنها أي: كرامات الأولياء «**شَهِيرَةٌ**» للعيان بالبرهان «**وَلَمْ تَزَلْ**» تظهر «**فِي كُلِّ عَصْرٍ**» من الأعصار الماضية وإلى الآن «**يَا شَقَا**» هو ضد السعادة، أي هذا أوانك حضَر لـ«**أَهْلِ الزَّلَلْ**» والزيغ عن الصراط المستقيم؛ لابتداعهم في الدين ومخالفتهم ما اتفق عليه جميع المؤمنين، فخالفوا المحسوس، وأنكروا المنصوص.

---

(١) نهاية المبتدئين (٦٠).

(٢) آصف بن برخيا، وهو من أحضر عرش بلقيس في لحظة من مسيرة شهر. انظر: لوامع الأنوار (٢/ ٣٩٤).

ثم إنه يجب على طالب الإنصاف مراعاة الشروط التي صرح بها العلماء فيمن يعتبر صدور الخوارق على يديه كراماتٍ؛ لئلا يغتر بالدجاجلة والمشعوذين، وبما يلقونه على العوام الطَّغَام من الخوارق التي خرقت الدين، وجعلتهم يعتقدون أن غير الله يملك نفعًا وضَرًّا! نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

* * *

فصل
في المفاضلة بين البشر والملائكة

١٦٩ ـ وَعِنْدَنَا تَفْضِيلُ أَعْيَانِ الْبَشَرْ   عَـلَـى مَـلَاكِ رَبِّـنَـا كَـمَـا اشْـتَـهَـرْ
١٧٠ ـ قَالَ وَمَنْ قَالَ سِوَى هَذَا افْتَرَى   وَقَدْ تَـعَدَّى فِـي الـمَـقَالِ وَاجْـتَـرَى

قوله: «وَعِنْدَنَا» أي معشر أهل السنة «تَفْضِيلُ أَعْيَانِ الْبَشَرْ» محركة: الإنسان ذكرًا أو أنثى. والمراد بأعيانهم: الأنبياء والأولياء، فالأنبياء أفضل من الأولياء، وهما أفضل من الملائكة.

قال الإمام أحمد: بنو آدم أفضل من الملائكة[(١)].

ولذا قال: « عَلَى مَلَاكِ رَبِّنَا» تبارك وتعالى «كَمَا اشْتَهَرْ» من نصوص الإمام أحمد.

والمَلَاك هو المَلَك، وجمعه ملائكة.

قال الفيوميُّ في «المصباح»: مشتقة من لفظ الأُلُوك. يعني مصدر (أَلَكَ) من باب (ضرب) أَلْكًا وأُلُوكًا أيضًا: تَرَسَّلَ. واسم الرسالة

(١) نهاية المبتدئين (٦٢).

(مَأْلُكٌ) بضم اللام و(مألُكة) أيضًا بالهاء، ولامها تضم وتفتح(١).

قال عدي بن زيد التميمي، وقد حبسه النعمان بن المنذر:

أبلغ النعمان عني مَأْلَكًا   أنني قد طال حبسي وانتظاري

قال في «المصباح»: وقيل: من (المألَك) الواحد (ملَك) وأصله (مَلأك) ووزنه (مَعْفَل) فنقلت حركة الهمزة إلى اللام وسقطت، فوزنه (مَعَلٌ) فإن الفاء هي الهمزة، وقد سقطت. وقيل: مأخوذ من (لأَك) إذا أرسل، فمَلَاكٌ (مَفعَل) فنقلت الحركة، وسقطت الهمزة، وهي عين، فوزنه (مَفَلٌ) وقيل غير ذلك(٢).

وقال في «القاموس»: ووزنه، يعني المَلَك (مَفعَل) والعين محذوفة، أُلزمت التخفيف إلا شاذًّا(٣).

«**قَالَ**» الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ «**وَمَنْ**» أي: أي إنسان «**قَالَ**» بلسانه أو اعتقد بجنانه «**سِوَى**» أي: غير «**هَذَا**» القول الذي هو تفضيل بني آدم على الملائكة فقد «**افْتَرَى**» أي: كذب «**وَقَدْ تَعَدَّى**» أي: تجاوز الحد المنقول الثابت عن الرسول، وخالف السلف «**فِي المَقَالِ**» الذي اعتمده «**وَاجْتَرَى**» أي: افتات على الشارع بالاعتقاد الذي اعتقده.

ولفظ النص: يُخطِئُ من فضَّل الملائكة(٤).

قال الإمام العلامة أبو بكر عبدالعزيز: من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة، ومن كان شره أكثر من خيره فالبهائم خير منه(٥).

---

(١) المصباح المنير (أ ل ك).
(٢) المصباح المنير (أ ل ك).
(٣) القاموس المحيط (١/ ٩٥٢).
(٤) نهاية المبتدئين (٦٢).
(٥) نهاية المبتدئين (٦٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: صالح البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى، منزهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة. وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل(١). انتهى ملخصًا.



(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٣).

الباب السادس
في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

١٧١ ـ وَلاَ غِنَى لِأُمَّةِ الْإِسْلاَم   فِي كُلِّ عَصْرٍ كَانَ عَنْ إِمَام
١٧٢ ـ يَذُبُّ عَنْهَا كُلَّ ذِي جُحُودِ   وَيَعْتَنِي بِالْغَزْوِ وَالْحُدُودِ
١٧٣ ـ وَفِعْلِ مَعْرُوفٍ وَتَرْكِ نُكْرِ   وَنَصْرِ مَظْلُوم وَقَمْعِ كُفْرِ
١٧٤ ـ وَأَخْذِ مَالِ الْفَيْءِ وَالْخَرَاجِ   وَنَحْوِهِ وَالصَّرْفِ فِي مِنْهَاجِ

قوله: «وَلاَ غِنَى» أي: لا بد «لِأُمَّةِ» دين «الْإِسْلاَم» وهي بالضم: الجماعة أُرسل إليهم رسول، والجيل من كل حيٍّ، ومَن هو على الحق مخالف لسائر الأديان، والرجل الجامع للخير(١).

وفي نسخة (لملَّة) بدل (أمة) وهي بكسر الميم: الشريعة أو الدين.

«فِي كُلِّ عَصْرٍ» من الأعصار «كَانَ» أي: وجد «عَنْ إِمَام» متعلق بقوله (لا غنى) بل هو فرض لازم وواجب عند أهل السنَة وأكثر المعتزلة بالسمع ـ يعني التواتر ـ والإجماع، وعند المعتزلة بالعقل.

«يَذُبُّ» ذلك الإمام؛ أي: يدفع «عَنْهَا» أي عن أمة الإسلام

(١) تاج العروس (٣١/٢٢٩ ـ ٢٣٠).

«**كُلَّ**» ملك جبار وظلوم كفار «**ذِي**» أي: صاحب «**جحود**»؛ أي: إنكار. والمراد هنا الجاحد للدين.

«**وَيَعْتَنِي**» الإمام أي: يهتم «**بِالْغَزْوِ**» أي: غزو الكفار وقهر البغاة «**وَ**» يعتني بإقامة «**الحُدُودِ**» جمع حد.

وهو **لغةً**: المنع. وحدود الله محارمه.

وشرعًا: العقوبات المقدرة.

سميت بذلك لأنها تمنع من الوقوع في مثل الذنب الذي رُتِّبَت تلك العقوبة عليه، أو لكونها زواجر عن المحارم التي حرمها الله.

فيقيم الحدود لتصان محارم الله وتحفظ حقوق العباد.

«**وَ**» يعتني أيضًا بالأمر بـ«**فِعْلِ مَعْرُوفٍ**» وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس «**وَتَرْكِ نُكْرِ**» أي: ويعتني أيضًا بالنهي عن كل منكر، وهو ضد المعروف، فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر.

«**وَ**» يعتني بـ«**نَصْرِ مَظْلُومِ**» من ظالمه «**وَقَمْعِ**» أهل «**كُفْرِ**» أي: قهرهم وذلهم؛ لأن ذلك من أجَلِّ المقاصد الشرعيةَ.

عكس ما عليه أمراء المسلمين في هذا الزمان؛ من إعزاز الكفار وإذلال المسلمين، حتى إن منهم من حارب أهل الإسلام مع الكفار لنيل الشهوات الحيوانية والمطالب الدنيوية الفانية، ولم يُمعِنوا النظر بما جَنَوا على الإسلام والمسلمين، ولست أعم أمراء المسلمين، بل غالبهم.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

«**وَ**» يعتني أيضًا بـ«**أَخْذِ مَالِ الْفَيْءِ**» وهو ما أُخذ من مال كافرٍ بسبب الكفر بلا قتال. كالجزية «**وَالخَرَاجِ**» وعُشر مال تجارة حربيٍّ،

ونصفه من ذميٍّ «ونحوه» أي: نحو ما ذكر، كمالِ من مات من الكفار ولا وارث له، ومال المرتد إذا مات على ردته بقتلٍ أو غيره، أو لحق بدار الحرب.

«**وَ**» يعتني بـ«**الصَّرْفِ**» لذلك المال «**فِي مِنْهَاجِ**» أي: طريق وِجهة مصرفه المعينة له شرعًا، فيصرف في مصالح أهلِ الإسلام، وهذا في الأزمان الماضية.

وأما في هذه الأزمان الأخيرة فقد استأثر بأموال المسلمين عامةً وفقرائهم خاصةً أولو الأمر منهم، فكأنهم ورثوها من آبائهم إرثًا، ولم يعلموا أنهم يأكلونها سحتًا، إلا من شاء الله، وقليل ما هم.

١٧٥ ـ وَنَصْبُهُ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَقَهْرِهِ فَحُلْ عَنِ الْخِدَاعِ

قوله «**وَنَصْبُهُ**» أي: يثبت نصب الإمام الأعظم «**بِالنَّصِّ**» من الإمام الذي قبله، كما عهد أبو بكر الصديق بالخلافة إلى عمر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «**وَالْإِجْمَاعِ**» أي: ويثبت نصبه أيضًا بالإجماع من أهل الحل والعقد من المسلمين، كإمامة أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

«**وَقَهْرِهِ**» أي: ويثبت نصبه بقهره الناس بسيفه حتى يذعنوا له ويدعوه إمامًا، فتثبت له الإمامة، كإمامة عبدالملك بن مروان، حيث خرج على ابن الزبير، فقتله واستولى على البلاد وأهلها، حتى بايعوه طوعًا وكرهًا ودعوه إمامًا؛ ولما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم وذهاب أموالهم.

«**فَحُلْ**» أمر إرشاد؛ أي: ابعُدْ وزُلْ «**عَنِ الْخِدَاعِ**» مصدر (خادع) متعلق بـ(حُلْ) يقال: خدعه كمنعه خَدْعًا، أراد به المكروه من حيث لا يعلم.

يعني: اترك مخادعة أهل البدع، وتحسينهم الخروج على الأئمة، وزعمهم عدم وجوب نصب الإمام، فإن في نصبه من المنافع ما لا

يحصى، وفي الخروج عليهم مخالفة لما أمر به الله ورسوله ﷺ من السمع والطاعة، وشق لعصا المسلمين، وتفريق لكلمة المؤمنين.

فلو وفَّق الله أمراء المسلمين للصواب، واجتمعوا على إمام واحد، لارتفع شأنهم وقوي سلطانهم، ولم تتغلب عليهم دول الكفر، ولكن الأمر كما قيل:

فتفرقوا شيعًا فكل جزيرة ... فيها أمير المؤمنين ومنبر

نسأل الله تعالى أن يصلح ذات بينهم ويجمع كلمتهم، إنه على كل شيء قدير سبحانه وتعالى.

١٧٦ ـ وَشَرْطُهُ الْإِسْلَامُ وَالحُرِّيَّهْ ... عَدَالَةٌ سَمْعٌ مَعَ الدِّرِيَّهْ
١٧٧ ـ وَأَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَالِمَا ... مُكَلَّفًا ذَا خِبْرَةٍ وَحَاكِمَا

قوله «**وَشَرْطُهُ**» أي: يشترط في الإمام الأعظم «**الْإِسْلَامُ**» لأن غير المسلم لا يكون له على المسلمين سبيل «**وَالحُرِّيَّه**» لأن الرقيق عليه ولاية لسيده، فلا يكون واليًا على غيره، فضلًا عن عامة المسلمين وخاصتهم.

أما حديث أنس الذي في البخاري: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[(١)] وما في معناه، فمحمول على نحو أمير سَرِيَّة يكون من جهة إمام قريش[(٢)].

ويشهد لذلك ما رواه الحاكم من حديث عليٍّ مرفوعًا: «**وَإِنْ أَمَّرَتْ قُرَيْشٌ فِيكُمْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (رقم ٧١٤٢).

(٢) فتح الباري (١٣/ ١٢٢).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٥ رقم ٦٩٦٢) وتمامه: «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، =

قال ابن رجب: إسناده جيد، ولكنه رُوي عن عليٍّ موقوفًا، وقال الدارقطني: هو أشبه[(١)].

وقد قيل: إن العبد الحبشي إنما ذكره على وجه ضرب المثل، وإن لم يصح وقوعه، كما قال ﷺ فيمن بنى مسجدًا ولو كمفحص قطاة. وقيل: هو مما أطلَع اللهُ عليه النبيَّ ﷺ من أمر أمته وولايته العبيد عليهم[(٢)].

«وَ» يشرط فيه أيضًا «**عَدَالَةٌ**» لاشتراط ذلك في ولاية القضاء، وهي دون الإمامة العظمى.

وإن قهَر الناسَ غيرُ عدل فهو إمام، كما نص على مثله الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

«وَ» يعتبر فيه أيضًا «**سَمْعٌ**» أي: أن يكون سميعًا بصيرًا ناطقًا؛ لأن المتصف بغير هذه الصفات لا يصلح لسياسة الخلق «**مَعَ الدِّرِيَّةِ**» من (الدراية) وهي العلم والخبرة.

والمراد أن يكون عالمًا بالأحكام المتعلقة بالسياسة والحروب، ذا بصيرة، قد علم بأحوال الناس.

«وَ» يعتبر أيضًا «**أَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ**» وهو من كان من نسل «فِهر» بكسر الفاء «ابن مالك بن نضر».

= أَبْرَارُهَا أُمَرَاءُ أَبْرَارِهَا، وَفُجَّارُهَا أُمَرَاءُ فُجَّارِهَا، وَلِكُلٍّ حَقٌّ، فَآتُوا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَإِنْ أَمَّرَتْ عَلَيْكُمْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، مَا لَمْ يُخَيَّرْ أَحَدُكُمْ بَيْنَ إِسْلاَمِهِ وَضَرْبِ عُنُقِهِ، فَإِنْ خُيِّرَ بَيْنَ إِسْلاَمِهِ وَضَرْبِ عُنُقِهِ، فَلْيُقَدِّمْ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ دُنْيَا لَهُ وَلاَ آخِرَةَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ».

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١١٩ ـ ١٢٠).

(٢) فتح الباري (١٣/ ١٢٢).

وإنما اعتبر كونه قرشيًّا للأحاديث الواردة في ذلك:

منها ما رواه الإمام أحمد من حديث أبي برزة: «**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**»(١).

وروى الإمام أحمد وغيره من حديث عليٍّ أنه ﷺ قال: «**الْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ**».

«**وَ**» يعتبر أن يكون «**عَالِمًا**» بالأحكام الشرعية لاحتياجه إلى مراعاتها في أمره ونهيه «**مُكَلَّفًا**» أي: بالغًا؛ لأن غير المكلف يحتاج لمن يلي أمره، فلا يكون واليًا على أمر المسلمين «**وَ**» أن يكون «**حَاكِمًا**» أي: قادرًا على إيصال الحق إلى مستحقه، وكف ظلم المتعدي، وقادرًا على إقامة الحدود على وجه الشرع، حاكمًا بحكم الله ورسوله لا بهوى نفسه وشيطانه، ولا تأخذه رأفة في إقامة الحدود والذب عن الأمة.

فإن عُقِدَت لأكثر من واحد فهي للأول.

فإن فسَق الإمام بعد العدالة لم ينعزل على الأصح الأشهر.

١٧٨ ـ وَكُنْ مُطِيعًا أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرْ   مَا لَمْ يَكُنْ بِمُنْكَرٍ فَيُحْتَذَرْ

قوله «**وَكُنْ مُطِيعًا**» يعني: إذا اعتقدت له الإمامة، فصار إمامًا للمسلمين، فكن سامعًا مطيعًا أنت وسائر الرعية «**أَمْرَهُ فِيمَا**» أي: في الشيء الذي «**أَمَرْ**» به إن كان طاعة.

والحاصل أن طاعته تجب في الطاعة، وتسن في المسنون، وتكره في المكروه، فإذا أمر بمعروف وجب امتثال أمره «**مَا لَمْ يَكُنْ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٣/ ٢١ رقم ١٩٧٧٧) وتمامه: «**إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَإِذَا عَاهَدُوا وَفَوْا، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»

بِـ» شيء «مُنْكَرٍ» وهو ضد المعروف، «فَـ» لا يطاع في ذلك بل «يُحْتَذَرْ» ويجتنب، فلا تجب طاعته في المعصية، بل تحرم؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال شيخ الإسلام: ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ أَمْرَكُمْ**»(١) قال: وآية الأمراء في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٨ ـ ٥٩]. قال: نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور؛ عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم؛ أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم، وغير ذلك، إلا أن يُؤْمروا بمعصية الله تعالى، فإذا أُمروا بمعصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإن لم يفعل ولاة الأمور ذلك أُطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله؛ لأن ذلك من طاعة الله ورسوله، وأُدِّيَت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله، وأُعينوا على البر والتقوى، ولا يعاونون على الإثم والعدوان(٢).

فعلى وليِّ الأمر أن يولِّيَ على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل، فقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ المُسلِمِينَ شَيْئًا، فَوَلَّى رَجُلًا، وَهُوَ يَجِدُ أَصْلَحَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ**»، رواه الحاكم في صحيحه(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٤/ ٤٠٠ رقم ٨٧٩٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٥).
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٠٤ رقم ٧٠٢٣) بلفظ: «من استعمل رجلًا من...».

فصل
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٧٩ ـ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ مَعَا ... فَرْضًا كِفَايَةٍ عَلَى مَنْ قَدْ وَعَا
١٨٠ ـ وَإِنْ يَكُنْ ذَا وَاحِدًا تَعَيَّنَا ... عَلَيْهِ لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَأْمَنَا
١٨١ ـ فَاصْبِرْ وَزِلْ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ ... لِمُنْكَرٍ وَاحْذَرْ مِنَ النُّقْصَانِ

قوله «**وَاعْلَمْ**» أي: أيها الطالب للعلم «**بِأَنَّ الْأَمْرَ**» بالمعروف «**وَالنَّهْيَ**» عن المنكر «**مَعَا**» أي: كل واحد منهما منفردًا وكلاهما «**فَرْضًا كِفَايَةٍ عَلَى**» جماعة المسلمين، يخاطَب به الجميع، ويسقط بمن يقوم به، بخلاف فرض العين فإنه يجب على كل واحد، ولا يسقط عنه بفعل غيره.

«**عَلَى مَنْ**» أي: إنسان «**قَدْ وَعَا**» حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظه؛ وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما هو بطاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لو كان مرتكب المنكر غير مكلف، فإنه يُنكَر عليه تعليمًا له وتأديبًا. وإلى هذا أشار العلامة ابن عبدالقويِّ بقوله:

وأَنكِرْ على الصبيان كل محرم ... لتأديبهم والعلم في الشرع بالرَّدِي

ومما فُضِّلت به هذه الأمة على سائر الأمم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] والآيات في ذلك كثيرة.

قال العلامة ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: قوله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا**»(١)، يدل على أن الإنكار متعلق بالرؤية، فإن

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (رقم ٤٩).

كان مستورًا ولم يره ولكن علم به، فالمنصوص عن أحمد في أكثر الروايات أنه لا يتعرض ولا يفتش على ما استراب به. وعنه رواية أخرى أن يكشف المغطى إذا تحققه.

قال الإمام أحمد: وأما تسور الجدران على مَن علم اجتماعهم على منكر، فقد أنكره الأئمة، مثل سفيان الثوري وغيره، وهو داخل في التجسس المنهيِّ عنه.

وقد قيل لابن مسعود: إن فلانًا تقطر لحيته خمرًا! فقال: نهانا الله عن التجسس(١).

وقال القاضي أبو يعلى(٢): إن كان في المنكر الذي غلب على ظنه الاستسرار به بإخبار ثقة عنه، انتهاك حرمة يفوت استدراكها، كالزنا والقتل، فله التجسس والإقدام على الكشف والبحث؛ حذرًا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم، وإن كان دون ذلك في الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه.

قال ابن رجب: والمنكَر الذي يجب إنكاره ما كان مجمعًا عليه، فأما المختلف فيه فمن أصحابنا من قال: لا يجب إنكاره على من فعله مجتهدًا أو مقلدًا لمجتهد تقليدًا سائغًا. واستثنى القاضي ما ضعف فيه الخلاف، فينكر على فاعله(٣).

وقد نص الإمام أحمد على الإنكار على من لا يتم ركوعه وسجوده، ولا يقيم صلبه من الركوع، مع وجود الاختلاف في وجوب ذلك؛ لضعف الخلاف فيه.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في النهي عن التجسس (رقم ٤٨٩٠) وصححه الألباني، ولفظه: عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: أُتِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقِيلَ: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذْ بِهِ.

(٢) الأحكام السلطانية (١/ ٢٩٦).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٥٤ - ٢٥٥).

«**وَإِنْ يَكُنْ ذَا**» أي: الذي علم بالمنكر «**وَاحِدًا**» عارفًا بما يُنكِر «**تَعَيَّنَا**» أي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصارا فرضَيْ عين «**عَلَيْهِ**» وكذا لو كانوا جماعة، ولا يحصل المقصود إلا بهم «**لَكِنْ شَرْطُهُ**» أي: شرط افتراضه على الواحد أو الجماعة، سواء كان فرض عين أو كفاية «**أَنْ يَأْمَنَا**» بألف الإطلاق على نفسه أو ماله، ولم يخف أذى أو فتنة تزيد على المنكر. وقيل: إن زادت وجب الكف، وإن تساويا سقط الإنكار.

والإنكار الذي يسقط عند الخوف هو الإنكار باليد واللسان.

وأما الإنكار بالقلب فهو فرض عين لا يسقط بحال.

ولما سمع ابن مسعود رجلًا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر! قال: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر[(١)].

يشير إلى أن المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد.

فمن لم يعرفه هلك «**فَاصْبِرْ**» على الأذى ممن تأمره وتنهاه، ولا تغضب لنفسك، بل لله.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد أن ينتصر لنفسه.

«**وَزِلْ**» المنكر عن مكانه «**بِالْيَدِ**» وهو أعلى درجات الإنكار، وذلك كإراقة الخمر وكسر أواني الذهب والفضة.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/١٠٧ رقم ٨٥٦٤) وصححه الألباني، ولفظه: عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: جَاءَ عَتْرِيسُ بْنُ عُرْقُوبٍ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى عَبْدِ اللهِ فَقَالَ: هَلَكَ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ! فَقَالَ: بَلْ هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبُهُ الْمَعْرُوفَ، وَيُنْكِرْ قَلْبُهُ الْمُنْكَرَ.

«**وَاللِّسَانِ**» أي: وزِل المنكر باللسان حيث لم تستطع تغييرًا باليد؛ بأن تعظه وتذكِّره بالله وأليم عقابه، وتوبخه وتعنفه، مع لين وإغلاظ، بحسب ما يقتضيه الحال.

«**لِمُنْكَرِ**» متعلق بـ(زِل) «**وَاحْذَرْ**» النزول عن أعلى المراتب، حيث قدرت على أن تغير المنكر بيدك، إلى أوسطها، وهو الإنكار باللسان، إلا مع العجز عن ذلك.

ولا يسوغ العدول عن الإنكار باللسان مع القدرة عليه إلى الإنكار بالقلب الذي هو أضعف الإيمان، فلذا حذر الناظم «**مِنَ النُّقْصَانِ**».

وأشار بذلك إلى ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدريِّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

وهذا يدل كما **قال العلامة ابن رجب** على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان، ويدل على أن من قدر على خصلة من خصال الإيمان وفعلها كان أفضل ممن تركها عجزًا(٢).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة، إلا رجلًا معلنًا بالفسق، فلا حرمة له(٣).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كانت فيه خصال ثلاث؛ رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (رقم ٤٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٥٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٥٦).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٥٦).

قلت: فليُتأَمَّل كلام الإمام سفيان فإنه منطبق على القواعد الشرعية تمام الانطباق، ومنه يُعلَم خطأ كثير من الآمِرِينَ بالمعروف والناهين عن المنكر:

فمنهم من يأمر وينهى لهواه، فمن وافقه فهو الحق، ومن خالفه فهو المبطِل.

ومنهم جهال أغبياء، سمعوا بعض الأحاديث ولم يفهموا معانيَها، فسَطَوا على الناس بالتضليل والتفسيق، فأمروا ونَهَوا باعتبار أفهامهم الفاسدة، والغالب في هذا القسم أن بعضهم يقلد بعضًا بمفهومه الكاسد وبضاعته المزجاة.

ومنهم ذئاب، تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنيل حطام الدنيا وأغراضها.

نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.

١٨٢ ـ وَمَنْ نَهَى عَمَّا لَهُ قَدِ ارْتَكَبْ فَقَدْ أَتَى مِمَّا بِهِ يُقْضَى الْعَجَبْ
١٨٣ ـ فَلَوْ بَدَا بِنَفْسِهِ فَذَادَهَا عَنْ غَيِّهَا لَكَانَ قَدْ أَفَادَهَا

قوله «**وَمَنْ**» أي: أي إنسان «**نَهَى**» الخلق «**عَمَّا**» أي: الشيء الذي «**لَهُ**» أي: كذلك الشيء الذي نَهَى عنه «**قَدِ ارْتَكَبْ**» وفعَله وخالَف قولُه عمَلَه؛ من فعل المحظور وترك المأمور «**فَقَدْ أَتَى**» من قالِهِ وحالِهِ «**مِمَّا**» أي: من العمل الذي «**بِهِ**» أي: منه «**يُقْضَى**» بالبناء للمفعول و«**الْعَجَبْ**» نائب الفاعل. أي: يقضي العقلاء وأهل العلم والحزم من مخالفة قوله لعمله العجب، أي: يحكمون ويقطعون بالعجب.

قال بعض السلف: إذا أردت أن يُقبَل منك الأمر والنهي، فإذا أمرت بشيء فكن أول الفاعلين له المؤتمرين به، وإذا نهيت عن شيء فكن أول المنتهين عنه.

قال تعالى حكاية عن شعيب أنه قال لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

«**فَلَوْ بَدَا**» ذلك الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر قبل أمره ونهيه لغيره «**بِنَفْسِهِ فَذَادَهَا**» أي منعها وردها «**عَنْ غَيِّهَا**» أي: عن ضلالها، والغي الضلال والإنهاك في الباطل «**لَكَانَ**» ببدايته بإرشاد نفسه وردِّها عما هي من ارتكاب مهاوي الهوى والضلال والغي والوبال «**قَدْ أَفَادَهَا**» النجاة والرشد والسلامة.

وفي هذا قال أبو الأسود:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ مِنَ الضَّنَا ... كَيْ يَشْتَفِي مِنْهُ وَأَنْتَ سَقِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى ... بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

ولقد أحسن أبو العلاء بقوله:

رُويدَكَ قد غُرِرتَ وأنتَ حُرٌّ ... بصاحبِ حيلةٍ يعظُ النساءَ
يحرِّم فيكم الصَّهباء صُبحًا ... ويشربها على عمدٍ مساءَ
يقول لكم غدوتُ بلا كساءٍ ... وفي لذاتها رَهَنَ الكساءَ
إذا فعل الفتى ما عنه ينهَى ... فمن جهتين لا جهةٍ أساءَ



الخاتمة

نسأل الله تعالى حسن «**الخاتمة**» في ذكر الأدلة وما يتعلق بها، وهي قسمان: مفردات ومركبات.

فالدليل المفرد: كالعالم الذي يمكن التوصل بصحيح النظر والتأمل في أحواله إلى وجود الصانع.

والمركب كقولنا: العالم ممكن، وكل ممكن يحتاج في وجوده إلى مؤثر.

وهذا عن الأصوليين. وأما عن المناطقة فلا تكون إلا مركبة. وقد وضحت ذلك في حواشي رسالة «الآداب»(١).

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٨٤ ـ مَدَارِكُ الْعُلُومِ فِي الْعِيَانِ مَحْصُورَةٌ فِي الحَدِّ وَالْبُرْهَانِ

١٨٥ ـ وَقَالَ قَوْمٌ عِنْدَ أَصْحَابِ النَّظَرْ حِسٌّ وَإِخْبَارٌ صَحِيحٌ وَالنَّظَرْ

قوله: «**مَدَارِكُ الْعُلُومِ**» المدارك جمع (مُدرَك) بضم الميم، مصدر ميميٌّ بمعنى الإدراك، مصدَر أدرك الشيء بالشيء: حاول إدراكه به.

والإدراك: وصول النفس إلى المعنى بتمامه.

(١) يعني «رسالة في آداب البحث والمناظرة» للمصنف، أظنها مفقودة.

والمراد: المدرك بالعقول. والعلوم جمع (عِلم) وهو حصول صورة الشيء في الذهن. وينقسم إلى قسمين؛ تصور وتصديق، وكل منهما إما ضروريٌّ أو نظريٌّ.

فالتصور: حصول صورة الشيء في الذهن من غير حكم عليه بنفي ولا إثبات. كإدراك الإنسان.

والتصديق: إدراك أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة. أي: الإذعان لذلك كإدراك أن زيدًا كاتب أو ليس بكاتب.

وما أوصل إلى التصور يسمَّى قولًا شارحًا، ومنه الحد، وما أوصل إلى التصديق يسمَّى حجة، ومنه البرهان.

«**فِي الْعِيَانِ**» أي المشاهدة «**مَحْصُورَةٌ فِي**» شيئين؛ في «**الحَدِّ**» ويكون تامًّا وناقصًا، على ما سيأتي «**وَ**» في «**الْبُرْهَانِ**» وهو الحجة والدليل.

وفي الحديث: «**والصدقة برهان**»[(١)].

قال العلامة ابن رجب: البرهان هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس. ومنه حديث أبي موسى: «إِنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ لَهَا بُرْهَانٌ كَبُرْهَانِ الشَّمْسِ»، ومنه سميت الحجة القاطعة برهانًا؛ لوضوح دلالتها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان[(٢)].

أي: إيمان صاحبها، لطيب نفسه بإخراجها.

والبرهان عند علماء المنطق مؤلف من مقدمات يقينية لإنتاج اليقين الذي هو: اعتقاد جازم مطابق للواقع ممتنع التغير.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء (رقم ٢٢٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٣).

«**وَقَالَ قَوْمٌ**» بل مدارك العلوم «**عِنْدَ أَصْحَابِ النَّظَرْ**» أي: الفكر والتدقيق والبحث والتحقيق عند النُّظَّار من المتكلمة والمنطقيين وعلماء الأصول ثلاثة:

أحدها «**حِسٌّ**» أي: ما يدرك بأحد الحواس الخمسة، وهي جمع (حاسَّة) بمعنى القوة الحاسة؛ أي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

«**وَ**» **الثاني** «**إِخْبَارٌ صَحِيحٌ**» ثابت رجيح مطابق للواقع، وهو نوعان:

أحدهما: المتواتر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب. ومصداقه وقوع العلم من غير شبهة. وهو موجِب للعلم الضروري، كالعلم بالملوك الماضية، والأمم الفانية، والبلدان النائية كوجود مكة وبغداد.

والثاني: خبر الرسول المؤيَّد بالمعجزة الخارقة المقرونة بالتحدي. فيوجب العلم الاستدلالي، وإنما كان استدلاليًّا لتوقفه على الاستدلال، واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزة. وكل خبر هذا شأنه فهو صادق، ومضمونه واقع. والعلم الثابت بخبر الرسول يشابه الثابت بالضرورة، كالمحسوسات والمتواترات في التيقن والثبات.

الثالث «**النَّظَرْ**» أي: الفكر الذي يطلب به علم أو ظن. وهو ترتيب أمور معلومة للتوصل إلى مجهول.

والحاصل أن أسباب العلم ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل.

١٨٦ ـ فَالحَدُّ وَهْوَ أَصْلُ كُلِّ عِلْمِ وَصْفٌ مُحِيطٌ كَاشِفٌ فَافْتَهِمِ

قوله «**فَالحَدُّ**» أي: إذا علمت ما تقدم من التمهيد، وطلبت تعريف الحد، فالحد في اللغة: المنع. ومنه سُمي البواب حدادًا؛ لأنه يمنع من يدخل الدار. وسمي التعريف حدًّا لمنعه الداخل فيه من الخروج عنه، والخارج عنه من الدخول فيه.

وقوله «**وَهْوَ أَصْلُ كُلِّ عِلْمِ**» جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو (الحد) والخبر الذي هو «**وَصْفٌ مُحِيطٌ**» وإنما كان أصلًا للعلوم لأن من لا يحيط به علمًا لا ينتفع بما عنده.

والحد في الاصطلاح: «**وَصْفٌ مُحِيطٌ**» بموصوفه «**كَاشِفٌ**» أي: مميِّز للمحدود عن غيره «**فَافْتَهِمِ**» أمر بالفهم، من باب الافتعال، وبناؤه للمطاوعة غالبًا، نحو: فهمته فافتهم.

والفهم: إدراك معنى الكلام بسرعة.

وأسقط هذا القيد بعضُ العلماء؛ لأن من سمع كلامًا، ولم يدرك معناه إلا بعد شهر أو أكثر يقال له: فهمه. ولكن السرعة قيد في الفهم الجيد.

وقيل: الفهم جودة الذهن من جهة تهيُّئه لاقتباس ما يرد عليه من المطالب. والذهن: قوة النفس المستعدة لاكتساب الحدود والآراء.

١٨٧ ـ وَشَرْطُهُ طَرْدٌ وَعَكْسٌ وَهْوَ إِنْ أَنْبَا عَنِ الذَّوَاتِ فَالتَّامُ اسْتَبِنْ
١٨٨ ـ وَإِنْ يَكُنْ بِالْجِنْسِ ثُمَّ الخَاصَّهْ فَذَاكَ رَسْمٌ فَافْهَمِ المُحَاصَّهْ

قوله «**وَشَرْطُهُ**» أي: شرط كون الحد صحيحًا «**طَرْدٌ**» أي: كلما وُجد الحد وُجد المحدود، فلا يدخل فيه شيء من أفراد غير المحدود، فيكون مانعًا «**وَعَكْسٌ**» أي: كلما وُجد المحدود وُجد الحد، فلا يخرج عنه شيء من أفراد المحدود، فيكون جامعًا.

وترتيب المنع على الاطراد، والجمع على الانعكاس، هو مذهب الجمهور، وعكس ذلك بعض العلماء.

«**وَهُوَ**» أي الحد «**إِنْ أَنْبَا**» أي: دل وكشف «**عَنِ الذَّوَاتِ**» أي: ذاتيات المحدود الكلية المركبة.

إما مطابقة كقولنا في تعريف الإنسان: جسم نام حساس متفكر بالقوة .**أو تضمنًا** نحو: حيوان ناطق. **أو مطابقة في البعض وتضمنًا في البعض** نحو: جسم نامٍ حساس ناطق، أو حيوان متفكر بالقوة.

«**فَـ**» هو الحقيقي «**التَّامُ**» ويكون الحد التام هو الذي يذكر فيه جميع الذاتيات، لا يكون للشيء الواحد حدَّان تامَّان. وقيل: بلى. والخلاف مشهور.

ويشترط في تمام الحد تقديم الجنس على الفصل، فلو أُخِّر الجنس عن الفصل كان حدًّا ناقصًا.

وقوله «**اسْتَبِنْ**» تتمة للبيت، وفيه الأمر بطلب البيان والكشف عن حقيقة الحد.

وقد ذكر الحدَّ التامَّ، وأما الناقص فهو الذي لم يذكر فيه جميع الذاتيات. ويكون بالفصل وحده إن قلنا بجواز التعريف بالمفرد، كقولنا: ناطق. في تعريف الإنسان، أو بالجنس البعيد والفصل القريب، كـ:جسم ناطق. في تعريفه أيضًا.

«**وَإِنْ يَكُنْ**» الحد مركبًا «**بِالْجِنْسِ**» أي: من الجنس القريب «**ثُمَّ الخَاصَّهْ**» كـ:حيوان ضاحك. في تعريف الإنسان «**فَذَاكَ**» أي: المركب من الجنس القريب والخاصة «**رَسْمٌ**» تامٌّ.

أما كونه رسمًا فلأن الرسم لغةً: الأثر. والخاصة من آثار الحقيقة الدالة عليها.

وأما كونه تامًّا فلمشابهة الحد التام من حيث إنه وضع فيه الجنس القريب وقيد بأمر مختصٍّ.

ويشترط في تمام الرسم تقديم الجنس على الخاصة، فلو أُخِّر الجنس عن الخاصة كان رسمًا ناقصًا.

وأما الرسم الناقص فهو ما يكون بالخاصة فقط، كقولنا: (ضاحك) في تعريف الإنسان، إن قلنا بجواز التعريف بالمفرد، أو بالجنس البعيد والخاصة، نحو: الإنسان جسم ضاحك.

أما كونه رسمًا فلما مر، وأما كونه ناقصًا فلعدم ذكر جميع أجزاء الرسم التام.

والخاصة تكون للجنس، كالمشي للحيوان، وتكون للنوع، كالضحك للإنسان. وكل خاصة نوع خاصة لجنس ولا عكس. وتكون لازمة ومفارقة، كالضاحك بالقوة والفعل للإنسان.

«**فَافْهَم المُحَاصَّهْ**» بضم الميم فحاء مهملة فألف فصاد مدغمة في مثلها: المقَاسمة. والمراد: افهم التقسيم المذكور للحد والرسم، وكون كل منهما تامًّا وناقصًا؛ لتكون على بينة من ذلك. والله أعلم.

تنبيه:

ما ذكره الناظم هنا بعض الكليات الخمس التي هي مبادئ التصورات، ونذكرها جميعها على سبيل الاختصار:

الكلي: هو الذي لا يمنع نفس تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه.

والكليات خمس، ووَجه الحصر أن الكليَّ إما أن يكون تمام الماهية أو جزءًا لها أو عرَضًا لها.

الأول: النوع. كالإنسان.

والثاني: إن كان مساويًا لها فالفصل، كالناطق، أو أعم منها فالجنس، كالحيوان.

والثالث: إن خصها فالخاصة، وإلا العرض العام.

وبقية التفصيل يطلب من محله في كتب المنطق، وفيما ذكرناه كفاية للتنبيه.

١٨٩ ـ وَكُلُّ مَعْلُوم بِحِسٍّ وَحِجَا ... فَنُكْرُهُ جَهْلٌ قَبِيحٌ فِي الْهِجَا
١٩٠ ـ فَإِنْ يَقُمْ بِنَفْسِهِ فَجَوْهَرُ ... أَوْ لَا فَذَاكَ عَرَضٌ مُفْتَقِرُ
١٩١ ـ وَالْجِسْمُ مَا أُلِّفَ مِنْ جُزْأَيْنِ ... فَصَاعِدًا فَاتْرُكْ حَدِيثَ الْمَيْنِ

وقوله «**وَكُلُّ مَعْلُوم بِحِسٍّ**» أي: من الحواس الخمس الظاهرة التي لا شك فيها، ولا آفة تعتريها، فإنكاره قبيح جدًّا؛ إذ هو مجرد مكابرة، كقولنا: الشمس مشرقة، والنار محرقة.

وهل الحواس الخمس تستقل بالإدراك أو لابد في إدراكها من العقل؟ قولان، ويدل للأول أن البهائم تدرك بحواسها ولا عقل لها، ويدل للثاني أن الإنسان إذا نام وانفتحت عيناه لايدرك شيئًا.

وذهب قوم إلى أن الحس لا يفيد يقينًا لغلطه في أمور، والرد عليهم في ذلك معلوم مشهور.

«**وَ**» كذا ما يدرك بـ«**حِجَا**» كـ(إِلَى) هو العقل «**فَنُكْرُهُ**» أي: إنكاره ورده بعدم الوثوق به «**جَهْلٌ قَبِيحٌ**» متناهٍ في القُبْح «**فِي الْهِجَا**» أي: في الشكل والمثل. يقال: هذا على هِجَا هذا؛ أي: على شكله. أي: قبيح في العادة المستمرة ومردود عند أهل التحقيق.

قال العلامة نجم الدين ابن حمدان في «نهاية المبتدئين»: كل مؤدٍّ إلى حقيقة ثابتة تعلم عقلًا أو حسًّا فإنكاره سفسطة[(١)]. انتهى.

---

(١) نهاية المبتدئين (٧٣).

«**فَإِنْ يَقُمْ**» ذلك الشي «**بِنَفْسِهِ**» أي: بذاته.

ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين: أن يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شيء آخر.

وعند الفلاسفة: معنى قيام الشيء بذاته استغناؤه عن محل يقومه.

فلا يخلو القائم بنفسه من أحد أمرين؛ إما أن يكون مركبًا من جزئين فصاعدًا، وهو الجسم، كما يأتي الكلام عليه، أو غير مركب.

فإن قام بنفسه، وكان غير مركب من جزءين «**فَـ**» هو «**جَوْهَرُ**».

والجوهر: ما شغل حيزًا، وقام بنفسه، وحمل بعض الأعراض، ولم يقبل انقسامًا، لا فعلًا ولا وهمًا ولا فرضًا، وهو الجزء الذي لا يتجزأ.

وعند الفلاسفة لا وجود للجوهر الفرد، أي: الجزء الذي لا يتجزأ، ووافقهم كثير من المحققين، كما تقدم في الباب الأول.

وزعمت الفلاسفة أن الجسم متركب من الهَيُولَى والصورة.

«**أَوْ لاَ**» يقوم بنفسه «**فَذَاكَ**» الذي لا يقوم بنفسه «**عَرَضٌ مُفْتَقِرُ**» إلى محل يقوم به ويحمله.

قلت: تقسيم المعلوم إلى جوهر وعرَض هو ما عليه أكثر الفلاسفة.

وقد أثبت بعضهم قسمًا ثالثًا ليس بجوهر ولا عرَض، وسمَّوه بـ«الجوهر المجرد» لتجرده عن المادة وعلائقها، وجعلوا منه «العقول العشرة».

وأيضًا تقسيم المعلوم إلى جوهر وعرض إنما المراد به المعلوم

الحادث، والأعراض تسعة، والجوهر واحد، ويسمَّى المجموع «المقولات العشرة» وقد نظمها بعضهم بقوله:

زيدُ الطويلُ الأزرقُ ابنُ مالكِ　　في بيتِهِ بالأمسِ كان مُتَّكِي
بيدهِ غُصْنٌ لَواه فالْتَوَى　　فهذه عَشْرُ مقولاتٍ سَوَا

فـ(زيد) إشارة إلى مقولة الجوهر، و(الطويل) لمقولة الكم، و(الأزرق) لمقولة الكيف، و(ابن مالك) لمقولة الإضافة، و(في بيته) لمقولة الأين، و(بالأمس) لمقولة المتى، و(كان متكي) لمقولة الوضع، و(بيده غصن) لمقولة الملك، و(لواه) لمقولة الفعل (فالتوى) لمقولة الانفعال. والثلاثة الأُوَل أمور وجودية عند المتكلمين والحكماء، والسبعه الأخيرة من الأمور الوجودية عند الحكماء، ومن النسب والإضافات عند المتكلمين، وتحقيق ذلك يُعلَم من كتب الحكمة.

«**وَالْجِسْمُ مَا**» أي: شيء، أو الذي «**أُلِّفَ**» أي: رُكِّب «**مِنْ جُزْأَيْنِ فَصَاعِدًا**» أي: أكثر، يعني: ذاهبًا إلى جهة الصعود والارتفاع عن اثنين، فيكون أقل ما يتركب من جزئين، ولا حد للكثرة.

«**فَاتْرُكْ حَدِيثَ**» أي: كلام «**المَيْنِ**» أي: الكذب.

وأراد بهذا الرد على من قال: إنه لا يتركب من أقل من ثلاثة، وعلى من قال: إنه لا يتركب من أقل من ثمانية، وعلى النَّظَّام القائل: إن الجسم مؤلف من أعراض اجتمعت.

١٩٢ ـ وَمُسْتَحِيلُ الذَّاتِ غَيْرُ مُمْكِنِ　　وَضِدُّهُ مَا جَازَ فَاسْمَعْ زَكَنِي
١٩٣ ـ وَالضِّدُّ وَالْخِلَافُ وَالنَّقِيضُ　　وَالْمِثْلُ وَالْغَيْرَانِ مُسْتَفِيضُ
١٩٤ ـ وَكُلُّ هَذَا عِلْمُهُ مُحَقَّقْ　　فَلَمْ نُطِلْ بِهِ وَلَمْ نُنَمِّقْ

قوله «**وَمُسْتَحِيلُ الذَّاتِ غَيْرُ مُمْكِنِ**» أي: المستحيل لذاته غير ممكن ولا مقدور؛ إذ لو تعلقت به القدرة لصار ممكنًا، لأنها لا

تتعلق إلا بالممكنات، كما سبق «**وَضِدُّهُ**» أي: ضد المستحيل «**مَا**» أي: الذي «**جَازَ**» وجوده وعدمه.

فالحاصل أن **الواجب**: ما لا يتصور في العقل عدمه. **والمستحيل**: ما لا يتصور في العقل وجوده. **والممكن**: ما جاز وجوده وعدمه. يعني قبل إيجاده. وتقدم الكلام على ذلك في الباب الأول.

«**فَاسْمَعْ زَكَنِي**» أي: علمي.

قال في «القاموس»: زكنه، كفرح، وأزكنه: عَلِمَه وفَهِمَه وتفرَّسه وظنَّه. أو الزكن: ظن بمنزلة اليقين عندك[١].

«**وَالضِّدُّ**» يعني: مع ضده.

فالضدان: هما ما امتنع اجتماعهما في محل واحد في زمن واحد. كالسواد والبياض، والحركة والسكون.

«والخلاف» أي: **الخلافان** يجتمعان ويرتفعان، كالحركة والبياض في الجسم الواحد.

والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، كالوجود والعدم المضافَين إلى معين واحد.

والمثلان ما قام أحدهما مقام الآخر وسد مسده، كبياض وبياض.

وأما المتشابهان فهما اللذان يتقاربان؛ إما في الصورة، وإما في المعنى، وإما في السبب الذي تعلق به وجودهما، ونحو ذلك مما تقع به المشابهة.

---

(١) القاموس المحيط (ز ك ن).

والغيران هما المختلفان. وقيل: هما الموجودان اللذان يمكن أن يفارق أحدهما الآخر بوجه.

وكل علم ذلك محقَّق عند أهل هذا الفن، وعند المناطقة، مستفيض استفاضة ظاهرة لا تخفى على أحد له اعتناء بتحصيل هذه العلوم العقلية.

وما ذكره الناظم في هذين البيتين هو بعض ما ذكره ابن حمدان في آخر «النهاية»(١)، ونذكره هنا نقلًا عن «مختصر النهاية» المسمَّى «قلائد العقيان» للعلامة البَلْبَانِيِّ(٢) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

* * *

فصل

المعلومان إما **نقيضان** لا يجتمعان ولا يرتفعان، **وخلافان** يجتمعان ويرتفعان، أو **ضدان** لا يجتمعان ويرتفعان لاختلاف الحقيقة، أو **مثلان** لا يجتمعان ويرتفعان لتساوي الحقيقة.

وكل شيئين حقيقتاهما إما متساويتان؛ يلزم من وجود كلٍّ، وجود الأخرى وعكسه، أو متباينتان؛ لا يجتمعان في محل واحد، أو إحداهما أعم مطلقًا والأخرى أخص مطلقًا، توجد إحداهما من وجود كل أفراد الأخرى بلا عكس، أو إحداهما أعم من وجه والأخرى أخص من وجه، توجد كلٌّ مع الأخرى وبدونها. انتهى.

ولم يذكر الغيرَين اكتفاء بذكر الخلافَين.

---

(١) نهاية المبتدئين (٧٣ ـ ٧٥).

(٢) هو: شمس الدين محمد بن بدر الدين بن عبدالقادر البلباني الدمشقي. توفي سنة ١٠٨٢هـ.

وقد يتعذر ارتفاع الخلافَين لخصوص حقيقة كونها خلافَين، كذات واجب الوجود، تعالى وتقدس مع صفاته، وقد يتعذر افتراقهما كالخمسة مع الفردية، والجوهر مع الألوان، ونحو هذا، وهو كثير، لكن لا تنافي بين إمكان الافتراق والارتفاع بالنسبة إلى الذات، وتعذر الارتفاع بالنسبة إلى أمر خارجي عنها.

وهذا الذي ذكرناه كله بالنسبة إلى ممكن الوجود.

أما الله تعالى وصفاته فلا يقال بإمكان رفع شيء منها؛ لتعذر رفعه، بسبب وجوب وجوده.

وكل هذا المذكور وأضعافه مما لم يذكر علمه مشهور عند المحصِّلين محقَّق، وحيث كان كذلك فلنقتصر على هذا المقدار الذي ذكرناه.

«**فَلَمْ نُطِلْ بِهِ**» أي: بذكره «**وَلَمْ نُنَمِّقْ**» من التنميق، وهو التحسين والتزيين. إذ المقصود إنما هو ذكر أمهات مسائل العقائد السلفية، وقد ذكر الناظم منها ما يروي الغليل ويشفي العليل، رحمه الله تعالى.

ثم ختم أرجوزته بحمد الله تعالى كما بدأها به، إلا أن بين الحمدين فرقًا:

فالأول: حمدٌ لذات الله تعالى وجميل صفاته.

والثاني: حمد لمقابلة النعمة العظيمة التي هي الإعانة على إكمال ما أراده.

فقال:

١٩٥ ـ وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّوْفِيقِ ... لِمَنْهَجِ الحَقِّ عَلَى التَّحْقِيقِ
١٩٦ ـ مُسَلِّمًا لِمُقْتَضَى الحَدِيثِ ... وَالنَّصِّ فِي الْقَدِيمِ وَالحَدِيثِ
١٩٧ ـ لاَ أَعْتَنِي بِغَيْرِ قَوْلِ السَّلَفِ ... مُوَافِقًا أَئِمَّتِي وَسَلَفِي

قوله «**الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّوْفِيقِ**» تقدم في أول الكتاب معنى الحمد، والفرق بينه وبين الشكر. والتوفيق: ألا يَكِلَك الله إلى نفسك. والخذلان ضده: وهو أن يخلي بينك وبينها.

«**لِمَنْهَجِ**» أي: طريق الحق الذي هو الحكم المطابق للواقع «**عَلَى التَّحْقِيقِ**» وهو إيقاع الأشياء في محالِّها، وردُّها إلى حقائقها.

«**مُسَلِّمَا**» حال من معمول (التوفيق) أي: الحمد لله على توفيقي لمنهج الحق، حال كوني مسلِّمًا «**لِمُقْتَضَى الحَدِيثِ**» أي: لما يقتضيه الحديث الصحيح الثابت عن النبيِّ ﷺ وأما الأحاديث الضعيفة؛ إما لضعف رواتها أو جهالتهم أو لعلة فيها، فلا يجوز أن يقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها، كما صرح بذلك الإمام الموفَّق وغيره.

«**وَالنَّصِّ**» الصريح، أي: القرآني. وقد قدم الحديث مراعاة للقافية، وفي نسخة (كالنص) فحينئذٍ النص هو المقدَّم.

«**فِي الْقَدِيمِ وَالحَدِيثِ**» يعني: أن هذا معتقده في أول أمره وآخره، فهو رَحِمَهُ اللَّهُ من أول نشأته سلفيُّ الاعتقاد، معتصم بحبل الله قولًا وعملًا واعتقادًا.

«**لاَ أَعْتَنِي**» أي: لا أعوِّل ولا يهمني ولا يعنيني، ولا أقول «**بِغَيْرِ قَوْلِ السَّلَفِ**» وهم النبي ﷺ وأصحابه.

وأفضل الأصحاب الخلفاء الراشدون الذين حض ﷺ على اتباعهم بقوله: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[(١)].

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب: في لزوم السنة (رقم ٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم، باب: الأخذ بالسنة واجتناب البدع (رقم ٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (رقم ٤٣) وصححه الألباني، =

ومن السلف الأئمة المجتهدون، الذين يقولون الحق، وبه كانوا يعدلون، ثم من تبعهم بإحسان، وقفا أثرهم، عاملًا بطريقتهم، إلى آخر الزمان، لم يغير ولم يبدل ما كانوا يقولون ويعتقدون، وهؤلاء هم الذين أراد عليه الصلاة والسلام بقوله: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(١).

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله سره، في «الفتوى الحموية» بعد كلام مهم مفيد: ولا يجوز أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما يقوله بعض الأغبياء، ممن لا يعرف قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها؛ من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، فإن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة! كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم، حيث يقول:

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلَّها ... وسَيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالِمِ
فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ ... على ذقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادمِ

= ولفظه: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة (رقم ٢٦٤١) وحسنه الألباني، ولفظه: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

وقال: فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة، ومَن حذا حذوهم، على طريقة السلف، إنما أُتُوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلُّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف(١).

قلت: وبهذا الكلام تعلم خطأ من قال: إن مذهب السلف هو تفويض المعنى المراد من الآيات والأحاديث الدالة على الصفات الإلهية، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن الجارحة. وهذا هو التأويل الإجمالي، وينشد على ذلك بيت اللَّقَّانيِّ:

وكُلُّ نصٍّ أَوْهَمَ التشبيهَا ... أَوِّلْهُ أو فوِّض ورُمْ تنزيهَا

فقد برأ الله تعالى السلف من هذين القولين اللذين لم يقم عليهما دليل، وإنما قام على خلافهما.

وأما قوله (مع تنزيهه تعالى عن الجارحة) فهو الحق لا ينازع فيه مسلم، وقد دل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فمذهب السلف إنما هو الإثبات، لا التفويض الذي هو أول درجات التعطيل، وقد قال الناظم فيما سبق:

(١) الفتوى الحموية (١/ ١٨٥ ـ ١٨٩).

فَعَقْدُنَا الْإِثْبَاتُ يَا خَلِيلِي مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلَا تَمْثِيلِ

وهذا هو معنى كلام الإمام مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال في جواب من سأله عن الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. فلو كان مذهب السلف التفويض لكان الاستواء مجهولًا لا معلومًا كما قاله إمام دار الهجرة.

وما أحسن ما قيل:

فيا لك من آيات حق لو اهتدَى بهِنَّ مريد الحق كُنَّ هَوَاديَا
ولكن على تلك القلوب أكنَّةٌ فليست وإن أصغَت تجيب المناديَا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الفتاوى الحموية»: وكانت النتيجة استجهال السابقين الأولين، واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا أُمِّيين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحَّرُوا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله، ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة[(١)].

ثم أطال شيخ الإسلام الكلام بما يملأ القلب نورًا وايمانًا، كعادته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالحاصل أن الناظم من أول نشأته سلفيُّ الاعتقاد، كما قال «**مُوَافِقًا أَئِمَّتِي**» من أهل الأثر «**وَسَلَفِي**» في ذلك من كل إمام هُمَام.

١٩٨ ـ وَلَسْتُ فِي قَوْلِي بِذَا مُقَلِّدَا إِلاَّ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى مُبْدِي الْهُدَى
١٩٩ ـ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا قَطْرٌ نَزَلْ وَمَا تَعَانَى ذِكْرَهُ مِنَ الْأَزَلْ
٢٠٠ ـ وَمَا انْجَلَى بِهَدْيِهِ الدَّيْجُورُ وَرَاقَتِ الْأَوْقَاتُ وَالدُّهُورُ

(١) الفتوى الحموية (١/ ١٩٠ ـ ١٩١).

قوله «**وَلَسْتُ فِي قَوْلِي بِذَا**» أي: بما أشرت إليه من اقتفاء الأئمة «**مُقَلِّدَا**» لهم في اعتقادي من غير نظر في الدليل، بل نظرت كما نظروا، وسبرت كما سبروا.

قلت: وهذه طريقة العلماء والفضلاء، يتتبعون الأدلة، ويتعرفون مأخذ العلماء، سواء في ذلك ما يتعلق بالاعتقاد أو العمل، وبحثهم عن الدليل لم يخرجهم عن كونهم مقلدين، بل هم بأنفسهم يعترفون بالتقليد للأئمة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم في المسائل الفرعية.

وأما في الأمور الاعتقادية فلا يجوز فيها تقليد أحد «**إِلاَّ النَّبِيَّ المُصْطَفَى**» من سائر العالم «**مُبْدِي**» أي مظهر «**الهُدَى**» بالدلائل الواضحة «**صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ**» تعالى «**مَا قَطْرٌ نَزَلْ**» أي: مدة دوام نزول الأمطار.

«**وَ**» صلى الله وسلم عليه «**مَا تَعَانَى**» المعتنُون «**ذِكْرَهُ مِنَ الْأَزَلْ**» في الأعصار الخالية، فإنه لم يخل زمان من ذكره والتنويه بشرعه ومبعثه إلى أن جاء إبَّان رسالته، فظهرت شمس نبوته على سائر كواكب النبوات، فانخسفت، وبهرت رسالته سائر المقالات فانطمست.

«**وَ**» صلى الله وسلم عليه «**مَا انْجَلَى**» أي: تفرق وزال وانكشف «**بهديه**» المشرق اللامع «**الديجور**» أي: الظلمة «**وَ**» ما بهديه عليه الصلاة والسلام «**رَاقَتِ**» أي: صفت «**الْأَوْقَاتُ**» جمع (وقت) وهو المقدار من الدهر. وأكثر ما يستعمل في الماضي «**وَ**» ما راقت «**الدُّهُورُ**» جمع (دهر) وهو الزمان الطويل والأمد الممدود.

٢٠١ ـ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الْوَفَا مَعَادِنِ التَّقْوَى وَيَنْبُوعِ الصَّفَا
٢٠٢ ـ وَتَابِعٍ وَتَابِعٍ لِلتَّابِعِ خَيْرُ الْوَرَى حَقًّا بِنَصِّ الشَّارِعِ

قوله «**وَآلِهِ**» أي: صلى الله وسلم على آل النبي المصطفى، أي: أتباعه على دينه، كما هو اختيار الإمام أحمد في مقام الدعاء.

وقيل: أقاربه الأدنون من بني هاشم وبني المطلب. وهو اختيار الإمام الشافعي.

«**وَصَحْبِهِ**» وهم: كل من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنًا ومات على الإيمان. وقد تقدم تعريف الصحب والآل في أول الكتاب.

«**أَهْلِ**» أي: أصحاب «**الْوَفَا**» أي: الوافين بما أُمروا به «**مَعَادِنِ التَّقْوَى**» المعادن جمع (معدِن) بكسر الدال.

قال الأزهريُّ: سمِّي مَعْدِنًا لِعُدُونِ ما أنبته الله فيه؛ أي: لإقامته فيه(١).

وأحرى خلق الله تعالى بإقامة التقوى فيهم، بعد أنبياء الله ورسله، هم أصحاب رسوله ﷺ ورضي عنهم.

والتقوى: التحرز بطاعة الله تعالى عن مخالفته، وامتثال أمره واجتناب نهيه.

وقد تقدم تعريفها بأبسط من هذا.

«**وَيَنْبُوعِ الصَّفَا**» الينبوع، بفتح التحتية وسكون النون وضم الموحدة وبعدها واو ساكنة فعين مهملة: عين الماء، أو الجدول الكثير الماء، كما في «القاموس»(٢).

والصفاء ضد الكدر.

فالصحابة الكرام ينبوع كل خالص من الكدر، نقي من غبار البدع، فمن ورد موردهم شرب زلالًا صافيًا، ومن زل عن نهجهم شرب ملحًا أُجاجًا قذرًا.

---

(١) تهذيب اللغة (ع د ن).
(٢) مختار الصحاح (ن ب ع).

«**وَ**» صلى الله تعالى وسلم على «**تَابِع**» لهم بإحسان «**وَتَابِعٍ لِلتَّابِعِ**» على نهج الاستقامة والإتقان، وهؤلاء القرون الثلاثة «**خَيْرُ الْوَرَى**» أي: الخلق، والمراد أنهم أفضل هذة الأمة «**حَقًّا**» مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره: أحق ذلك حقًّا «**بِنَصِّ الشَّارِعِ**» يعني النبي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد تقدم أنه ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران بن حصين: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. رواه البخاري ومسلم وغيرهما(١).

وفي حديث أبي هريرة عند مسلم: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ**»(٢).

ولهذا المعنى قال:

٢٠٣ ـ **وَرَحْمَةُ اللهِ مَعَ الرِّضْوَانِ وَالْبِرِّ وَالتَّكْرِيمِ وَالْإِحْسَانِ**
٢٠٤ ـ **تُهْدَى مَعَ التَّبْجِيلِ وَالْإِنْعَامِ مِنِّي لِمَثْوَى عِصْمَةِ الْإِسْلَامِ**
٢٠٥ ـ **أَئِمَّةِ الدِّينِ هُدَاةِ الْأُمَّةِ أَهْلِ التُّقَى مِنْ سَائِرِ الْأَئِمَّةِ**

قوله «**وَرَحْمَةُ اللهِ**» تعالى «**مَعَ الرِّضْوَانِ**» أي: من الله تعالى «**وَالْبِرِّ**» أي: الشفقة والإحسان «**وَالتَّكْرِيمِ**» لهم من فضله العميم «**وَالْإِحْسَانِ**» إليهم من الله تعالى لأنهم أحسنوا عملًا وأخلصوا قولًا وفعلًا، فيجازيهم بالإحسان، لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ (رقم ٣٦٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (رقم ٢٥٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (رقم ٢٥٣٤).

«**تُهْدَى**» بضم المثناة، أي: هذه الأمور «**مَعَ التَّبْجِيلِ**» أي: التعظيم «**وَالْإِنْعَامِ**» من الملك المنعم المهيمن السلام «**مِنِّي**» أي: بأن أسأل الله تعالى أن يفعل ذلك بمَنِّه وكرمه «**لِمَثْوَى**» أي: منزل ومقام «**عِصْمَةِ**» أهل «**الْإِسْلَامِ**» من البدع المضلة.

والعصمة: المنعة. والعاصم: المانع. والاعتصام: الاستمساك بالشيء.

«**أَئِمَّةِ**» أهل هذا «**الدِّينِ**» المتين «**هُدَاةِ الْأُمَّةِ**» لدلالتهم إياها على نهج الرسول وكشفهم لهم عن معاني الكتاب والسنة.

٢٠٦ ـ لاَ سِيَّمَا أَحْمَدَ وَالنُّعْمَانِ وَمَالِكٍ مُحَمَّدِ الصِّنْوَانِ

قوله «**لاَ سِيَّمَا**» هذه الكلمة ليست من كلمات الاستثناء حقيقة، لكن ذكروها في بابه لأن ما بعدها مُخرَج مما قبلها من حيث أولويته بالحكم مما قبله.

و(لا) نافية للجنس، و(سِيّ) بمعنى (مثل) اسمها، و(ما) بمعنى (الذي) فما بعدها خبر محذوف وجوبًا؛ لمشابهة (لا سيما) إلا، وهي لا تقع بعدها الجملة، ولهذه المشابهة جاز حذف صدر صلة (ما) هنا ولو لم تطل.

أو نكرة موصوفة، وخبر محذوف، فإذا قلت: (جاءني القوم ولا سيما زيد) فالمعنى: ولا مثل الذي أو رجل هو زيد موجود بين القوم الذين جاءوني. أي: بل هو أخص بي وأشد إخلاصًا في المجيء إليَّ.

ويجوز جعل (ما) زائدة، وجر ما بعدها بإضافة (سيّ) إليه، وجعلها نكرة تامة، ونصب ما بعدها تمييزًا لها إن كان نكرة، وكذا إن كان معرفة، على مذهب من يجوّز تعريف التمييز. أو مفعولًا لفعل

محذوف وجوبًا تقديره (أعني) والواو الداخلة عليها في بعض المواضع اعتراضية، إذ (لا سيما) مع ما بعدها جملة مستقلة.

«**أَحْمَدَ**» **ابن محمد بن حنبل الشيبانيُّ**، سيدنا وإمامنا، وتقدمت ترجمته في صدر الكتاب.

«**وَالنُّعْمَانِ**» معطوف على ما قبله.

وهو **أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيُّ**، إمام أهل العراق وفقيههم بالاتفاق، وإمام أصحاب الرأي، وقد أثنى عليه الأئمة الكبار، منهم عبدالله بن المبارك حيث قال:

لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفه
بأحكام وآثار وفقه ... كآيات الزبور على صحيفه
فما في المشرقَين له نظير ... ولا في المغربَين ولا بكوفه
يبيت مشمِّرًا سهر الليالي ... وصام نهاره لله خيفه
فمن كأبي حنيفة في عُلاه ... إمام للخليقة والخليفه
وقد قال ابن إدريس مقالًا ... صحيح النقل في حكم لطيفه
بأن الناس في فقه عيال ... على فقه الإمام أبي حنيفه
وصان لسانه عن كل إفك ... وما زالت جوارحه عفيفه
يعف عن المحارم والملاهي ... ومرضاة الإله له وظيفه

وهو ـ رحمه الله تعالى ـ من أبناء فارس، ولهذا يقول بعض الفضلاء في مدحه:

يا من علا في الاجتهاد منارُهُ ... وبدر مذهبه غلا مقداره
لله درك من إمام أعظم ... يُعزَى إلى كسرى الملوك نجاره

ولد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة ثمانين، وتوفي سنة مائة وخمسين. رحمه الله تعالى.

«**وَمَالِكٍ**» بالجر والتنوين، معطوف على ما قبله.

وهو الإمام السالك أحسن المسالك، إمام دار الهجرة **مالك بن أنس بن أبي عامر التيمي**، وكنيته «أبو عبدالله». ولد في خلافة الوليد بن عبدالملك سنة أربع ـ وقيل: سنة ثلاث ـ وتسعين. ومناقبه جمة، أفردت بالتأليف، وثناء الأئمة عليه معروف مشهور، أخذ الرواية عن تسعمائة شيخ، منهم ثلاثمائة من التابعين، والبقية من أتباع التابعين.

ولقد أحسن الحافظ السِّلَفِيُّ إذ يقول في مدح أبي عبدالله الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إمام الورى في الشرع بالشرق مالك وبالغرب أيضًا في جميع الممالك
فمن يك سُنيًّا وللشرع تابعًا وللعلم طلابًا عليه بمالك

ولما حضرته الوفاة تشهد ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد! فتوفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة تسع وسبعين ومائة، بالمدينة الشريفة، وعمره خمس وثمانون سنة، ودفن بالبقيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«**وَمُحَمَّدِ**» معطوف على ما قبله بإسقاط حرف العطف لإقامة الوزن «**الصِّنْوَانِ**» أي القرابة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **محمد بن إدريس بن العباس المُطَّلِبِيُّ الشافعيُّ**. يجتمع نسبه مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عبد منافٍ.

ولد سنة خمسين ومائة، وكان جمَّ المفاخر منقطع النظير، اجتمع فيه من العلم بكتاب الله، وسنة رسوله، وأقوال الصحابة وآثارهم وأخبارهم، وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر، ما لم يجتمع بغيره، حتى قرأ عليه الأصمعي، مع اشتهاره بهذا الشأن، أشعار الهذليين.

وقال الإمام أحمد: عرفنا ناسخ القرآن ومنسوخه لما جالسنا الشافعي.

قال الشافعي: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر.

قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة، فأقام شهرًا، ثم خرج إلى مصر، وكان وصوله إليها سنة تسع وتسعين ومائة. قاله ابن خَلِّكان.

وكان الحميدي يقول: حدثنا سيد الفقهاء الشافعي.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه، بمصر سنة أربع ومائتين، في شهر رجب.

٢٠٧ ـ مَنْ لاَزِمٌ لِكُلِّ أَرْبَابِ الْعَمَلْ تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمُ فَاسْمَعْ تَخَلْ

قوله «**مَنْ**» أي الذين هم. فهو مبتدأ. قال الشارح: خبره فرض «**لاَزِمٌ**» لا انفكاك عنه «**لِكُلِّ**» واحد مكلف من «**أَرْبَابِ**» أي: أصحاب «**الْعَمَلْ**» الصالح، ممن ليس فيهم أهلية الاجتهاد المطلق «**تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمُ**» أي: من الأئمة الأربعة «**فَاسْمَعْ**» نظامي وما أشرت إليه من لزوم كل مكلف لم يبلغ رتبة الاجتهاد تقليد أحد الأئمة الأربعة «**تَخَلْ**» أي: تظن وتعلم ذلك حقًّا.

وإنما قال «**لكل أرباب العمل**» ليحترز به عن التقليد في عقائد التوحيد؛ من معرفة الله تعالى ونعوت ذاته وصفاته، والرسالة، وكذا في أركان الإسلام الخمسة وجميع مسائل العبادات؛ إذ لا يعبد الله إلا بما شرع، فلا تقليد في شيء من ذلك.

والتقليد لغةً: وضع الشيء في العنق. وعرفًا: أخذ قول الغير من غير معرفة دليله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فليس المصير إلى الإجماع

تقليدًا؛ لأن الإجماع دليل، ولذلك يقبل قول النبي ﷺ ولا يقال تقليد، بخلاف فتيا الفقيه[(١)].

وقد اختلف العلماء في جواز التقليد في المسائل الفرعية الشرعية؛ فذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه لا يجوز مطلقًا.

قال الإمام الشوكاني في «إرشاد الفحول»: قال القرافي: مذهب مالك وجمهور العلماء وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد، وادعى ابن حزم الإجماع على النهي عن التقليد. قال ابن حزم: فها هنا مالك ينهَى عن التقليد، وكذا الشافعي وأبو حنيفة، وقد روَى المزني عن الشافعي في أول «مختصره» أنه لم يزل ينهَى عن تقليده وتقليد غيره[(٢)].

وقال ابن عربيٍّ في الباب الثامن والثمانين من «الفتوحات»[(٣)]: والتقليد في دين الله لا يجوز عندنا، لا تقليد حي ولا ميت.

وقال في «شرح الإقناع» عند قول الماتن فيما يشترط في القاضي: وأن يكون سميعًا بصيرًا ناطقًا مجتهدًا إجماعًا، ذكره ابن حزم. ولأنهم أجمعوا على أنه لا يحل لحاكم ولا لمفتٍ تقليدُ رجل لا يحكم ولا يفتي إلا بقوله؛ لأن فاقد الاجتهاد إنما يحكم بالتقليد، والقاضي مأمور بالحكم بما أنزل الله، ولأن المفتي لا يجوز أن يكون عاميًّا مقلدًا، فالحاكم أولى.

قال: لكن في «الإفصاح» أن الإجماع انعقد على تقليد كل من المذاهب الأربعة، وأن الحق لا يخرج عنهم، ثم ذكر أن الصحيح في هذه المسألة أن قول من قال: إنه لا يجوز تولية مجتهد فإنه إنما عَنَى به ما كانت الحال عليه قبل استقرار ما استقرت عليه هذه المذاهب.

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٢/ ٢٥٢).

(٢) إرشاد الفحول (٢/ ٢٤٣).

(٣) الفتوحات المكية (الباب ٨٨) (٢/ ١٦٥)، (وكتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي ت٦٣٨ وهو من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود، من كتب الضلال التي حذَّر منها العلماء. انظر «ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه»؛ للدكتور دغش العجمي).

وقال الإمام الموفَّق في خطبة «المغني»: النسبة إلى إمام في الفروع كالأئمة الأربعة ليست بمذمومة؛ فإن اختلافهم رحمة، واتفاقهم حجة قاطعة[(١)].

وقال أيضًا في «الروضة»: وأما التقليد في الفروع فهو جائز إجماعًا[(٢)].

وذهب جماعة من العلماء إلى التفصيل، وهو أنه يجب التقليد على العامي، ويحرم على المجتهد.

قال في «إرشاد الفحول»: وبهذا قال كثير من أتباع الأئمة الأربعة. قال: ولا يخفاك أنه إنما يعتبر في الخلاف أقوال المجتهدين، وهؤلاء هم مقلدون، وليسوا ممن يعتبر خلافه[(٣)].

أي: لأنهم ليسوا من العلماء. وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، منهم ابن القيم في **«النونية»**[(٤)] حيث قال:

وإذا دعوناكم إلى البرهان كا ... ن جوابكم جهلًا بلا برهانِ
نحن المقلدة الألى أَلِفُوا كذا ... آباءهم في سالف الأزمانِ
قلنا فكيف تكفرون وما لكم ... علم بتكفير ولا إيمانِ
إذ أجمع العلماء أن مقلِّدًا ... للناس كالأعمى هما أخَوَانِ
والعلم معرفة الهُدَى بدليله ... ما ذاك والتقليد مستويانِ

وقال في فصل عقده لبيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء[(٥)]:

(١) كشاف القناع (٦/ ٢٩٥).
(٢) روضة الناظر (٢/ ٣٨٢).
(٣) إرشاد الفحول (٢/ ٢٤٤).
(٤) الكافية الشافية (١/ ٩٩).
(٥) الكافية الشافية (١/ ٢٦٦).

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحقُّ ذو تبيانِ
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمنِ
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثانِ
والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالقرآنِ
والله ما قال امرؤ متحذلق ... بسواهما إلا من الهذيانِ

قلت: وما ذكره صاحب «الإفصاح» ـ وهو عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة ـ من أن الإجماع انعقد على تقليد كل واحد من المذاهب الأربعة، وأن الحق لا يخرج عنهم، ربما يَرِدُ عليه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله في بعض فتاويه: أما الثوريُّ فله مذهب باقٍ إلى اليوم بأرض خراسان[(١)] انتهى.

وابن هبيرة متقدم على شيخ الإسلام، فإنه توفي سنة ستين وخمسمائة، وشيخ الإسلام توفي سنة سبعمائة وثمان وعشرين.

إذا علم هذا فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل؛ من كتاب الله أو سنة رسوله، وفهم معنى ذلك، أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] **ولا يخالف في هذا إلا الجهال لجهلهم بالكتاب والسنة.**

وقال صدر الوزراء ابن هبيرة: إنه من مكائد الشيطان أن يقيم أوثانًا في المعنى تُعبَد من دون الله، مثل أن يتبين له الحق، فيقول: هذا ليس بمذهبنا! تقليد المعظم عنده قد قدمه على الحق.

---

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ٣٢٨).

وقد قال الإمام الشافعي، كما في «فتح المجيد»: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

قال في «شرح الإقناع» وفي «المبدع»: قال أحمد في رواية المروذي: إذا سئلت عن مسألة لم أعرف فيها خبرًا، قلت فيها بقول الشافعي؛ لأنه إمام عالم من قريش(١).

وهذا يدل على أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم، وإنما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول إمام من الأئمة، فالواجب عليه الأخذ بالحجة، كما تقدم. والله أعلم.

٢٠٨ ـ **وَمَنْ نَحا لِسُبْلِهِمْ مِنَ الْوَرَى**	**مَا دَارَتِ الْأَفْلَاكُ أَوْ نَجْمٌ سَرَى**
٢٠٩ ـ **هَدِيَّةٌ مِنِّي لِأَرْبَابِ السَّلَفْ**	**مُجَانِبًا لِلْخَوْضِ مِنْ أَهْلِ الخَلَفْ**
٢١٠ ـ **خُذْهَا هُدِيتَ وَاقْتَفِي نِظَامِي**	**تَفُزْ بِمَا أَمَّلْتَ وَالسَّلَامِ**

قوله «**وَمَنْ نَحا**» أي: ورحمة الله تعالى لمن نحا؛ أي قصد «**لِسُبْلِهِمْ**» جمع (سبيل) وهو الطريق الواضح «**مِنَ**» سائر «**الْوَرَى**» أي: الخلق «**مَا دَارَتِ الْأَفْلَاكُ**» أي: مدة دوران الأفلاك «**أَوْ نَجْمٌ سَرَى**» أي: وتهدى لهم الرحمة مدة دوام سُرَى النجم «**هَدِيَّةٌ**» أي: هذه هدية أي: مهداة «**مِنِّي**» بعون الله تعالى «**لِأَرْبَابِ**» أي: أصحاب مذهب «**السَّلَفْ**» وعقيدة أهل الأثر حال كوني «**مُجَانِبًا**» في نظمي «**لِلْخَوْضِ**» في التأويل العليل كما هو دأب المتنطعين «**مِنْ أَهْلِ**» مذهب «**الخَلَفْ**» المخالف لمذهب السلف.

«**خُذْهَا**» أي: هذه العقيدة «**هُدِيتَ**» في اعتقادك «**وَاقْتَفِي**» أي: اتبع «**نِظَامِي**» فإنك إن فعلت ذلك «**تَفُزْ**» أي: تظفر «**بِمَا**» أي: بالذي

---

(١) كشاف القناع (٦/ ٣٠٢)، المبدع (١٠/ ٢٨).

«**أَمَّلْتَ**» من الخير «**وَ**» تظفر بـ«**السَّلَامِ**» أي: الأمان من التخليط في اعتقادك، والخبط فيه خبط عشواء.

وإلى هنا وقف جري القلم حيث تم النظام.

فالحمد لله أولًا وآخرًا، فهو الأول والآخِر، والباطن والظاهر، وهو بكل شيء عليم.

والصلاة والسلام على خير الأنام نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام.

وكان الفراغ من تبييضه ضحوة يوم الأربعاء، سادس عشر جمادَى الآخرة، سنة ألف وثلاثمائة وأربع وثلاثين، على يد جامعه الفقير إلى رحمة ربه: محمد بن عبدالعزيز بن مانع، الحنبليِّ مذهبًا والسلفيِّ اعتقادًا، غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، آمين يا رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة



تحفة الإخوان

في بيان أن الحق والصواب فيما قرره العلامة الشيخ سليمان بن سحمان

للشيخ العلامة
محمد بن عبدالعزيز بن مانع
(ت١٣٨٥هـ) رحمه الله تعالى

مقدمة المحقِّق

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وبعد: فهذه رسالة بعنوان «**تحفة الإخوان في بيان أن الحق والصواب فيما قرره العلامة الشيخ سليمان بن سحمان**».

مميزات هذه الرسالة:

- **تكشف** هذه الرسالة عن معتقد الشيخ محمد بن مانع.

- **تُعَدُّ** هذه الرسالة إعلانًا من الشيخ ابن مانع عن الرجوع إلى تنبيهات العلامة ابن سحمان رحمه الله تعالى.

- **تبين** هذه الرسالة حرص العلامة ابن مانع على الرجوع إلى الحق إذا تبين له والشجاعة في الاعتراف بالخطأ.

- **تبين** هذه الرسالة وتوثق لبعض مؤلفات الشيخ ابن مانع وترتيب تأليفها، حيث ذكر أكثر من كتاب ألفه وهي:

«**الكواكب الدرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**».

و«**القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد**».

و«**تحديق النظر في أخبار الإمام المهدي المنتظر**».

و«**الأجوبة الحميدة على الأسئلة المفيدة**».

و«**كشف الغطا عما في إعلام الورى من الخطا**».

و«**إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب**».

- **بينت** هذه الرسالة مدى صلة الشيخ ابن مانع بالشيخ ابن سحمان ومكانة كلٍّ منهما.

هذه الرسالة تطبع لأول مرة فيما أعلم.

موارد ابن مانع:

رجع إلى بعض مؤلفات شيخ الإسلام وابن القيم، مثل «القصيدة النونية» وكتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد».

وصف النسخة الخطية:

الرسالة محفوظة في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ضمن مجموعة الشيخ عبدالرحمن العيسى (برقم ١٨) ولم تذكر المصادر التي ترجمت للشيخ شيئًا عنها.

وقد حصلت على هذه النسخة من الدكتورة ندى خياط، جزاها الله خيرًا.

هذه تحفة الإخوان في بيان أنه الحق
والصواب فيما قرره العلامة
الشيخ سليمان بن سحمان
رحمه الرحمن
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين كالمبتدعة والرافضة
ومن على منهاجهم من الخوارج والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين [illegible] الكواكب والعقول السديدة [illegible]
الإسلام وعلماء الدين في الرياض وطلبت من العلماء [illegible] الأخ [illegible] الشيخ سليمان بن سحمان رحمه
الرحمن [illegible] مخالفا المذهب السلف الصالح وإنما فعلت ذلك طلبا للحق [illegible]
الأعلام قال مسلم بن الحجاج عرضت كتابي على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علة تركته [illegible]
[illegible] واستقر [illegible] ما يستحضر [illegible] واحد من العقول السديدة [illegible]
[illegible] الأصل [illegible] الاستقلال [illegible]
الذي [illegible] جماعة من العلماء الذين ينتسبون إلى مذهب السلف الصالح كالشيخ عبد القادر الجيلاني [illegible]
[illegible] والآلوسي [illegible] العينين [illegible]
ابن القيم [illegible] الإسلامية فلم ينكر هذه الكلمة [illegible] ذكرهم [illegible]
[illegible] العلامة الشيخ سليمان [illegible] الاتباع [illegible]
[illegible] ابن القيم [illegible]
الحق والصواب [illegible] العلامة [illegible] وهو قوله [illegible] اللفظ

[illegible] عبد الرحمن [illegible] ١١٨/

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، كالمبتدعة والمارقين ومَن على منهاجهم من الجاهلين.

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فإنني لما طبعت «**الكواكب**» و«**القول السديد**» أرسلت منها جملة نسخ إلى مشايخ الإسلام وعلماء الدين في الرياض، وطلبت من العلامة المحِبِّ الأخ في الله الشيخ سليمان بن سحمان، حرسه الرحمن، أن ينبهني على ما يراه مخالفًا لمذهب السلف الصالح، وإنما فعلت ذلك طلبًا للحق واقتداء بالعلماء الأعلام.

قال مسلم بن الحجاج: عرضت كتابي على أبي زرعة الرازي، فما أشار أن له علة تركته(١).

ففعل، ضاعف الله جزاءه، وانتقد منها نحوًا من ثمانية عشر موضعًا، واحدٌ من «**القول السديد**» والبقية من «**الكواكب**» اثنان من زياداتي على صاحب الأصل.

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٤٣٠).

أحدهما قولي في الاستواء: (من غير مُمَاسَّة) وذلك القول الذي تبعت فيه جماعة من العلماء الذين ينتسبون إلى مذهب السلف الصالح، كالشيخ عبدالقادر الجيلاني، والشيخ صديق في «الانتقاد الرجيح» والآلوسي في «جلاء العينين» وجماعة آخرين، ذكرهم وذكر أقوالهم العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**الجيوش الإسلامية**» فلم ينكر هذه الكلمة، مع مبالغته في الاتباع والتمسك بالسنة.

وقد بيّن العلامة الشيخ سليمان بعد ذلك في رسالة كتبها إلينا، وهو أن العلامة ابن القيم إنما ذكرها تبعًا لذكر أقوالهم في إثبات صفة العلو، لأن أهل السنة يذكرون ما لهم وما عليهم، وهذا هو الحق والصواب.

ولهذا أقول في هذه المسألة ما قاله العلامة[1] **في «التنبيه»** وهو قوله: فهذا اللفظ لا يجوز نفيه ولا إثباته، والواجب في هذا الباب متابعة الكتاب والسنة، والتعبير بالعبارات السلفية الإيمانية وترك المتشابه[2].

وهذا عين الحق، والصواب الذي أدين الله تعالى به.

والثاني قولنا في المهدي: إنَّه لا يجب اعتقاد مجيئه.

وقد بينت مرادي بذلك على وجه التفصيل في «**تحديق النظر**» وفي «**الإرشاد**» وحاصله أنني لا أنكر مجيء المهدي، وإنما أقول: إن الأدلة الواردة في ذلك ما تدل على وجوب اعتقاد مجيئه. والبحث مفصل هناك.

وأما ما عدا هذا من المسائل فمن كلام السَّفَّارينيِّ، تابعته عليها، وهي قسمان:

---

(١) يعني الشيخ سليمان بن سحمان.

(٢) تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة (١/ ٥).

أحدهما: قد بينت الصواب فيه، وذكرت الحق الذي يجب اعتقاده، كما بينه الشيخ في موضع آخر، وذلك إطلاق لفظة «**القديم**» على كلام الله تعالى، والقول بقدم الأفعال الاختيارية مطلقًا، فقد ذكرت الصواب في ذلك عند قول الناظم:

وَكُلُّ قُرْآنٍ قَدِيمٌ فَابْحَثُوا[(١)]

فبينت أن كلام الله قديم النوع، حادث الآحاد، وأنه يتكلم سبحانه بمشيئته وإرادته، وهذا مذهب أهل السنة، وكذلك أنكرت القول بتفويض الصفات في مواضع، لا سيما في آخر الكتاب.

القسم الثاني: سكتُّ عنه، وأبقيته كما وجدته ثقةً بقول السَّفَّارينيِّ: إن ذلك مذهب السلف وأئمة الحنابلة.

وقوّى ذلك أنني رأيتها كلها في عقائد جماعة من الحنابلة، وينسبونها إلى اعتقاد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كـ«**العين من الأثر**» لعبدالباقي، و«**قلائد العقيان مختصر عقيدة ابن حمدان**» للبَلْبَانِيِّ[(٢)]، وبعضها في عقيدة موفَّق الدين ابن قدامة، وعقيدة الشيخ عثمان الحنبلي صاحب «**حاشية المنتهى**».

وذلك مثل إطلاق إرادة الله في أفعال العباد، ومسألة جواز تعذيب الوَرَى من غير ذنب، واستعمال الألفاظ المبتدعة، كلفظ «الجسم

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٣٩) وقبله:

نُتَابِعُ الْأَخْيَارَ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرْ ... وَنَقْتَفِي الْآثَارَ لَا أَهْلَ الْأَشَرْ
وَلَا نَقُلْ إِيمَانُنَا مَخْلُوقُ ... وَلَا قَدِيمٌ هَكَذَا مَطْلُوقُ
فَإِنَّهُ يَشْمَلُ لِلصَّلَاةِ ... وَنَحْوِهَا مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ
فَفِعْلُنَا نَحْوُ الرُّكُوعِ مُحْدَثُ ... وَكُلُّ قُرْآنٍ قَدِيمٌ فَابْحَثُوا

(٢) هو: العلامة الفقيه شمس الدين محمد بن بدر الدين بن عبدالقادر البلباني الدمشقي. توفي سنة ١٠٨٢هـ.

والجوهر والعَرَض» وغير ذلك مما بيّنه وحققه العلامة في «التنبيه» جزاه الله أحسن الجزاء.

* * *

فصل

لما ورد في جواب الشيخ، لاح لي منه نور الحق وبان صوابه، فاستغفرت الله تعالى مما قلته من الخطأ أو نقلته، وحمدت الله تعالى على وجود الحق الذي هو ضالتي، ورجعت عن هذه الأقوال التي بان أمرها، وظهر أنها ليست من أقوال أهل السنة المحضة.

وذلك لأنني، ولله الحمد، لست مبتدعًا ولا داعيًا إلى بدعة، وحررت رجوعي بكتاب «**كشف الغطا**» وضربت صفحًا عن تلك الأقوال، فلم أذكرها في تقرير ولا تحرير، اللهم إلا على سبيل الإنكار وبيان الصواب.

وقد أُلِّفت بعد تأليف «الكواكب»: «**الأجوبة الحميدة**» و«**كشف الغطا**» فصار على مذهب أهل السنة المحض، ليس فيه شيء من البدع والأقوال المنكرة، إلا ما لا يسلم منه كتاب؛ لأن العصمة ليست إلا بكتاب الله وحده، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، وما ذلك إلا لأني لم أقلد فيها أحدًا، بل اجتهدت في اتباع الدليل؛ لأن التقليد، والعياذ بالله، يُعمي عن إدراك الحقائق، على أن الغلط والخطأ معفوٌّ عنهما إذا لم يتعمَّدهما الإنسان.

وأَجَلّ مصنفات العلماء «**الصحيحان**» و«**مسند الإمام أحمد**» وقد انتقد العلماء على البخاريِّ أزيَدَ من مائة حديثٍ، وعلى مسلم أكثر

من مائة وعشرة ليست على شرطهما[(١)]، كما في «**مقدمة الفتح**»[(٢)] و«التدريب»[(٣)] وغيرهما.

وكذلك انتقد الحفاظ على «**المسند**» جملة من أحاديثه كما في «**القول المسدد**» ولم ينقص ذلك من قدر مؤلفيها عند المحصلين المنصفين شيئًا.

قال الحافظ ابن رجب في مقدمة «القواعد»: وَالْمُنْصِفُ مَنِ اغْتَفَرَ قَلِيلَ خَطَأِ الْمَرْءِ فِي كَثِيرِ صَوَابِهِ[(٤)].

والإنسان إذا قصد الحق واجتهد في طلبه حسب طاقته، فأخطأ، فليس عليه إثم، ولا يلحقه فيه ملام، كما دل عليه الكتاب والسنة ووضحه الأئمة الأعلام.

وقد روى ابن ماجه وغيره عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٦)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليس كل من ترك قوله لخطأ أخطأه يكفَّر ولا يفسَّق ولا يؤثَّم، إن الله قال في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**قد فعلت**»[(٧)] انتهى.

---

(١) وقد صنف الدارقطني «الإلزامات والتتبع» في ذلك.

(٢) مقدمة فتح الباري (١/ ٣٨٤ ـ ٤٦٤ الفصل الثامن في سياق الأحاديث التي انتقدها عليه حافظ عصره أبو الحسن الدَّارَقُطْنِيّ وغيره من النقاد وإيرادها حديثًا حديثًا).

(٣) تدريب الراوي (١/ ٥ ـ ٦).

(٤) القواعد (١/ ٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي (رقم ٢٠٤٥)، وابن حبان (الإحسان ١٦/ ٢٠٢ رقم ٧٢١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢١٦ رقم ٢٨٠١) وصححه الألباني.

(٦) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٧٥).

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان قوله تعالى ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ=

قلت: وإنما الملام على من جادل بلا علم، أو قال قولًا لم يسبقه إليه عالم وليس له فيه إمام، بل من تلقاء نفسه، أو عاند الحق وجادل بالباطل من بعد ما تبين له الهدى، فيرد الحق تكبرًا وعنادًا، أو نفورًا من نسبة الخطأ والغلط إليه، وهذا العناد ربما أفضى بصاحبه إلى الكفر والإلحاد، كما قال(١) في «**النونية**»:

فالكُفْرُ لَيسَ سِوَى العِنَادِ وَرَدِّ مَا ... جَاءَ الرَّسُولِ بِهِ لِقَوْلِ فُلانِ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ هَكَذَا دُونَ الَّذِي ... قَدْ قَالَهَا فَتَفُوزَ بِالخُسْرَانِ(٢)

❊ ❊ ❊

فصل

ثم إن بعض الناس ممن أخلد إلى الأرض واتبع هواه، وكان مدة عمره قد أَلِفَ الشرَّ والجدال والمِرَاءَ، وشبَّ على حب التزوير والبهتان والافتراء، لما علم ببعض تلك الكلمات التي نبّه عليها العلامة، صاح وناح، وقام وقعد، وشنّع وبالغ، وعَدَّ ذلك من الذنوب التي لا تُغفَر، والعَثَرات التي لا تُقَال، وذلك لأنني نبهت الناس على دسائسه، وحذرتهم عواقب ما يلقيه في قلوبهم من مكره ووساوسه، وأنكرت عليه معارضته الكتاب والسنة ومخالفة إجماع

= ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ (رقم ١٢٦) ولفظه: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا**» فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا﴾ «**قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ «**قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ**» ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا﴾ «**قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ**».

(١) أي: ابن القيم.
(٢) الكافية الشافية (١/ ٣٦١).

الأمة، ولو كان لهذا الجاهل المغرور أقلُّ عقلٍ وتمييزٍ، وشيءٌ من العلم والفهم والإدراك، لعلم أن هذه المسائل من المشكلات التي لم يَهْتَدِ للصواب فيها إلا من تمسك بالكتاب والسنة، والتزم ما عليه الجهابذة من صالح سلف الأمة، ونبَذ أقوال المبتدعين المتكلمين وراء الظهر، وما أحسن ما قيل(١):

لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ   وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

وإذا كانت هذه المسائل بهذه المنزلة من الإشكال، فلا يُشنَّع على السَّلَفِيِّ الذي قَصْدُهُ الحقُّ إذا قالها إلا بعد إقامة الحجة عليه؛ لأنها من المسائل التي تخفى على أكثر الناس.

إذا علم هذا فالذي أقوله وأشهد الله تعالى عليه أنني سَلَفِيُّ الاعتقاد، ومؤمن بعقيدة السلف الصالح، داعٍ إليها ومناضلٌ عنها، جازمٌ قطعًا بأنها الحق، وأن كل مَن خالَفها هوَ الباطل، وأنا بريء منه، ولكنني كسائر بني آدم، أخطئ تارة، وأصيب أخرى، وليس من شرط المؤلف ألا يخطئَ ولا يَغلَطَ، وإلا لما أُلِّفَ على وجه الأرض كتاب.

فمن وقف على شيء من كلامي، وتبين أنه مخالف لما عليه أهل السنة، فالواجب عليه إبطاله بالدليل، وأن يذكر حجته على ما يدعيه من البطلان، فإذا عَلِمتُ صحة دعواه رَجَعتُ إلى قوله وضَرَبتُ الحائط بقولي، فيكونُ له من الله الثواب والأجر، ومنِّي الثناء والدعاء والشكر وفرحي واغتباطي بالفائدة يُنسيان مَعَرَّةَ الخطأ والغلط.

وما أجَلَّ وأحسَنَ ما قاله العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن، رحمه الله تعالى، في «فتح المجيد»(٢) في بيان الداعية والمدعوِّ

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي.

(٢) فتح المجيد (١/ ٨١).

والمرشد والمسترشد، وهو قوله: وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٧]: ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعوِّ؛ فإنه إما أن يكون طالبًا للحق، محبًّا له، مؤثِرًا له على غيره إذا عرفه، فهذا يُدعَى بالحكمة ولا يَحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلًا بضد الحق، لكن لو عرَفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يُجادَل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن(١).

وهذا هو الحق والصواب، رزقنا الله العمل به.

وهو رد على من أنكر بلا دليل، وأكثَرَ القالَ والقِيلَ، ولفَّق ما شاء من الكذب والأباطيل، ولم يقبل لمن جادله حجة ولا برهانًا، بل غَلَا في ضلاله، ولو بان غَيُّهُ للناظرين عيانًا. ولا يخفى على ذوي الألباب أن من اتصف بهذه الصفات فهو إما جاهلٌ مرتاب، أو فاسقٌ مغتاب، أو حاسدٌ كذاب.

وهذا القسم الأخير ليس لي حيلة فيه؛ لأن الحق لا يُقنعه ولا يُرضيه، أبعده الله! ويَصْدُق فيه ما وصفه به العلامة في «**النونية**» لما قسم أعداءه، فقال في حال العدو الثاني(٢):

أو حاسِد قد باتَ يَغلِي صدرُهُ ... بعداوتي كالمِرْجَل المَلآنَ
لو قلتُ هذا البحرُ قال مكذِّبًا ... هذا السرابُ يكون بالقِيعانِ
أو قلتُ هذِي الشمسُ قال مباهِتًا ... الشمسُ لم تطلُع إلى ذَا الآنِ

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٦).

(٢) الكافية الشافية (٢/ ٦١٣).

وإما أن يكون رجلًا ضالًّا، أنكر عليه أهل الحق ما لفَّقه من ضلالاته ونمَّقه من أكاذيبه وجهالاته، فرَمى أهلَ السنة بدائه تدليسًا وتلبيسًا على الجهال، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فرمَوهُم بَغيًا بما الرامي به أَوْلَى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريءَ بما جنَاه مباهِتًا ولِذاك عند الغِرِّ يَشتبهانِ[(١)]



(١) الكافية الشافية (١/ ١٦٣).

الخاتمة

قد تبين مما سبق أن المسائل التي نبه عليها العلامة الشيخ سليمان بن سحمان، جزاه الله خيرًا، ليست كلها من كلامي، ولستُ مبتدعًا لها، وإنما تابعتُ عليها جماعة من العلماء المنتسبين إلى مذهب أهل السنة والجماعة، لا سيما وأكثرها قد دوَّنه جماعة من الحنابلة في عقائدهم، فيزعمون أن ذلك اعتقاد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام أهل السنة على الإطلاق بالاتفاق.

وقد ظهر ظهورًا لا خفاء معه مما حققه العلامة الشيخ سليمان، ونقله من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة المحقق ابن القيم وغيرهما من الأئمة رحمهما الله تعالى أن عقيدة أبي عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الثابتة عنه غير ما قالوه، بل هي بخلاف ما حرروه وقرروه.

فإذا عُلم هذا وتقرَّر، فإني أُشهد الله وملائكته والناس أجمعين أنني راجع عن كل قول قلتُه أو كلام كتبتُه من تلك المسائل المذكورة وغيرها، مما يخالف ما حققه وقرره العلامة الشيخ سليمان بن سحمان في «تنبيه ذوي الألباب السليمة» أو يخالف ما حققه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده وأحفاده، ومن سلك سبيلهم؛ لأنهم الثقات المقتَدَى بهم.

قال علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتخذت أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامًا فيما بيني وبين الله(١).

وقال الإمام الشافعي للإمام أحمد رحمهما الله تعالى: إذا صح عندك الحديث فأخبرني حتى أذهب إليه.

أو كما قال.

فمن نسَبها أو بعضَها إليَّ، بعد علمه رجوعي عنها، فإنما هو مُفترٍ كذابٌ، قصدُهُ التشنيع، والله حسيبه!

والمأمول ممن وقف على كلامي هذا من الإخوان أن يُشْهِرَهُ وينشره، ويصرِّحَ بأنني لم أزل على طريقة شيخ الإسلام وعَلَم الأئمة الأعلام الشيخِ محمدِ بن عبدالوهاب، قدس الله سره وجعل جنة الفردوس مقره.

ولست، ولله الحمد، فيها دخيلًا، بل هي طريقة أسلافي، وما زلت داعيًا إليها وذابًّا عن حِمَاها.

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

فالحمد لله، لا أحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه جميع خلقه.

وصلَّى الله وسلَّم على محمد وآله وصحبه وحزبه.



تمت بقلم مؤلفها الفقير إلى عفو ربه: محمد بن عبدالعزيز بن مانع، غفر الله ذنوبه، وستر في الدارَين عيوبه، بمَنِّه وكرمه، وكان

---

(١) تاريخ دمشق (٥/ ٢٧٩)، مناقب الإمام أحمد (١/ ١٤٦).

ذلك بعد العصر في يوم الأحد الموافق سبعة عشر من محرم الحرام سنة **١٣٤١**هـ.

ونقله من خطه: عبدالله بن حمد الدوسري، ونقله من خط عبدالله أسير ذنوبه: محمد بن علي بن محمد. جرى النقل في **٢٢** جمادى سنة **١٣٤١**هـ.



فهرس المحتويات



بطلان قول الملحدين
أن الاستدلال بكلام اللَّه ورسوله
لا يفيد العلم واليقين

فضيلة الشيخ العلامة
محمد بن عبدالعزيز بن مانع
(ت١٣٨٥هـ) رحمه الله تعالى

مقدمة المحقِّق

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده، **وبعد:**

فهذه رسالة بعنوان: «**بطلان قول الملحدين أنَّ الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد العلم واليقين**» وهي في الرد على من لا يحتج بنصوص الوحيَين، وألحق بها مجموعة قصائد، هي مختارات من «**نونية**» الإمام ابن القيم، ومختارات من «**الصواعق المرسلة**».

وقد كان الاعتماد على طبعة قديمة طبعت في حياة المؤلف، وقد علق عليها الشيخ محمد بن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد أبقيت على هذه التعليقات.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول الفقير إلى رحمة ربه محمد بن عبدالعزيز بن مانع:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه القرآن العظيم، والذكر الحكيم، وأمره بتبيينه للناس، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]،

قام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بما أمره به ربه، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة.

فتلقَّى عنه الصحابة كتاب ربهم، فآمنوا به، وتدبروا آياته، وعملوا بما دلت عليه، وفهموا معانيها بمجرد سماعها؛ لأنها نزلت بلغتهم، وكانت فطرهم سليمة، يدركون فهم المعاني بمجرد سماع الألفاظ الدالة عليها، فتم أمر الدين، واستقام الإسلام بتبليغ النبي عليه الصلاة والسلام لهم ذلك.

وسار التابعون على منهاج الصحابة بالعلم، والفهم، والعمل، والدعوة إلى دين الله، وتمسك مَن جاء بعد التابعين، ممن أراد الله هدايته، وكتب له في الأزل السعادة، بما كانوا عليه من الإيمان والهُدى الموروث عن سيد المرسلين.

ثم إنه نجَم بعد ذلك طوائف وأحزاب فسدت فطرهم، وغلُظت طبائعهم، وتبلدت أذهانهم، وزاغت عقائدهم، فتشربت قلوبهم ضلالات الفلاسفة الذين لم يكونوا على دين مرضيٍّ صحيح، فأبغَضوا الإسلام باطناً، وانتسبوا إليه ظاهراً، فأخذوا يكيدون لأهل الإسلام بأنواع المكائد المفسدة للدين، التي بسببها ضعف الإسلام، وتشتت أهله، فأتوا إلى ما به سعادتهم وفلاحهم، وهو كتاب ربهم، ووصفوه زوراً وبهتاناً بما يُقَلِّل اعتقاد المسلمين به، وقالوا: إنه ظني الدلالة، كشأن الأدلة اللفظية الواردة بالسنة ـ بزعمهم ـ ويا لَهَا من كلمة! ما أكفرها!

فتلقى هذه القاعدة الخاطئة الكاذبة أناس قد تشبهوا بأهل العلم بالدعوى لا بالحقيقة، وأذاعوها بين الناس، ولبَّسوا على الناس بقولهم: القرآن قطعيُّ النزول ظنيُّ الدلالة! إذ لو قالوا كلمة الكفر من أول مرة لقام المسلمون بوجوههم ورمَوهم بالحجارة، ولكنهم قالوا: قطعي النزول. ليلبسوا الحق بالباطل.

فيقال لهؤلاء المارقين: إن الله قد ذم الظن المجرد وأهله، فقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وعلى قول هؤلاء الكافرين يكون قول الله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] خبراً غير مطابق؛ فإن علمهم بالآخرة إنما استفادوه من الأدلة اللفظية الواردة بالكتاب والسنَّة، لا سيما وجمهور المتكلمين يصرحون بأن المعاد إنما عُلم بالنقل، فإذا كان النقل لا يفيد يقيناً لم يكن في الأمة من يوقن بالآخرة؛ إذ الأدلة العقلية لا مدخل لها فيها! وكفى بهذا بطلاناً وفساداً!

وقد تصدى علماء المسلمين، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، للرد عليهم وبيان باطلهم، فألَّف شيخ الإسلام كتاب «العقل والنقل»[(١)] في هذه المسألة المهمة التي زاغت بسببها عقائد أُناس ينتسبون إلى الإسلام، وكذلك ابن القيم رد عليهم بما أبان الحق وأزهق الباطل في كتابَيه «الصواعق» و«النونية»[(٢)] وغيرهما.

وإليك فصلاً مستقلًّا من «النونية»[(٣)] متضمناً الرد على أهل هذه النِّحلة[(٤)] الفاسدة والعقيدة الزائفة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَاحْذَرْ مقالات الَّذين تفرقُوا ... شيعًا وَكَانُوا شيعَة الشَّيْطَانِ
واسأل خَبِيراً عَنْهُمُ ينبيك عَن ... أسرارهم بنصيحة وَبَيَانِ
قَالُوا الْهدى لَا يُسْتَفَاد بِسُنة ... كَلَّا وَلَا أثر وَلَا قُرْآنِ
إِذْ كل ذَاك أَدِلَّةٌ لفظية ... لم تُبْدَ عَن علم وَلَا إيقانِ
فِيهَا اشْتِرَاكٌ ثمَّ إِجْمَالٌ يرى ... وَتجوز بالتزيد وَالنُّقْصَانِ

---

(١) هو «درء تعارض العقل والنقل» مطبوع.

(٢) هما «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» و«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

(٣) الكافية الشافية (١/١٥٦ ـ ١٦٢).

(٤) أي: الديانة.

وَكَذَلِكَ الْإِضْمَارُ والتخصيصُ والـ حذفُ الَّذِي لم يُبْدَ عَن تبيانِ
وَالنَّقْلُ آحَادٌ فموقوفٌ على صدق الرواة وَلَيْسَ ذَا برهَانِ
إِذْ بَعضهم فِي الْبَعْض يقْدَح دَائِماً والقدحُ فيهم فَهْوَ ذُو إِمْكَانِ
وتواترٌ وَهْوَ الْقَلِيلُ ونادرٌ جدًّا فَأَيْنَ الْقطعُ بالبرهانِ
هَذَا وَيَحْتَاج السَّلامَة بعدُ مِن ذَاك الْمُعَارض صَاحب السُّلْطَانِ
وَهْو الَّذِي بِالْعقلِ يعرفُ صدقُهُ وَالنَّفْيُ مظنونٌ لَدَى الإنسانِ
فلأجل هَذَا قد عزلناها ووَلْـ ـلَيْنَا الْعُقُولَ ومنطقَ اليونانِ
فَانْظُر إلى الْإِسْلَام كَيفَ بَقَاؤُهُ من بعد هَذَا القَوْلِ ذِي الْبطلَانِ
وَانْظُر إِلَى الْقُرْآن معزولاً لَدَيْـ ـهِمْ عَن نُفُوذِ ولآيَةِ الإيقانِ
وَانْظُر إِلَى قَولِ الرَّسُولِ كَذَاك مَعْـ ـزُولًا لديهم لَيْسَ ذَا سُلْطَانِ
وَاللَّهِ مَا عزلوهُ تَعْظِيماً لَهُ أَيَظُنُّ ذَلكَ قطّ ذُو عرفانِ؟!
يَا ليتَهُم إِذْ يحكُمُون بِعزلِهِ لم يَرفَعوا رايات جِنْكِسْخانِ
يَا ويلهم[(١)] ولَّوا نتائجَ فكرهم وقضَوا بهَا قطعاً على الْقُرْآنِ
ورُذالَهُم وَلَّوا إشارات ابْن سيـ ـنَا حِين ولَّوا منطقَ اليونانِ
وَانْظُر إِلَى نَصِّ الْكتاب مُجدَّلا وسطَ العرينِ ممزَّق اللُّحمانِ
بالطعن بالإجمالِ والإضمارِ والتْـ ـتخصيصِ والتأويل بالبهتانِ
وبالاشتراكِ وبالمجازِ وَحذف مَا شاؤوا بدعواهم بِلَا برهَان
وَانْظُر إِلَيْهِ لَيْسَ ينفُذُ حكمُهُ بَين الْخُصُوم وَمَا لَهُ من شانِ
وَانْظُر إِلَيْهِ لَيْسَ يُقبَلُ قَوْلُهُ فِي الْعلم بالأوصاف للرحمنِ
لكنما المقبولُ حُكمُ الْعقل لا أحكامُهُ لَا يَسْتَوِي الحكمانِ
يبكي عَلَيْهِ أهلُهُ وَجُنُودُهُ بدمائهم ومدامع الأجفانِ
عهدوه قِدماً لَيْسَ يحكُمُ غَيره وسواه مَعْزُولٌ عَن السُّلْطَانِ
إِن غَابَ نابت عَنهُ أَقْوَالُ الرسو ل هما لهم دون الورَى حكمانِ

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: «يا ويحهم».

فَأَتَاهُمُ ما لم يكن فِي ظنهم ... فِي حكم جنكسخان ذِي الطُّغيانِ
بِجُنُود تَعْطِيل وكفران من الـ ... مَغُول ثمَّ الآصِ والعلانِ
فعلوا بِمِلَّتِهِ وسُنَّتِهِ كَما ... فعلوا بأمته من العدوانِ
وَاللَّه مَا انقادوا لجنكسخان حَتـ ... ـتَى أَعرضُوا عَن مُحكم الْقُرْآنِ
وَاللَّه مَا وَلَّوه إِلَّا بعد عز ... ل الوحي عَن علم وَعَن إيقانِ
عزلوه عَن سُلْطَانه وَهُوَ الْيَقِيـ ... ـنُ الْمُسْتَفَاد لنا من السُّلْطَانِ
هَذَا وَلم يكف الَّذِي فَعَلُوهُ حَتـ ... ـتَى تمموا الكفران بالبهتانِ
جعلُوا الْقُرَانَ عِضِين[(١)] إِذْ عَضَـ ... ـهوهُ أنواعاً معددة من النُّقْصَانِ
مِنْهَا انْتِفَاء خُرُوجه من رَبِّنَا[(٢)] ... لم يبد من رب وَلا رَحْمَنِ
لكنه خلق من اللَّوْح ابتدا ... أو جِبْرَئِيل أَو الرَّسُول الثَّاني
مَا قَالَه رب السَّمَاوَات العُلا ... لَيْسَ الْكَلَام بِوَصْف ذِي الغفرانِ
تَبًّا لَهُم سلبوه أكمل وَصفه ... عضهوه[(٣)] عضه الريب والكفرانِ

---

(١) ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ إلخ، العضين جمع عضة، وأصلها عضوة، فعلة، من عضه الشَّاة إذا جعلهَا أعضاء وأجزاء. ومراد النَّاظِم أن هَؤُلَاءِ الْمُلْحِدِينَ جعلُوا الْقُرْآن أَجزَاء ونقصوه أعظم النُّقْصَان، مِنْهَا أنهم قَالُوا: لم يبْدَأ من الله سُبْحَانَهُ، وَإِنَّمَا بَدَأَ من غَيره، إِمَّا أَنه خلق من اللَّوْح الْمَحْفُوظ، أَوْ أنشأه جِبْرِيل، أَو الرَّسُول الثَّانِي، وَهُوَ مُحَمَّد ﷺ. والقائلون بالْكَلَام النَّفْسِيّ جعلُوا بعضه كَلَام الله، وَهُوَ الْمَعْنى، وَبَعضه كَلَام غَيره، وَهُوَ الألفاظ، فسلبوه بذلك أكمل وَصفه، إِذْ قَالُوا: لم يتَكَلَّم الله بِهِ. وعضهوه أيضاً، أي: نقصوه بأن قَالُوا: إِن نصوصه لَا تفِيد الْيَقِين. وأي تنقص أعظم من هَذَا!

(٢) قَالَ النَّبِي ﷺ: «**مَا تقرب الْعباد إِلَى الله بِمثل مَا خرج مِنْهُ**». يَعْنِي: الْقُرْآن.

(٣) قال الراغب في قوله تعالى: ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾، أي: مفرّقاً، فقالوا: كهانة. وقالوا: أساطير الأوّلين. إلى غير ذلك ممّا وصفوه به (المفردات ٥٧١/١)، وكذلك أهل الباطل عضهوه عضه الريب والكفران، فنسبوه إلى غير قائله؛ فمنهم من نسبه إلى جبريل، ومنهم من نسبه إلى محمد، ومنهم من قال: إنه مخلوق في اللوح المحفوظ، إلى غير ذلك من أقوالهم الباطلة، وأهل الحق يقولون: إنه كلام الله منزل غير مخلوق، ومنه بدأ وإليه يعود، وحروفه ومعانيه عين كلام الله، وليست حروفه مخلوقة لتدل عليه، فإن هذا قول خبيث باطل، ويرحم الله القائل حيث قال: =

هَل يَسْتَوِي بِاللَّه نسبته إلى ... بشر ونسبته إلى الرَّحْمٰنِ
من أيْنَ للمخلوق عزُّ صِفَاته ... اللَّه أكبر لَيْسَ يستويانِ
بَين الصِّفَات وَبَين مَخْلُوقٍ كَما ... بَين الْإِلٰه وَهَذِهِ الأكوانِ
هَذَا وَقد عضهوه أَن نصوصه ... معزولةٌ عَن إمرة الإيقانِ
لَكِن غايتها الظنون ولَيْتَه ... ظنًّا يكون مطابقاً بِبَيَانِ
لَكِن ظواهر لَا يُطَابقُ ظَنَّهَا ... مَا فِي الْحَقِيقَة عندنَا بوزانِ
إلاَّ إذا مَا أُوِّلت فمجازها ... بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَو النُّقْصَانِ
أَو بِالْكِنَايَةِ واستعاراتٍ وتشـ ... ـبيهٍ وأنواع الْمجَاز الثَّاني
فالقطع لَيْسَ يفِيدهُ وَالظَّن مَنْـ ... ـفِيٌّ كَذَلِك فَانْتفى الْأَمْرَانِ
فَلم الْمَلَامَةُ إذ عزلناها وَوَالَـ ... ـيْنَا الْمَعْقُولَ وفكرة الأذهانِ
فَاللَّه يعظم فِي النُّصُوص أجوركم ... يَا أمة الْآثَار وَالْقُرْآنِ
مَاتَت لَدَى الأقوام لَا يُحيونها ... أبداً وَلَا تحييهم لهوانِ
هَذَا وَقَوْلُهُم خلاف الحِسِّ[1] والـ ... ـمعقول وَالْمَنْقُول والبرهانِ
مَعْ كَوْنه أَيْضاً خلاف الْفِطْرَة الـ ... أولى وَسُنَّة رَبنَا الرَّحْمٰنِ

= هو قول ربي آيه وحروفه ... ومدادنا والرق مخلوقانِ

وقوله: (ومدادنا والرق مخلوقان) فيه رد على المفترين على الحنابلة من أهل البدع، كصاحب «شرح النسفية» الزاعمين أن الحنابلة يقولون بقدم المداد والورق، وهذا كذب صريح على الحنابلة وسائر أهل السنَّة والجماعة.

(١) يريد الناظم رحمه الله تعالى أن يبين أن قول الملاحدة القائلين بأن الاستدلال بكلام الله وكلام رسوله لا يفيد اليقين، قول مخالف للحس وَالْعقل وَالنَّقْل والفطرة وَذَلِكَ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فطر الْعباد على التفاهم بِالْخِطَابِ فَكل يدل على الَّذِي فِي نَفسه بِكَلَامِهِ من جَمِيع الْأَلْسِنَة، وهكذا دلالة القرآن والسنَّة على معانيهما من جنس دلالة لغة كل قوم على ما يعرفونه ويعانونه من تلك اللغة، وذلك لا يختص بالعرب، بل هو أمر ضروري لجميع بني آدم، وإنما يتوقف العلم بمدلول ألفاظهم على كونهم من أهل تلك اللغة التي وقع بها التخاطب، ولهذا لم يرسل الله رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم، فتقوم عليهم الحجة بما فهموه من خطاب ربهم لهم، فدلالة اللفظ هي العلم بقصد المتكلم.

فَاللَّهُ قد فطر الْعباد على التفا ... هم بِالْخِطَابِ لمقصد التِّبْيَانِ
كلٌّ يدلُّ على الَّذِي فِي نَفسه ... بِكَلَامِهِ من أهل كل لِسَانِ
فترى الْمُخَاطَبَ(١) قَاطعًا بمراده ... هَذَا مَعَ التَّقْصِير فِي الإنسانِ
إذ كلُّ لفظٍ غيرُ لفظِ نَبِيِّنَا ... هُو دونه في ذا بلا نكرانِ
حاشا كَلَام اللَّه فَهْوَ الْغَايَةُ الـ ... قصوى لَهُ أَعلَى ذُرَا التِّبْيَانِ
لم يفهم الثَّقَلَان من لفظٍ كَما ... فَهموا من الْأَخْبَار وَالْقُرْآنِ
فَهُو الَّذِي استولى على التِّبْيَان كَاسْـ ... ـتيلائه حَقًّا على الْإِحْسَانِ
مَا بعد تبيان الرَّسُولِ لناظرٍ(٢) ... إِلَّا الْعَمى وَالْعَيْبُ فِي العميانِ
فَانْظُر إلى قَول الرَّسُولِ(٣) لِسائلٍ ... من صَحبه عَن رُؤْيَة الرَّحْمٰنِ
حَقًّا ترَوْنَ إِلٰهكم يَوْم اللقا ... رُؤْيا العيان كَمَا يُرَى القمرانِ

---

(١) أي: ترى المُخَاطب، بِفَتْح الطَّاء، قَاطعًا بِمُرَاد المُخَاطب، بِكَسْر الطَّاء، وَذَلِك مَعَ التَّقْصِير فِي الإِنْسَان؛ إِذْ كل لفظ غير لفظ الرَّسُول ﷺ هُوَ دونه بِغَيْر شكّ، حاشا كَلَام الله تَعَالَى، فَهُوَ الْغَايَة القصوى فِي التِّبْيَان.

(٢) قال الراغب: النَّظَرُ: تَقْلِيبُ البصر والبصيرةِ لإدرَاكِ الشيءِ ورؤيَتِهِ... واستعمال النَّظَرِ في البَصرَ أكثرُ عند العامَّةِ، وفي البصيرةِ أكثرُ عند الخاصَّةِ (المفردات ٨١٢/١)، فقوله الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إلا العمى) إلخ، مراده به عمى البصيرة؛ لأنه العمى الضار الذي بسببه زاغت الأفهام، وزلت أقدام أهل البدع، وانحرفت عن الصراط المستقيم.

(٣) أراد الناظم رحمه الله تعالى أن يبين أن بَيَان الرَّسُول ﷺ فَوق كل بَيَان، فإنه لما سأله سائل عن رؤية الله يوم القيامة قال: «**فَهَل تُضَارُّونَ فِي رؤية الشَّمْس بالظهيرة صحوا لَيسَ دونهَا سَحَاب؟ وَهل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَة الْقَمَر لَيلَة الْبَدْر صحوا لَيسَ فِيهَا سَحَاب؟**» قَالُوا: لاَ يَا رَسُول الله. قَالَ: «**مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَة الله تبَارك وَتَعَالَى يَوْم الْقِيَامَة إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الله تَبَارك وَتَعَالَى يَوْم الْقِيَامَة إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَة أَحدهما**» الحَدِيث، فَهَل بعد هَذَا الْبَيَان والإيضاح شَيْء! وهل يعقل أن يقال: هذا اللفظ ليس بقطعي الدلالة على معناه! وقد بيَّنه النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أتم بيان! ولكن الأمر كما قيل:

فيا لك من آيات حق لو اهتدى ... بهن مريد الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب غشاوة ... فليست وإن أصغت تجيب المناديا

كالبدر ليل تَمَامِه وَالشَّمْسِ في ... نحرِ الظهيرةِ مَا هما مثلانِ[(١)]
بل قَصدُهُ تَحْقِيقُ رؤيتنا لَهُ ... فَأتى بأظهر مَا يُرَى بعيانِ
وَنفى السَّحَابَ وَذَاكَ أَمرٌ مَانعٌ ... من رُؤْيَة القمرين فَي ذَا الْآنِ
فَإِذا أَتَى بالمقتضي[(٢)] وَنفَى الموا ... نعَ خشيَة التَّقْصِير فِي التِّبْيَانِ
صلى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَذَا الَّذِي ... يَأْتِي بِهِ مِن بعدِ ذَا التِّبْيَانِ
مَاذَا يَقُول القاصد التِّبْيَان يَا ... أهل الْعَمى من بعد ذَا التِّبْيَانِ
فَبِأَي لفظ جَاءَكُم قُلْتُمْ لَهُ ... ذَا اللَّفْظ مَعْزُولٌ عَن الإيقانِ

---

(١) المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ لأن الله ليس له مثيل ولا شبيه.

(٢) هُوَ بِكَسْر الضَّاد، اسْم فَاعل، وَهُوَ أن لَيْسَ دون الرُّؤْيَة سَحَاب، وَالشَّمْس فِي نحر الظهيرة، فَإِذا تمّ الْمُقْتَضِي حصل الْمُقْتَضى، وَلَكِن لَا حِيلَة فِي أهل التحريف والتعطيل الذين أذلهم الله وخذلهم، من الكُلَّابية وسائر المتكلمين السالكين مسلك أهل الاعتزال، الذين صاروا من أعظم المصائب على الإسلام والمسلمين، ولقد كانت لأهل الاعتزال دولة وصولة في أوائل الدولة العباسية، فنصروا التجهم، وأعزوا أهل البدع، وأهانوا أهل السنة، وقتلوا من قتلوا منهم لما لم يوافقوهم على ضلالهم، وسرعان ما أذهب الله دولة أهل البدع والضلال ونصر أهل السنة، في أيام الخليفة المتوكل على الله، عليه رحمة الله، ولكن ذلك بعدما تمكن الضعف في المسلمين، وتغلبت عليهم الأعاجم واستولت على أمور الدولة، حتى فعلوا بالخليفة ما فعلوا، واستمر الضعف والانحطاط بشؤم أهل التجهم والاعتزال، ولم يكن للمسلمين قوة وصولة في عصر من الأعصار إلا إذا اعتصم المسلمون بكتاب الله وسنَّة رسوله، يعلم ذلك من له إلمام بتاريخ الإسلام القديم والحديث، ولما ذهبت دولة المعتزلة بذهاب الحكام القائمين بها، وجاءت دولة الإمام المتوكل على الله التي نصرت السنة وقمعت البدعة، وصارت التولية والعزل في المناصب الدينية منوطة برأي الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ قال أحد الشعراء في ذلك:

ذهبت دولة أَصْحَاب الْبدع ... ووهى حبلهم ثمَّ انْقطع
وتداعى بانصداع شملهم ... حزب إبْلِيس الَّذِي كَانَ جمع
هَل لكم بِاللَّه فِي بدعتكم ... من فَقِيه أَو إِمَام يتبع

ومنها:

أَو فَتى الْإِسْلَام أَعنِي أحمدا ... ذَاك لَو قارعه الفيل قرع
لم يخف سوطهم إِذْ خوفوا ... لَا وَلَا سيفهم لما لمع

وضربتمُ فِي وَجهه بعساكر التْـ تَـأْوِيـل دفـعًـا مِـنْـكُـمُ بـلـيـانِ
لَـو أَنـكُـمْ وَاللَّـه عـاملـتـم بـذا[(١)] أهـل الْـعُـلُـوم وكـتـبـهـم بـوزانِ
فَسدتْ تصانيف الْوُجُود بأسرها وغـدت عُـلُـوم النَّـاس ذَات هـوانِ
هَـذَا وَلَـيْـسوا فِـي بَـيَـان علومهم مـثـلَ الـرَّسُـول ومُـنـزِلِ الْـقُـرْآنِ
وَاللَّـه لَـو صَـحَّ الَّـذِي قـد قُـلْـتُـمُ قُـطِـعَـت سَـبِـيلُ الْـعـلـم والإيـمـانِ
فالعقل لَا يـهـدي إِلَـى تـفـصـيـلـهـا لَـكِـنَّ مَـا جَـاءَت بِـهِ الـوحـيـانِ
فَـإِذا غَـدا الـتَّـفْـصِـيـلُ لـفـظـيًّـا ومعـ زولًا عَـن الإيـقـان والـرجـحـانِ
فـهـنـاك لَا عـلـمـاً أفـادت لَا وَلَا ظـنًّـا وَهَـذَا غَـايَـة الـحـرمـانِ
لَـو صَـحَّ ذَاك الـقَـوْل لـم يـحـصـل لنا قـطـعٌ بـقـول قـطّ مـن إِنْـسَـانِ
وَغـدا الـتـخـاطـب فَـاسِـداً وفـسـادُه أصـلُ الْـفـسـاد لـنَـوْع ذَا الإنـسـانِ
مَـا كَـانَ يـحـصـلُ عـلـمـنَـا بِـشَـهَـادَة وَوَصِـيَّـة كَـلَّا وَلَا إِيـمَـانِ
وَكَـذَلِـكَ الإقـرارُ يـصـبـح فَـاسِـداً إِذْ كَـانَ مُـحْـتـمـلًا لـسـبـع مـعَـانِ
وَكَـذَا عُـقُـود الْـعَـالـمـين بـأسـرهـا بِـالـلَّـفْـظِ إِذْ يـتـخـاطـب الـرِّجـلَانِ
أيـسـوغ لـلـشـهـدا شَـهَـادَتـهـم بـهَـا مـن غـيـر عـلـم مِـنْـهُـمُ بِـبَـيَـانِ
إِذْ تـلـكـمُ الْأَلْـفَـاظ غـيـرُ مـفـيـدةٍ لـلْـعـلـم بـل لـلـظـن ذِي الـرجـحـانِ
بـل لَا يـسـوغُ لـشـاهـدٍ أبـداً شـهـا دتـه عـلـى مَـدْلُـول نـطـق لِـسَـانِ

(١) تأمل ما جاء بهذه الأبيات الجليلة من الإلزامات الدالة على بطلان قول الملحدين؛ فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ ألزمهم بقوله: لَو أَنكُمْ عاملتم أهل الْكتاب وكتبهم بِمَا عاملتم بِهِ الوحيين لفسدت تصانيف النَّاس، وَأَيْضاً لَو صَحَّ هَذَا الَّذِي قلتموه لانقطعت سَبِيل الْعلم وَالْإِيمَان؛ لِأَن الْعقل لَا يهدي إِلَى تفصيلها، وَلَا سَبيل إلى تفصيلها إلا بِمَا جَاءَ عَن الله وَرَسُوله، فَإِذا صَار التَّفْصِيل لفظيًّا، وَهُوَ مَعْزُول عَن الْيَقِين، فَحِينَئِذٍ لَا تفيد علماً وَلَا ظنًّا. وَأَيْضاً لَو صَحَّ مَا قلتموه فسد التخاطب، وَلم يَصح لنا قطع بقول من إِنْسَان، فَلَا يَصح لنا علم بِشَهَادَة وَلَا وَصِيَّة وَلَا يَمِين وَلَا إِقْرَار، بل لَا يراق دم بِلَفْظ كفر، وَلَا يُبَاح فرج بِالْإِذْنِ الَّذِي هُوَ شَرط صِحَّته من النِّسَاء، وَلَا يسوغ للشهداء جزمهم بِأَنَّهَا رضيت؛ إِذْ ذَاك قَابل الْمَعَانِي الْمَذْكُورَة، بل تفْسد بذلك الْعُقُول والأديان، ونعوذ بِاللَّهِ من الْعَمى والخذلان!

بل لَا يراقُ دمٌ بِلَفْظ الْكفْر من ... مُتَكَلِّم بِالظَّنِّ والحسبانِ

بل لَا يُبَاحُ الْفرج بالإذن الَّذِي ... هُو شَرطُ صِحَّته من النسوانِ

أيسوغُ للشهداء جزمهمُ بِأَن ... رضيت بِلَفْظٍ قَابل لمعانِ

هَذَا وَجُمْلَة مَا يُقَال بِأَنَّهُ ... فِي ذَا فَسَاد الْعقل والأديانِ

هَذَا وَمن بهتانهم[١] أَن اللغا ... ت أَتَت بِنَقْل الْفَرد والوحدانِ

فَانْظُر إلى الْأَلْفَاظ فِي جريانها ... فِي هَذِه الْأَخْبَار وَالْقُرْآنِ

أتظنها تحْتَاج نقلاً مُسْنداً ... متواتراً أو نقل ذِي وحدانِ

أم قد جرت مجْرى الضروريات لا ... تحْتَاج نقلاً وَهْي ذَات بَيَانِ

إِلاَّ الأقل فَإِنَّهُ يحْتَاجُ للنـ ... ـنَقل الصَّحِيح وَذَاكَ ذُو تبيانِ

وَمن المصائب[٢] قَول قَائِلهمْ بِأَنْـ ... ـنَ اللَّه أظهر لَفظه بِلِسَانِ

(١) يعني: أن النفاة قالوا: إن اللُّغَات أَتَت بِنَقْل الآحادِ وَهَذَا تَدْلِيس وتلبيس لأن الألفاظ من الأخبار وَالْقُرْآن يفهم مِنْهَا مُرَاد الْمُتَكَلّم بِمُجَرَّد سماعهَا من غير حَاجَة إِلَى النَّقْل اللَّهُمَّ إِلاَّ الأقل كَمَا قَالَ النَّاظِم فَإِنَّهُ يحْتَاج للنَّقْل الصَّحِيح. وقال في «الصواعق»: قوله ـ أي: القائل إن العلم بمدلول الأدلة اللفظية موقوف على نقل اللغة ـ كلام ظاهر البطلان.

(٢) أي: وَمن المصائب الَّتِي تلبس بهَا المعطلة أنهم قَالُوا بِأَن لَفْظَة الله فِيهَا خلاف هَل هُوَ عَرَبِيٌّ أم سريانيٌّ، وَكَذَا فِيهِ اخْتِلَاف؛ هَل هُوَ مُشْتَقّ أو هُوَ جامد؟ وَأَصله مَاذَا؟ وَمَعَ هَذَا فَلفظ الله أظهر لَفْظَة نطق اللِّسَان بهَا. قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَانْظُر أَيهَا النَّاظر فِي هَذَا الْكتاب مَا فِي هَذَا الْكَلَام من التلبيس والبهتان، وَذَلِكَ أنه لَا خلاف بَين الْعُقَلَاء أن الله اسْم لرب الْعَالمين، خَالق السَّمَاوَات وَالْأَرْض، الَّذِي يحيي وَيُمِيت، وَهُوَ رب كل شَيْء ومليكه، فهم لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أن هَذَا الِاسْم يُرَاد بِهِ هَذَا الْمُسَمّى، وَهُوَ أشهر عِنْدهم وَأعرف من كل اسْم وضع لكل مُسَمّى، وَإِن كَانَ النَّاس متنازعين فِي اشتقاقه فَلَيسَ ذَلِك بنزاع فِي مَعْنَاهُ، وَلَا يَتَطَرّق إلى ذَلِك إجْمَال وَلَا مجَاز، وَمن غير نظر إِلَى أنه عَرَبِيّ أم سرياني؟ وَهل هُوَ مُشْتَقّ أو جامد؟ فَإِن هَذَا خلاف فِي أَحْوَال اللَّفظ لَا فِي وَضعه. ثمَّ ضرب النَّاظِم لذَلِك مثلاً فَقَالَ: وَإِذا هم اخْتلفُوا بِلَفْظَة مَكَّة وَفِيه لَهُم قَوْلَانِ فَلَيْسَ بَينهم خلاف بِأَن مُرَادهم حرم الله وقبلة الْمُسلمين. وَنَظِير هَذَا إِذَا اخْتلفُوا بِلَفْظَة أَحْمَد وَلَهُم فِي ذَلِك قولَانِ فَلَيْسَ بَينهم خلف بِأَن مُرَادهم مِنْهُ رَسُول الله ﷺ. ونظائر هَذَا لَا تحصى، أفبمثل هَذَا الهذيان تعزل نُصُوص الْكتاب وَالسّنة عَن إِفَادَة الْيَقِين. ثمَّ حمد الله على المعافاة مِمَّا ابْتَلَاهُم=

وخلافهم فِيهِ كثيرٌ ظَاهرٌ عَرَبِيّ وضع ذَاك أم سرياني
وَكَذَا اخْتلَافهمُ أمشتقًّا يرى أم جَامِداً قَولَانِ مشهورانِ
وَالْأَصْل مَاذَا فِيهِ خُلْفٌ ثَابت عِنْد النُّحَاة وَذَاكَ ذُو ألوانِ
هَذَا وَلَفظُ اللَّه أظهرُ لَفْظَة نطق اللِّسَان بهَا مدى الْأَزْمَانِ
فَانْظُر بِحَقِّ اللَّه مَاذَا فِي الَّذِي قَالُوهُ من لَبس وَمن بهتانِ
هَل خَالَف الْعُقَلَاءُ أَن اللَّه رَبْـ ـبُ الْعَالمين مُدبر الأكوانِ
مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هو موهِمٌ نقل الْمَجاز وَلَا لَهُ وضعانِ
وَالْخُلفُ فِي أَحْوَال ذَاك اللَّفْظ لا فِي وَضعه لم يخْتَلف رجلَانِ
وَإِذا هُمُ اخْتلفُوا بِلَفْظَة مَكَّة فِيهِ لَهُم قَولَانِ معروفانِ
أفبينهم خُلفٌ بأن مُرَادهم حرمُ الإلٰه وقِبلَةُ الْبلدَانِ
وَإِذا هُم اخْتلفُوا بِلَفْظَةِ أَحْمَدٍ فِيهِ لَهُم قَولَانِ مذكورانِ
أفبينهم خُلفٌ بِأَن مُرَادهم مِنْهُ رَسُول اللَّه ذُو الْبُرْهَانِ
وَنَظِير هَذَا لَيسَ يُحصَرُ كَثْرَةً يَا قومُ فاستحيوا من الرَّحْمٰنِ
أبمثل ذَا الهذيان قد عُزِلَت نصو صُ الْوَحْي عَن علم وَعَن إيقانِ
فَالْحَمْد للَّه الْمُعَافِي عَبدَه مِمَّا بلاكم يَا ذَوي الْعرْفَانِ
فلأجل ذَا نبذوا الْكتابَ وَرَاءَهُمْ ومضَوا على آثَار كلِّ مُهانِ
وَلأَجل ذَاك غدَوا على السُّنَن الَّتِي جَاءَت وأهليها ذَوي أضغانِ
يرمونهم كذباً بِكُل عَظِيمَة حاشاهمُ من إفْك ذِي بهتانِ

* * *

وقد رأينا إتماماً للفائدة إتباع هذا الفصل الجليل بأبيات مفيدة لابن القيم أيضاً في الموضوع مذكورة في «الصواعق»(١).

= بِهِ من المحنة وَخلاف نُصُوص الْكتاب وَالسّنة. وقد زاد على هذا أمثلة في «الصواعق» والتلبيس بمثل هذا قد ألفناه كثيراً من كتب أهل البدع والضلال، نسأل الله السلامة في الدين والدنيا بمنه وكرمه.

(١) الصواعق المرسلة (٣/٩٧٨ ـ ٩٨١).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فَعَلَى عُقُولِكُمُ الْعَفَاءُ(١) فَإِنَّكُمْ   عَادَيْتُمُ الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولا
وَطَلَبْتُمُ أَمْراً مُحَالاً وَهْوَ إِدْ   رَاكُ الْهُدَى لَا تَتْبَعُونَ رَسُولا
وَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْعُقُولَ كَفِيلَةٌ   بِالْحَقِّ، أَيْنَ الْعَقْلُ كَانَ كَفِيلا
وَهْوَ الَّذِي يَقْضِي فَيَنْقُضُ حُكْمَهُ   عَقْلٌ، تَرَوْنَ كِلَيْهِمَا مَعْقُولا
وَتَرَاهُ يَجْزِمُ بِالْقَضَاءِ وَبَعْدَ ذَا   يُلْفَى لَدَيْهِ بَاطِلاً مَعْلُولا
لَا يَسْتَقِلُّ الْعَقْلُ دُونَ هِدَايَةٍ   بِالْوَحْيِ تَأْصِيلاً وَلَا تَفْصِيلا
كَالطَّرْفِ دُونَ النُّورِ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ   حَتَّى يَرَاهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا
فَإِذَا الظَّلَامُ تَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُهُ   وَطَمِعْتَ بِالْإِبْصَارِ كُنْتَ مُحِيلا
وَإِذَا النُّبُوَّةُ لَمْ يَنَلْكَ ضِيَاؤُهَا   فَالْعَقْلُ لَا يَهْدِيكَ قَطُّ سَبِيلا
نُورُ النُّبُوَّةِ مِثْلُ نُورِ الشَّمْسِ لِلْـ   عَيْنِ الْبَصِيرَةِ فَاتَّخِذْهُ دَلِيلا
طُرُقُ الْهُدَى مَسْدُودَةٌ إِلَّا عَلَى   مَنْ أَمَّ هَذَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلا
فَإِذَا عَدَلْتَ عَنِ الطَّرِيقِ تَعَمُّداً   فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا أَرَدْتَ وُصُولا
يَا طَالِباً دَرْكَ الْهُدَى بِالْعَقْلِ دُو   نَ النَّقْلِ لَنْ تَلْقَى لِذَاكَ دَلِيلا
كَمْ رَامَ قَبْلَكَ ذَاكَ مِنْ مُتَلَدِّدٍ   حَيْرَانَ عَاشَ مَدَى الزَّمَانِ جَهُولا
مَا زَالَتِ الشُّبُهَاتُ تَغْزُو قَلْبَهُ   حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلا
فَتَرَاهُ بِالْكُلِّيِّ وَالْجُزْئِيِّ وَالذْ   ذَاتِيِّ طُولَ زَمَانِهِ مَشْغُولا
فَإِذَا أَتَاهُ الْوَحْيُ لَمْ يَأْبَهْ لَهُ   وَيَقُومُ بَيْنَ يَدَي عِدَاهُ مَثِيلا
وَيَقُولُ تِلْكَ أَدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ   مَعْزُولَةٌ عَنْ أَنْ تَكُونَ دَلِيلا
وَإِذَا تَمُرُّ عَلَيْهِ قَالَ لَهَا اذْهَبِي   نَحْوَ الْمُجَسِّمِ أَوْ خُذِي التَّأْوِيلا
وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا النُّزُولَ عَلَيْهِ كَا   نَ لَهَا الْقِرَى التَّحْرِيفَ وَالتَّبْدِيلا
فَيَحِلُّ بِالْأَعْدَاءِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ   كَيْدٍ يَكُونُ لِحَقِّهَا تَعْطِيلا

(١) العفاء (كسماء): التراب. قال بعض الأقدمين: إذا دخلت بيتي، فأكلت رغيفاً وشربت عليه ماءً، فعلى الدنيا العفاء.

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِعُمْيَانٍ خَلَوْا ... فِي ظُلْمَةٍ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلا
فَتَصَادَمُوا بِأَكُفِّهِمْ وَعِصِيِّهِمْ ... ضَرْباً يُدِيرُ رَحَى الْقِتَالِ طَوِيلا
حَتَّى إِذَا مَلُّوا الْقِتَالَ رَأَيْتَهُمْ ... مَشْجُوجًا او مَبْعُوجًا او مَقْتُولا
وَتَسَامَعَ الْعُمْيَانُ حَتَّى أَقْبَلُوا ... لِلصُّلْحِ فَازْدَادَ الصِّيَاحُ عَوِيلا

* * *

وهذه أبيات مختارة من «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»(١) نختم بها هذه الرسالة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حَدِّق بقلبك فِي النُّصوص كَمثل مَا ... قد حدَّقوا فِي الرَّأْي طول زمَانِ
واكحُلْ جفونَ الْقلب بالوَحيَيْنِ ... وَاحْذَرْ كحلهم يَا كَثْرَة العميانِ
فَاللَّهُ بَيَّن فيهمَا طُرُقَ الْهدى ... لِعِبَادِهِ فِي أحسن التِّبْيَانِ
لم يُحوِج اللَّهُ الْخَلَائقَ مَعْهُما ... لخيال فلتان ورأي فُلانِ
فالوحيُ كَافٍ للَّذي يُعْنَى بِهِ ... شافٍ لداء جَهَالَة الإنسانِ
وتفاوت الْعلمَاء فِي أفهامهم ... للوحي فَوق تفَاوت الْأَبدَانِ
وَالْجهل دَاءٌ قَاتل وشفاؤه ... أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيب متفقانِ
نَصٌّ من الْقُرْآن أَو من سنةٍ ... وطبيبُ ذَاكَ الْعَالم الرباني
وَالْعلمُ أَقسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَها ... من رَابع وَالحقُّ ذُو تبيانِ
علمٌ بأوصاف الإِلٰهِ وَفِعلِهِ ... وَكَذَلِكَ الأسماء للرحمنِ
وَالْأَمرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دينُهُ ... وجزاؤه يَوْم الْمَعاد الثَّاني
وَالْكلُّ فِي الْقُرْآن وَالسُّنَن الَّتِي ... جَاءَت عَن الْمَبْعُوث بالفرقانِ
وَاللَّهِ مَا قَالَ امْرُؤ متحذلقٌ ... بسواهما إلا من الهَذَيَانِ

تم تحريراً بمكة المكرمة في ربيع الآخر سنة ١٣٧٢هـ

(١) الكافية الشافية (١/٢٦٥ ـ ٢٦٦).

فهرس المحتويات

تحديق النظر

في أخبار الإمام المَهْدِيّ المنتظر

فضيلة الشيخ

محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مقدمة المحقِّق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي

محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد.

اعلم أن المشهور بَيْنَ أهل الإسلام كافة على مرِّ الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيِّد الدين، ويُظهِر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمَّى بـ«**المَهْدِيّ**» ويكون خروج الدجال وما بعده من أشرطة الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزل من بعده، فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمَهْدِيّ في صلاته.

وقد روى أحاديث المَهْدِيّ جماعة من الأئمة؛ منهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة؛ مثل علي، وابن عباس، وابن عمر، وطلحة، وعبدالله بن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وأم حبيبة، وأم سلمة، وثوبان، وقرة بن إياس، وعلي الهلالي، وعبدالله بن الحارث بن جَزْءٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[(١)].

وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف، وقد بالغ الإمام المؤرخ عبدالرحمن ابن خلدون المغربي في «**تاريخه**» في

(١) من كلام ابن خلدون في كتابه (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ١/ ٣٨٨).

تضعيف أحاديث المَهْدِيّ كلِّها[١] فلم يُصِبْ، بل أخطأ.

هذا وقد قدمت بين يدي هذا الكتاب المسمَّى «تحديق النظر في أخبار الإمام المَهْدِيّ المنتظر» للعلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدراسة تكلمت فيها عن «**المَهْدِيّ**» ثم عرَّفت بالكتاب.

والآن أشرع في المقصود، ومن الله عَزَّ وَجَلَّ أستمد العون والتوفيق.



(١) لفظه: إنّ جماعة من الأئمّة خرّجوا أحاديث المَهْدِيّ... بأسانيد ربّما تعرّض لها المنكرون، كما نذكره، إلّا أنّ المعروف عند أهل الحديث أنّ الجرح مقدّم على التّعديل، فإذا وجدنا طعنًا في بعض رجال الأسانيد بغفلة، أو بسوء حفظ، أو ضعف، أو سوء رأي، تطرّق ذلك إلى صحّة الحديث وأوهن منها. ولا تقولنّ: مثل ذلك ربّما يتطرّق إلى رجال الصّحيحين. فإنّ الإجماع قد اتّصل في الأمّة على تلقّيهما بالقبول والعمل بما فيهما، وفي الإجماع أعظم حماية وأحسن دفعًا، وليس غير الصّحيحين بمثابتهما في ذلك، فقد تجد مجالًا للكلام في أسانيدها بما نقل عن أئمّة الحديث في ذلك (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ١/ ٣٨٨).

القسم الأول

الدراسة

وتشتمل على بابين:

الباب الأول: الكلام عن المَهْدِي

الباب الثاني: التعريف بالكتاب

الباب الأول
الكلام عن المَهْدِيّ

ويتضمن أحد عشر مطلبًا:

المطلب الأول: معنى «المَهْدِيّ».

المطلب الثاني: اسمه واسم أبيه ونسبه.

المطلب الثالث: صفة «المَهْدِيّ».

المطلب الرابع: مكان خروج «المَهْدِيّ» وزمانه ومدة مكثه في الأرض.

المطلب الخامس: ذكر العلماء الذين حكَوا تواتر أحاديث «المَهْدِيّ» ونقل كلامهم في ذلك.

المطلب السادس: ذكر بعض ما ورد في «الصحيحين» من الأحاديث مما له تعلق بـ«المَهْدِيّ».

المطلب السابع: ذكر بعض الأحاديث في «المَهْدِيّ» الواردة في غير «الصحيحين».

المطلب الثامن: منكرو خروج «المَهْدِيّ».

المطلب التاسع: هل أحاديث «المَهْدِيّ» كلها ضعيفة؟

المطلب العاشر: أقسام الناس في «المَهْدِيّ».

المطلب الحادي عشر: مؤلفات علماء نجد في «المَهْدِيّ».

المطلب الأول
معنى «المَهْدِيّ»

المَهْدِيُّ لغةً: اسم مفعول من «هداه هُدًى وهَدْيًا وهِداية» والهُدَى: هو الرشاد والدلالة. يقال: هداه الله للدين هُدًى، وهديته الطريقَ وإلى الطريق هداية: أي عرَّفته(١).

وقال ابن الأثير: المَهْدِيُّ: الذي هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة(٢).

والمراد بـ«المَهْدِيّ» هنا: هو الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان، ويؤيد الدين، ويُظهِر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويكون من أهل بيته ﷺ ويخرج في زمنه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والدجال.

وقد وردت في شأن «المَهْدِيّ» أحاديث كثيرة؛ ما بين صحاح وحسان، وضعافٍ تنجبر، وضعافٍ شديدة الضعف(٣).

* * *

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٥٤)، ولسان العرب (١٥/ ٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٥٤).

(٣) صرح بنحوه ابن القيم؛ إذ قال: هذه الأحاديث أربعة أقسام: صحاح، وحسان، وغرائب، وموضوعات (المنار المنيف ١٤٨).

المطلب الثاني
اسمه، واسم أبيه، ونسبه

* **اسم المَهْدِيّ «محمد» واسم أبيه «عبدالله».**

فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ يَوْمٌ وَاحِدٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلاً مِنِّي**» أو «**مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**».

وفي رواية أخرى: «**لاَ تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**».

وفي رواية أخرى: «**يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**».

وقال أبو هريرة: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِيَ**».

* **وأما نسبه** فالروايات الكثيرة تبين لنا أنه من ولد فاطمة البتول ابنة النبيّ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أولادها الطاهرين.

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي**(١) **مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**».

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا، أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ**»(٢).

* * *

---

(١) قال الخطابي: العترة: ولد الرجل لصلبه. ويكون العترة للأقرباء وبني العمومة، ومنه قول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم السقيفة: نحن عترة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (معالم السنن ٤/ ٤٧٤).

(٢) معنى «يصلحه الله في ليلة»: يتوب عليه ويوفقه ويلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك (النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ١/ ٥٥).

المطلب الثالث
صفة «المَهْدِيّ»

من صفات المَهْدِيّ الواردة في السنة ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ**(١)**، أَقْنَى الْأَنْفِ**(٢)**، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**».

ومن الأمور الدالة عليه أنه يخرج في زمان ساد فيه الجَور والظلم، فيقيم هو بأمر الله العدل والحق، ويمنع الظلم والجَور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة، حيث يسقيه الله الغيث، فتمطر السماء كثيرًا، لا تدخر شيئًا من قطرها، وتؤتي الأرض أُكُلها، لا تدخر عن الناس شيئًا من نباتها، وتكثر المواشي بسبب الخيرات، ويَفيض المال، فيقسمه بين الناس بالسوية.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ، وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا**» **يَعْنِي حِجَجًا**(٣).

* * *

(١) الأجلى الجبهة: الخفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٩٠).

(٢) القنا في الأنف: طوله ورِقَّة أرنبته، مع حدب في وسطه (النهاية في غريب الحديث ٤/ ١١٦).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

المطلب الرابع
مكان خروج «المَهْدِيّ» وزمانه ومدة مكثه في الأرض

ليست هناك روايات صحيحة تدل على مكان خروجه، أو الزمن الذي يخرج فيه، ولكن استأنس أهل العلم في بيان ذلك من مفهوم بعض الروايات وإن لم تكن قطعية.

فعن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لاَ يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلاً لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ**» ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَو حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ؛ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ**»(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان فيخرج المَهْدِيّ، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب «سامَرَّا» كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه محبوس فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان لا من كتاب ولا سنة، ولا معقول صحيح، ولا بيان... إلى أن قال: ويؤيده بناس من أهل المشرق، ينصرونه

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: خروج المَهْدِيّ (رقم ٤٠٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥١٠ رقم ٨٤٣٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير: وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ صَحِيحٌ (البداية والنهاية ١٩/ ٦٢) وقال الألباني: إسناده حسن بما قبله، وهذه الزيادة (خليفة الله) ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهدًا لها، فهي منكرة كما يفيده كلام الذهبي السابق، ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال (فلان خليفة الله) لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ١٩٧ رقم ٨٥).

ويقيمون سلطانه ويشدون أركانه، وتكون راياتهم سودًا... إلى أن قال: والمقصود أن المَهْدِيّ الموعود به يكون في آخر الزمان، يكون أصل خروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك نص الأحاديث(١).

* * *

المطلب الخامس
ذكر بعض الذين حكَوا تواتر أحاديث المهديّ ونقل كلامهم في ذلك

١ ـ الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبُرِيُّ السِّجْزِيُّ صاحب كتاب «مناقب الشافعيِّ»:

قال في «محمد بن خالد الجندي» راوي حديث «**لا مهدي إلاَّ عيسى ابن مريم**»: محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل، وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وآله بذكر المَهْدِيِّ، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤُمُّ هذه الأمة، ويصلِّي عيسى خلفه.

نقل ذلك عنه ابن القيم في كتابه «المنار» وسكت عليه(٢).

ونقله عنه أيضًا الحافظ ابن حجر في «**تهذيب التهذيب**» في ترجمة «محمد بن خالد الجنديِّ» وسكت عليه(٣).

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٦٣ ـ ٦٤).
(٢) المنار المنيف (١/ ١٤٢).
(٣) تهذيب التهذيب (٩/ ١٤٤).

ونقل عنه ذلك وسكت عليه أيضًا في «**فتح الباري**» في باب (نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ونقل عنه ذلك أيضًا السيوطي في آخر جزء «**العرف الورديّ في أخبار المَهْدِيّ**» وسكت عليه.

ونقل ذلك عنه مرعيُّ بن يوسف في كتابه «**فوائد الفكر في ظهور المَهْدِيّ المنتظر**».

كما ذكر ذلك صديق حسن في كتابه «**الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة**».

٢ ـ محمد البرزنجي[1]:

في كتابه «**الإشاعة لأشراط الساعة**» قال: الباب الثالث في الأشراط العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة، وهي أيضًا كثيرة، فمنها المَهْدِيُّ، وهو أولها، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر[2]... إلى أن قال: ثم الذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة أنه من ولد فاطمة[3]... إلى أن قال: قد علمت أن أحاديث وجود المَهْدِيّ وخروجه آخر الزمان، وأنه من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة، بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها[4].

وقال في ختام كتابه المذكور، بعد الإشارة إلى بعض أمور تجري في آخر الزمان: وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الكثيرة

---

(١) هو: محمد بن عبد الرسول بن قلندر بن عبد السيد الحسيني البرزنجي الشهرزوري المدني الشافعي. توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف (الأعلام ٣/ ٨٦).

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة (١٣٩).

(٣) الإشاعة لأشراط الساعة (١٤١).

(٤) الإشاعة لأشراط الساعة (١٧٣).

الشهيرة التي بلغت التواتر المعنوي، وجود الآيات العظام التي فيها، بل أولها، خروج المَهْدِيّ، وأنه يأتي في آخر الزمان، من ولد فاطمة، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت ظلمًا(١).

٣ ـ الشيخ محمد السَّفَّاريني(٢):

في كتابه «**لوامع الأنوار البهية**» قال: وقد كثرت بخروجه (يعني المَهْدِيّ) الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي.

وأورد الأحاديث في خروج المَهْدِيّ، وأسماء بعض الصحابة الذين روَوها، ثم قال: وقد رُوي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المَهْدِيّ واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة(٣).

٤ ـ القاضي محمد بن علي الشوكاني:

وهو صاحب التفسير المشهور، ومؤلف «نيل الأوطار». قال في كتابه «**التوضيح في تواتر ما جاء في المَهْدِيّ المنتظر والدجال والمسيح**»: «فالأحاديث الواردة في المَهْدِيّ التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبِر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف المتواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمَهْدِيّ فهي كثيرة جدًّا، لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك»(٤).

---

(١) الإشاعة لأشراط الساعة (٢٨٤).

(٢) هو: شمس الدِّين أَبُو العون مُحَمَّد بن أَحْمَد بن سَالم بن سُلَيْمَان السفاريني. الْفَقِيه الحنبلي. توفي سنة ثَمَان وَثَمَانِينَ وَمِائَة وألف (هدية العارفين ٢/ ٣٤٠).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).

(٤) الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة (١٥٠ ـ ١٥١).

وقال في مسألة نزول المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «فتقرر أن الأحاديث الواردة في المَهْدِيّ المنتظر متواترة، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متواترة»(١).

٥ ـ الشيخ صديق حسن القنوجي:

قال: «والأحاديث الواردة في المَهْدِيّ على اختلاف رواياتها كثيرة جدًّا، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد»(٢) إلى أن قال: «لاشك أن المَهْدِيّ يخرج في آخر الزمان، من غير تعيين شهر ولا عام، لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة خلفًا عن سلف، إلّا من لا يعتد بخلافه»(٣) إلى أن قال: «فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر»(٤).

٦ ـ الشيخ محمد بن جعفر الكتاني(٥):

قال في كتابه «**نظم المتناثر في الحديث المتواتر**»: «وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثابت بالكتاب والسنة والإجماع»(٦) ثم قال: «والحاصل أن الأحاديث الواردة في المَهْدِيّ المنتظر

(١) الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة (١٩٨).
(٢) الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة (١٤٩).
(٣) الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة (١٨٢).
(٤) الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة (١٨٣).
(٥) هو: محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني الحسني الإدريسي الفاسي. توفي سنة ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين.
(٦) نظم المتناثر (١/ ٢٢٩).

متواترة، وكذا الواردة في الدجال، وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ»[(١)].

٧ ـ ويقول **سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ **ما ملخصه**: أمر المَهْدِيّ معلوم، والأحاديث فيه مستفاضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وتواترها تواتر معنوي؛ لكثرة طرقها واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبدالله العلوي الحسني، من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهذا الإمام من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلًا وهداية وتوفيقًا وإرشادًا للناس. وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها، كما قال الشوكاني وغيره، وكما قال ابن القيم وغيره، فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة، ويكفينا من ذلك ما استقام سنده، سواء كان صحيحًا لذاته أو لغيره، وسواء كان حسنًا لذاته أو لغيره، وهكذا الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشد بعضها بعضًا فإنها حجة عند أهل العلم... والحق أن جمهور أهل العلم، بل هو كالاتفاق، على ثبوت أمر المَهْدِيّ، وأنه سيخرج في آخر الزمان، أما من شذَّ عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك[(٢)].

* * *

(١) نظم المتناثر (١/ ٢٢٩).

(٢) نقلًا عن كتاب «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المَهْدِيّ» لفضيلة الشيخ عبدالمحسن العباد حفظه الله (١٥٧ ـ ١٥٩).

المطلب السادس
ذكر بعض ما ورد في «الصحيحين» من الأحاديث مما له تعلق بالمَهْدِيّ

روى البخاري في «صحيحه» في باب نزول عيسى ابن مريم: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»[(١)].

وروى مسلم في كتاب «الإيمان» من «صحيحه» عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مثل حديثه عند البخاري[(٢)].

ورواه أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ!**»[(٣)].

وفيه تفسير ابن أبي ذئب راوي الحديث لقوله: «**فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ**» بقوله: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٤)].

وروى مسلم في «صحيحه» عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم (رقم ٣٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم ١٥٥).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم ١٥٥/٢٤٦).

(٤) ولفظه: قال الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم: فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي ذِئْبٍ: إِنَّ الْأَوْزَاعِيَّ، حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، «**وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**» قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: تَدْرِي مَا «**أَمَّكُمْ مِنْكُمْ**»؟ قُلْتُ: تُخْبِرُنِي. قَالَ: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْقِيَامَةِ» قَالَ: «**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﷺ **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لاَ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**»[(١)].

فهذه الأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنَّه عند نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجلًا منهم.

والثاني: أنَّ حضور أميرهم للصلاة، وصلاته بالمسلمين، وطلبه من عيسى عليه الصلاة والسلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم، يدلُّ على صلاح في هذا الأمير وهدًى.

وهي، وإن لم يكن فيها التصريح بلفظ المَهْدِيّ، إلَّا أنَّها تدل على صفات رجل صالح يؤمُّ المسلمين في ذلك الوقت.

وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسِّرة لهذه الأحاديث التي في «الصحيحين» ودالة على أنَّ ذلك الرجل الصالح يُسمى «**محمد بن عبدالله**» ويقال له «**المَهْدِيُّ**» والسُّنَّة يفسر بعضها بعضًا.

***

المطلب السابع
ذكر بعض الأحاديث في «المَهْدِيّ» الواردة في غير «الصحيحين»

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلاَفٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلاَزِلَ، فَيَمْلأُ الأَرْضَ**

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ (رقم ١٥٦).

قِسْطًا وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ غِنًى، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ. . .»[1] إلى آخر الحديث[2].

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير[3].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ. . .»**[4] إلى آخر الحديث[5].

قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات[6].

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ رقم ١١٣٢٦) وضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) وتمامه: «حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ؟ فَمَا يَقُومُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ فَيَقُولُ: أنا. فيقول: ائْتِ السَّدَّانَ» يَعْنِي الْخَازِنَ «فَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا، فَيَقُولُ لَهُ: احْثِ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا، أَوَعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ؟ قَالَ: فَيَرُدُّهُ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ».

(٣) لفظ الهيثمي: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ بِاخْتِصَارٍ كَثِيرٍ. رَوَاهُ أَحْمَدُ بِأَسَانِيدَ وَأَبُو يَعْلَى بِاخْتِصَارٍ كَثِيرٍ، وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ (مجمع الزوائد ٧/ ٣١٤).

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٣١١ رقم ٥٤٠٦).

(٥) وتمامه: «إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ، وَإِلَّا فَثَمَانٍ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، تَنْعَمُ أُمَّتِي فِيهِ نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا، يُرْسِلُ اللَّهُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَلَا تَدَّخِرُ الْأَرْضُ بِشَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ، وَالْمَالُ كُدُوسٌ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ، أَعْطِنِي. فَيَقُولُ: خُذْهُ».

(٦) مجمع الزوائد (٧/ ٣١٧).

المطلب الثامن
منكرو خروج «المهدي»

قال الدكتور عبدالعليم عبدالعظيم البستوي في باب (المنكرون لفكرة المَهْدِيّة أو المترددون فيها):

وجاء بعد هؤلاء كلهم ابن خلدون المؤرخ الشهير، فقد حاول إنكار هذه الأحاديث على منهج النقد لدى المحدثين، وإن كان قد أخطأ في تطبيق قواعدهم، إلا أنه لم يجزم بالإنكار، ولكنه متردد فيه، ويدل عليه كلامه بعد مناقشة الأحاديث، فقال:

فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المَهْدِيّ وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا قليل أو الأقل منه[(١)].

وقال أيضًا: فإن صح ظهور هذا المَهْدِيّ فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم (أي من الفاطميين القاطنين في الحجاز وغيرها) ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه، حتى تتم له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته وحمل الناس عليها[(٢)].

❊ ❊ ❊

المطلب التاسع
هل أحاديث المَهْدِيّ كلها ضعيفة؟

ولقد حاول ابن خلدون تضعيف أحاديث المَهْدِيّ كلها، واستند في رأيه هذا إلى كلام العلماء أن الجرح مقدم على التعديل، ثم ذكر

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٤٠١).
(٢) تاريخ ابن خلدون (١/ ٤٠٨).

بعض ما ورد في الطعن في بعض رواة أحاديث المَهْدِيّ.

والحقيقة أن المحدثين حينما يقولون إن الجرح مقدم على التعديل لا يريدون منه الإطلاق؛ بل لا بد أن يكون الجرح مفسَّرًا حتى يتمكن الباحث من النظر فيه، وهل هو جرح حقيقة أم لا، فقد يضعفه الجارح بسبب يراه قادحًا بينما هو ليس بقادح عند غيره(١).

فابن خلدون كما قال أحمد شاكر: لم يحسن قول المحدثين «**الجرح مقدم على التعديل**» ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئًا مما قال(٢).

ولذلك رد على ابن خلدون كثير من العلماء:

ومن بينهم **العلامة صديق حسن خان** في «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»(٣).

والشيخ المحدث شمس الدين الحق العظيم آبادي في «عون المعبود»(٤).

والشيخ العلامة عبدالرحمن المباركفوري في «تحفة الأحوذي»(٥).

---

(١) المَهْدِيّ المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة (٣٦٦).

(٢) «المسند» تحقيق العلامة أحمد شاكر (٣/ ٤٩٢).

(٣) قال: فهذه زلة صدرت من ابن خُلدون رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وليست من التحقيق في صدر ولا ورد، فلا تغتر به (الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ١٨٣).

(٤) قال: وَقَدْ بَالَغَ الْإِمَامُ الْمُؤَرِّخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَلْدُونَ الْمَغْرِبِيُّ فِي تَارِيخِهِ فِي تَضْعِيفِ أَحَادِيثِ الْمَهْدِيِّ كُلِّهَا، فَلَمْ يُصِبْ، بَلْ أَخْطَأَ (عون المعبود ١١/ ٢٤٣).

(٥) ينظر الهامش السابق.

في باب «المَهْدِيّ» من كتابيهما.

والشيخ المحدث أحمد شاكر في تعليقاته على «مسند الإمام أحمد»[(١)].

والشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في تخريجه لأحاديث «فضائل الشام ودمشق»[(٢)].

والشيخ أحمد بن محمد الصديق في كتابه «إبراز الوهم المكنون».

وابن خلدون لم يحصر الأحاديث الواردة في المَهْدِيّ، وإنما ذكر جزءًا قليلًا منها، ومع محاولته لتضعيفها لم يجد بدًّا من الاعتراف بصحة بعضها، فقال:

فهذه الأحاديث التي خرجها الأئمة، في شأن المَهْدِيّ وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه[(٣)].

أفلا يكفي هذا القليل الصحيح للاستدلال اهـ.

❊ ❊ ❊

---

(١) «المسند» تحقيق الأستاذ أحمد شاكر (٣/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣).

(٢) قال: وقد أخطأ ابن خلدون خطأً واضحًا، حيث ضعَّفَ أحاديث المَهْدِيّ جُلّها، ولا غرابة في ذلك؛ فإن الحديث ليس من صناعته، والحق أن الأحاديث الواردة في المَهْدِيّ فيها الصحيح والحسن، وفيها الضعيف والموضوع، وتمييز ذلك ليس سهلًا إلا على المتضلّع في علم السنة ومصطلح الحديث، فلا تعبأ بكلام من يتكلم فيما لا علم له به (تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ١/ ٤٥).

(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ٤٠١).

المطلب العاشر
أقسام الناس في المَهْدِيّ

انقسم الناس في أمر المَهْدِيّ إلى طرفين ووسط:

أما المذهب الوسط فهو معتقد أهل السنة والجماعة **الذين يثبتون** خروج المَهْدِيّ على ما دلت عليه النصوص الثابتة، التي ذكر فيها اسمه واسم أبيه ونسبه وصفاته، وأنه خليفة راشد ومصلح، يظهر في آخر الزمان، يؤيده الله ويصلح به العباد والبلاد.

يقول الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما تكلم عن أقسام الناس في المَهْدِيّ عن معتقد أهل السنة والجماعة:

القول الثالث: أنه رجل من أهل بيت النبي ﷺ من ولد الحسن بن عليٍّ، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا، فيملؤها قسطًا وعدلًا، وأكثر الأحاديث على هذا تدل[1].

وأما الطرف الأول فهم الذين ينكرون خروج المَهْدِيّ قديمًا وحديثًا، من الذين ليس لهم خبرة بالنصوص وأقوال أهل العلم، تمشيًا مع مذهبهم الباطل في نفي الأمور الغيبية التي لا تدركها عقولهم ولا توافق أهواءهم، ويقولون: إن المَهْدِيّ أسطورة وخرافة دخلت على أهل السنة من جهة الشيعة، ويقولون أيضًا إن الأحاديث الواردة فيه بعضها باطل والبعض الآخر متناقض.

وقد ردَّ العلماء على هؤلاء، وبينوا فساد قولهم ومخالفته لما ثبت في النصوص الصحيحة.

ومن أجود الردود في هذا الباب ما كتبه فضيلة الشيخ

(١) المنار المنيف (١٥١).

حمود بن عبدالله التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «**الاحتجاج بالأثر على من أنكر المَهْدِيّ المنتظر**» وما كتبه فضيلة الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد، حفظه الله، في رسالته «**الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المَهْدِيّ**».

يقول الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد، حفظه الله:

أما الجواب عن السؤال الثاني: فهو أني لم أقف على تسمية أحد في الماضين أنكر أحاديث المَهْدِيّ أو تردد فيها سوى رجلين اثنين:

أما أحدهما فهو «**أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الْوَلِيدِ الْبَغْدَادِيُّ**» الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «**منهاج السنة**» وقد مضى حكاية كلام شيخ الإسلام عنه، وأنه قد اعتمد على حديث: «**لاَ مَهْدِيَّ إِلاَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**» وقال ابن تيمية: وليس مما يعتمد عليه لضعفه[(١)]. انتهى.

وسبق في أثناء كلام الذين نقلت عنهم أنه لو صح هذا الحديث فالجمع بينه وبين أحاديث المَهْدِيّ ممكن. ولم أقف على ترجمة لأبي محمد المذكور.

وأما الثاني فهو «**عبدالرحمن بن خلدون**» المغربي المؤرخ المشهور، وهو الذي اشتهَر بين الناس عنه تضعيفه أحاديث المَهْدِيّ، وقد رجعت إلى كلامه في مقدمة تاريخه، فظهر لي منه التردد، لا الجزم بالإنكار. وعلى كل حال فإنكارها أو التردد في التصديق بما دلت عليه شذوذ عن الحق، ونكوب عن الجادة المطروقة.

وقد تعقبه الشيخ صديق حسن في كتابه «الإذاعة»[(٢)] حيث قال:

---

(١) منهاج السنة النبوية (٨/٢٥٦).

(٢) الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة (١٤٩، ١٨٢).

«لا شك أن المَهْدِيّ يخرج في آخر الزمان، من غير تعيين لشهر وعام، لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة خلفًا عن سلف، إلا من لا يعتد بخلافه».

وقال: «لا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود والمنتظر، المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر»(١) انتهى.

ولعل المنكرين في عصرنا الحاضر للمَهْدِيِّ متأثرون بهذين الرجلين.

وأما الطرف الثالث فهم من يغالي في أمر المَهْدِيّ من الطوائف الضالة، حتى ادّعت كل طائفة منهم أن زعيمهم هو المَهْدِيّ المنتظر.

وقد أشار الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **إلى هؤلاء بقوله:**

«**وأما الرافضة الإمامية فلهم قول رابع**، وهو أن المَهْدِيّ هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن عليٍّ، لا من ولد الحسن، الحاضر في الأمصار، الغائب عن الأبصار، الذي يورث العصا، ويختم الفضا، دخل سرداب سامراء طفلًا صغيرًا من أكثر من خمسمائة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر ولا أثر! وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يا مولانا! اخرج يا مولانا! ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه، ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلمتموه بجهلكم ما آنا!
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

(١) عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر (٢١٠ ـ ٢١١).

ولقد أصبح هؤلاء عارًا على بني آدم، وضحكة يسخر منها كل عاقل[١].

* * *

المطلب الحادي عشر
مؤلفات علماء نجد عن المَهْدِيّ

اعتنى علماء هذه الأمة بجمع الأحاديث الواردة عن نبيهم ﷺ تأليفًا وشرحًا، وكان للأحاديث المتعلقة بأمر المَهْدِيّ قسطها الكبير من هذه العناية، فمنهم من أدرجها ضمن المؤلفات العامة، كما في السنن والمسانيد وغيرها، ومنهم من أفردها بالتأليف[٢]، لكني هنا اقتصرت على ما ألفه علماء نجد في هذا الموضوع، منها:

«**تحديق النظر في أخبار المَهْدِيّ المنتظر**» للشيخ محمد بن مانع، وهو كتابنا هذا.

«**الاحتجاج بالأثر على من أنكر المَهْدِيّ المنتظر**» للشيخ حمود بن عبدالله التويجري.

«**لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد ﷺ خير البشر**» للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود. أنكر فيه خروج المَهْدِيّ.

---

(١) المنار المنيف (١٥٢ ـ ١٥٣).

(٢) لمعرفة الكتب التي أفردت في «المهدي» انظر: «معجم الموضوعات المطروقة» للأستاذ عبدالله الحبشي (٢/١٢١٢ ـ ١٢١٤)، «دليل المكتبة العقدية» للشيخ محمد بن عبدالعزيز الشايع (٥٢٤ ـ ٥٢٧)، «المهدي المنتظر» للدكتور عداب الحمش، تحقيق كتاب «العرف الوردي في أخبار المهدي» لأبي يعلى البيضاوي (١٨٨ ـ ١٩٥).

«مختصر الأخبار المشاعة في الفتن وأشراط الساعة وأخبار المَهْدِيّ» للشيخ عبدالله بن سليمان المشعلي.

«الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المَهْدِيّ» للشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد.

«عقيدة أهل السنة والأثر في المَهْدِيّ المنتظر» له أيضًا.

ثانيًا: موقف الشيخ محمد بن مانع من خروج «المَهْدِيِّ» آخر الزمان

أفردت الأستاذة الباحثة ندى بنت حمزة خياط فصلًا في رسالتها القيمة لنيل شهادة الماجستير التي بعنوان «الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع وجهوده في تقرير عقيدة السلف»[(١)] للكلام عن موقف الشيخ من خروج المَهْدِيّ آخر الزمان، وجمعت كلام الشيخ المتفرق في كتبه ومنها استفدت في هذا المبحث.

قال الشيخ ابن مانع في كتابه «الكواكب الدرية» وذلك في شرحه لقول الإمام السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

منها الإمام الخاتم الفصيح   محمد المَهْدِيّ والمسيح

قال الشيخ ابن مانع: قوله **(منها)** أي: أشراط الساعة التي وردت بها الأخبار **(الإمام)** المقتدى به **(الخاتم)** للأئمة **(الفصيح)** اللسان، لأنه من صميم العرب **(محمد المَهْدِيّ)** هذا اسمه، واسم أبيه عبدالله...

واستدل عليه بقول النبيّ ﷺ: **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم**

(١) في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، بجامعة أم القرى بمكة، شرفها الله، بإشراف الدكتورة أحلام بنت محمد باحمدان. نوقشت عام ١٤٢٨ هـ ولم تطبع بعد.

واحد، لطول الله ذلك اليوم، حتى يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأها» أي: الأرض «**قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا**».

ثم قال: وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة لم يثبت منها حديث واحد، والمصنف إنما ذكر (المَهْدِيّ) لبيان أنه قد جاءت بذكره أحاديث تنبئ بمجيئه لا أنه مما يجب اعتقاده، فلا نعتقد بمجيء هذا المَهْدِيّ ولا ندين الله به، إذ مبنى الاعتقاد اليقين، ومن أراد تحقيق هذه المسألة فليراجع «مقدمة ابن خلدون» فقد أفاد فيها وأجاد[(١)].

وقال أيضًا: «فإن الأحاديث التي فيها ذكر المَهْدِيّ لم تصح عند علماء الحديث»[(٢)].

وقال في كتاب آخر: حيث وقعت لي عبارة في (الكواكب) في شأن المَهْدِيّ المنتظر، فهم منها بعض الناس أني أنكر مجيئه، وهذا غلط أو تحامل، فإني لا أنكر مجيئه، ولكني أقول إن جميع الأحاديث التي فيها ذكر المَهْدِيّ ضعاف على كثرتها، مع أنها معارضة بمثلها، ومن المقرر عند علماء الآثار أن الحديث الضعيف لا يوجب العمل، فضلًا عن وجوب الاعتقاد بمدلوله، وإنما تنازعوا هل يجوز العمل بالحديث الضعيف أو لا؟ إلى أن قال: على أني لا أنكر مجيء المَهْدِيّ، ولكني أقول: لا يجب اعتقاد مجيئه كما سمعت. والله أعلم[(٣)].

قالت الباحثة ندى الخياط: وهكذا يتلخص موقفه رَحِمَهُ اللَّهُ أخيرًا

---

(١) الكواكب الدرية (٢١٦ ـ ٢١٨).
(٢) الكواكب الدرية (٢٣٤).
(٣) إرشاد الطلاب (٩٣ ـ ٩٥).

في مخطوطته «**تحديق النظر**» في أن الأحاديث الواردة في هذه المسألة نوعان، هما: أحاديث فيها تصريح بتسميته بالمَهْدِيّ وغالبها ضعاف، وأحاديث فيها صفة المَهْدِيّ وذكر أحواله، وهذه فيها القوي والضعيف.

وعليه فيعتقد بخروج رجل آخر الزمان، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا، واسمه «محمد بن عبدالله» من آل بيت النبيّ ﷺ. ويمكن أن يكون هذا الرجل هو المسمى بالمَهْدِيّ في بعض الأحاديث، ولا يجزم بذلك لعدم ثبوت صحة الأحاديث الواردة فيها تسميته بذلك عند علماء الحديث، كما يقول!

وذكر أن هناك من الأئمة من ينكر مجيء المَهْدِيّ مطلقًا، وهو يخالف معتقدهم هذا ويعتقد بوجوب الإيمان به على الإجمال والإطلاق فقط دون تحديد اسم له!

وجاء في آخر مخطوطه «تحفة الإخوان» وهي من آخر ما صنف، قوله: إنني لا أنكر مجيء المَهْدِيّ، وإنما أقول: إن الأدلة الواردة في ذلك ما تدل على وجوب اعتقاد مجيئه.

فكأن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لازال يعتقد بعدم صحة الأخبار التي ذكر فيها تسميته بالمَهْدِيّ، واكتفى بما ذكره سابقًا بخروج رجل آخر الزمان بالصفات الواردة في الأحاديث، دون تسميته بالمَهْدِيّ(١).

وقالت الباحثة: والخلاصة أن الشيخ محمد المانع خالف السلف في وجوب الاعتقاد بمجيء المَهْدِيّ، مع إقراره السابق بخروج رجل آخر الزمان يسمى «محمد بن عبدالله» يملأ الأرض عدلًا وقسطًا.

وقد فهم تلميذه(٢) منه خطأ أنه ينكر إنكارًا تامًّا فكرة المَهْدِيّ،

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع وجهوده في تقرير عقيدة السلف (٣٩٣ ـ ٣٩٤).
(٢) هو الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رَحِمَهُ اللَّهُ.

فتعقبه عالمان جليلان[١] بتوضيح ما أشكل عليه من كلام الشيخ محمد المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنه فصل معتقده في مخطوطه الأخير «**تحديق النظر**»[٢].

وقالت أيضًا: الشيخ محمد المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ وُفِّق لمعتقد السلف في عدة جوانب، منها مسألة خروج إمام آخر الزمان، وجانب الصواب في بعض جزئيات هذه المسألة، ولعل بالإمكان التماس شيء من العذر له عندما يعلم أنه قد كان ملخصًا لشرح معتقد الإمام السَّفَّاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي شحن هذه المسألة بالأحاديث والأخبار الموضوعة عن المَهْدِيّ، مما جعل الشيخ يتطرف في الجانب المقابل، وعاب عليه في مخطوطته «**تحديق النظر**» قبوله كل ما ذكر من أخبار في المَهْدِيّ قائلًا: وقد خرج جماعة من العلماء عن الاعتدال في هذه المسألة، فبالغ طائفة في الإنكار حتى ردوا جملة من الأحاديث الصحيحة، وقابلهم آخرون فبالغوا في الإثبات حتى قبلوا الموضوعات والحكايات المكذوبة، فمن المبالغين في الإثبات العلامة السَّفَّاريني[٣].



(١) هما الشيخان حمود بن عبدالله التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعبدالمحسن العباد حفظه الله.
(٢) المصدر السابق (٤١٣).
(٣) المصدر السابق (٤١٨).

الباب الثاني
التعريف بالكتاب

ويتضمن:

أولاً: اسم الكتاب.

ثانيًا: موضوعه ومنهج مؤلفه.

ثالثًا: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

رابعًا: التعريف بالنسخة الخطية.

خامسًا: عملي في الكتاب.

* * *

التعريف بالكتاب

أولاً: اسم الكتاب

قال المؤلف في مقدمته: ورتبت ما جمعته في هذا الكتاب المسمى بـ «**تحديق النظر في أخبار الإمام المَهْدِيّ المنتظر**».

كما ذُكر هذا العنوان على الورقة الأولى للكتاب.

وبهذا يتبين خطأ من ذكره بعنوان «تحقيق النظر»[(١)].

ثانيًا: موضوعه ومنهج مؤلفه

قال المؤلف في مقدمته: فرأيت أن من الصواب الاقتداء بغير واحد من الأفاضل، في جمع الأخبار الواردة في شأن الإمام العادل، مقتصرًا في ذلك على أشهر الروايات المعروفة في كتب الأئمة الثقات، ذاكرًا بعض ما قاله أهل الدراية من أرباب الرواية في أسانيدها، حيث إن الإسناد من الدين كما قاله جمع من العلماء العاملين، سالكًا في ذلك سبيل الإنصاف، متنحيًا عن جانب التعصب والاعتساف، إذ المقصود العثور على الحق، وإفادة الطالب والتوضيح لمشكلات المطالب، وأشرت إلى قليل مما أصابوا به الإسلام من

(١) كما في «معجم مصنفات الحنابلة» (٧/ ٧٣).

الفواقر والضرر، فمنهم من تم له الأمر الذي أراده من الملك والجاه بهذا اللقب والانتساب، ومنهم من حالت دون مطلبه أحوال قطعت عليه ما بذله من الأسباب، ورتبت ما جمعته في هذ الكتاب المسمى بـ«**تحديق النظر في أخبار الإمام المَهْدِيّ المنتظر**» على مقدمة وفصلين وخاتمة. ومن الله أستمد الإعانة والتوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

ثالثًا: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

الكتاب ثابت النسبة إلى مؤلفه الشيخ محمد بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدة أدلة لا يتطرق إليها الشك، منها:

١ ـ **قال المؤلف في مقدمة الكتاب**: أما بعد، فيقول العبد المفتقر إلى عفو ربه الكريم، محمد بن عبدالعزيز بن مانع عامله الله بلطفه وأفاض عليه من فضله العميم....

٢ ـ **ذكر الكتاب الكثير من العلماء عند ترجمتهم للمؤلف** منهم: الشيخ عبداللطيف آل الشيخ في «مشاهير علماء نجد» (٤١٦)، والشيخ عثمان القاضي في «روضة الناظرين» (٢/ ٢٩٨)، والشيخ عبدالله البسام في «علماء نجد» (٦/ ١١١)، والدكتور علي جواد الطاهر في «مجلة العرب» (١٤/ ٢٢٤)، والدكتور عبدالله الطريقي في «معجم مصنفات الحنابلة» (٧/ ٧٣).

٣ ـ **ذكر في أول ورقة من الكتاب اسم مؤلفه.**

٤ ـ **ذكر المؤلف في كتابه** «تحديق النظر» كتابه الآخر «الكواكب شرح العقيدة السَّفَّارينية».

رابعًا: التعريف بالنسخة الخطية

لم أقف إلا على نسخة وحيدة للكتاب محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم **٢٠٣٥٩**ب تقع في **٢٥** ورقة بخط الشيخ

أحمد بن يوسف بن جابر بن عبدالله، فرغ منها يوم السبت ٢٩/٦/١٣٣٨هـ.

وقد تفضل بإحضارها لي الأخ الشيخ عبدالله بن حسن الصميعي، جزاه الله خيرًا، بعد أن طلبتها منه، فبادر دون تأخير.

خامسًا: عملي في الكتاب

يتلخص عملي في الكتاب في النقاط التالية:

١ ـ نسخت المخطوط على وَفق الرسم الحديث.

٢ ـ قابلت المنسوخ بالمخطوط للتأكد من صحة النسخ.

٣ ـ عزوت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار إلى مصادرها.

٤ ـ وثّقت النقول التي ذكرها المؤلف.

٥ ـ قدمت للكتاب بمقدمة مناسبة، مع الكلام عن الكتاب.

٦ ـ علقت على الكتاب تعليقات مختصرة.

الله أسأل أن يغفر لمؤلف الكتاب، ويجعل ما قدم في ميزان حسناته، وأن يكتب لي الأجرين في عملي على الكتاب.

كما أشكر كل من أعانني على إخراج هذا الكتاب.

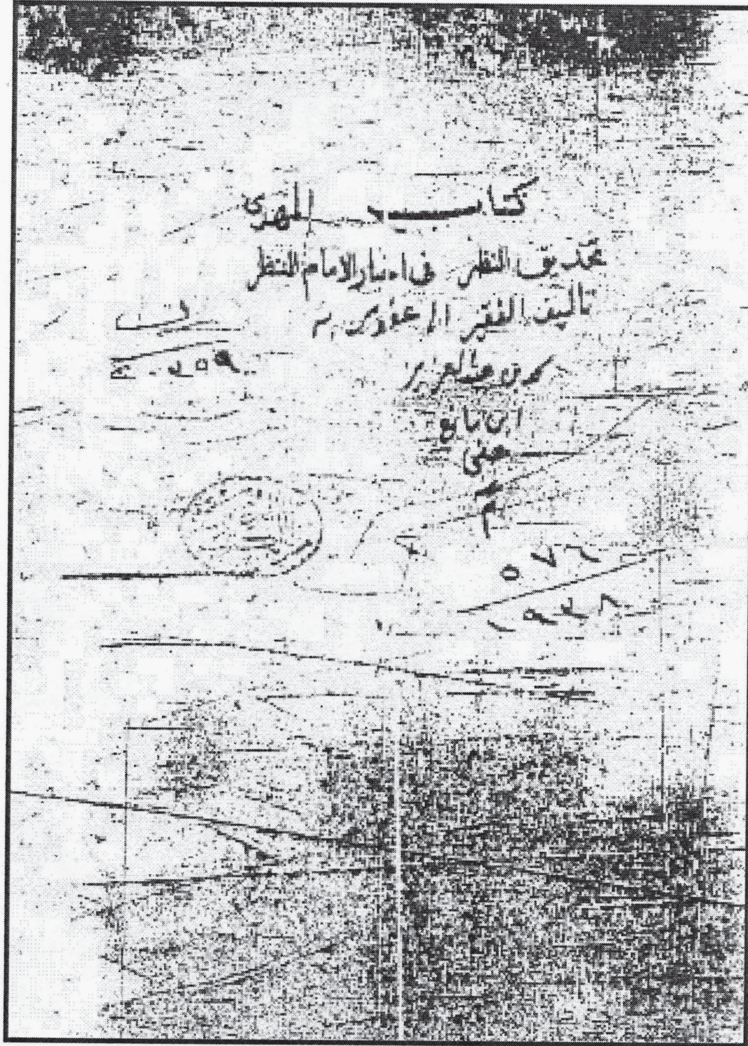
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبدالإله بن عثمان الشايع

الرياض





كتاب المهدي
تحقيق النظر في اخبار الامام المنتظر
تاليف الفقير الى عفو ربه
محمد بن عبد العزيز
ابن مانع
حنبلي

صورة عنوان الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق من اراد هدايته لسلوك الصراط المستقيم
ومنّ على عباده بما بينه من الاحكام وشرعه لهم من الدين القويم
الذي اكمله جل جلاله لعباده كرما منه، واحسانا. واتم نعمته
عليهم تفضلا وامتنانا أحمده سبحانه على جزيل بره وهباته
واشكره على جميل كرمه وصلاته واشهد ان لا اله الا الله ذو العز
والجلال الموصوف بما وصف به نفسه من صفات الكمال
واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي ارسله رحمة للعباد
وحجة على اهل الشرك والعناد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه
السادة الامجاد الذين جاهدوا في الله حق جهاده ونصروا الدين. وبذلوا نفوسهم
دونه في مجاهدة الملحدين وسلم تسليما دائما الى يوم الدين اما بعد
فيقول العبد المفتقر الى عفو ربه الكريم محمد بن عبد العزيز بن مانع
عامله الله بلطفه وافاض عليه من فضله العميم لما كثرت المذاكرة
بين طلاب العلوم وحصلت المساجلة بين الاماجد ذوي
الفهوم في الاخبار الواردة في البشارة بالامام المنتظر فمن مصحح لها
وقابل لكل ما قيل ومن راد لها كلها من غير مستند ولا دليل
بل بالظنون والاوهام الناشئة عن قصور النظر فرأيت

صورة الورقة الأولى

وقد كفانا علماء الحديث وأئمة الرواية شأنها فقد قالوا رحمهم
الله الإسناد من الدين وقالوا إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون
دينكم كما سبق ذلك والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وكان الفراغ
من تحريره في يوم السبت [illegible] شوال سنة سبع وثلاثين وثلثمائة
وألف عن منزلي في المدرسة الأفخرية شادها بالعلم والعمل رب
البرية ثم هذا الكتاب الشريف جزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين
أحسن الجزاء بقلم الفقير إلى الله أحمد بن يوسف بن جابر بن عبد الله وذلك
في يوم السبت لتسعة وعشرين يوما خلت من شهر ذي القعدة الذي هو من
شهور سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف ١٣٣٨هـ

صورة الورقة الأخيرة

القسم الثاني

التحقيق

تمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفق من أراد هدايته لسلوك الصراط المستقيم، ومنَّ على عباده بما بينه من الأحكام وشرعه لهم من الدين القويم، الذي أكمله جل جلاله لعباده كرمًا منه وإحسانًا، وأتم نعمته عليهم تفضلًا وامتنانًا. أحمده سبحانه على جزيل بره وهباته، وأشكره على جميل كرمه وصلاته.

وأشهد أن لا إله إلا الله ذو العز والجلال، الموصوف بما وصف به نفسه من صفات الكمال. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي أرسله رحمة للعباد وحجة على أهل الشرك والعناد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأمجاد الذين شدوا أزره ونصروا الدين.

أما بعد: فيقول العبد المفتقر إلى عفو ربه الكريم محمد بن عبدالعزيز بن مانع، عامله الله بلطفه وأفاض عليه من فضله العميم:

طالما جرت المذاكرة بين طلاب العلوم، وحصلت المساجلة بين الأماجد ذوي الفهوم، في الأخبار الواردة في البشارة بالإمام المنتظر؛ فمِن مصحِّحٍ لها وقابل كل ما قيل، ومن رادٍّ لها كلها من

غير مستندٍ ولا دليل، بل بالظنون والأوهام الناشئة عن قصور النظر، فرأيت أن من الصواب الاقتداء بغير واحدٍ من الأفاضل، في جمع الأخبار الواردة في شأن الإمام العادل، مقتصرًا في ذلك على أشهر الروايات المعروفة في كتب الأئمة الثقات، ذاكرًا بعض ما قاله أهل الدراية من أرباب الرواية في أسانيدها، حيث إن «**الإسناد من الدين**» كما قاله جمع من العلماء العاملين[١] سالكًا في ذلك سبيل الإنصاف، متنحيًا عن جانب التعصب والاعتساف، إذ المقصود العثور على الحق، وإفادة الطالب والتوضيح لمشكلات المطالب، وقد أردفت ذلك بذكر بعض من لقب نفسه بـ«المهدي المنتظر» وأشرت إلى قليل مما أصابوا به الإسلام من الفواقر[٢] والضرر، فمنهم من تم له الأمر الذي أراده من الملك والجاه بهذا اللقب والانتساب، ومنهم من حالت دون مطلبه أحوال قطعت عليه ما بذله من الأسباب.

ورتبت ما جمعته في هذا الكتاب المسمى بـ«**تحديق النظر في أخبار الإمام المَهْدِيّ المنتظر**» على مقدمة وفصلين وخاتمة. ومن الله أستمد الإعانة والتوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.



(١) قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ (مقدمة صحيح مسلم ١/ ١٥).

(٢) الفواقر: أي الدواهي. واحدها فاقرة. كأنها تحطم فقار الظهر. كما يقال: قاصمة الظهر (النهاية ٣/ ٨٩٩).

المقدمة

هذه المقدمة تشتمل على أمرين يجدر بطالب العلم النظر فيهما والعناية بما اشتملا عليه من الفوائد لمسيس الحاجة إليها:

الأمر الأول: في ذكر أول من اشتَهَر من الأئمة في نقد الحديث، والسبب الموجب لذلك.

قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»:

أَوَّلُ مَنِ اشْتَهَرَ فِي نَقْدِ الْحَدِيثِ ابْنُ سِيرِينَ، ثُمَّ خَلَفَهُ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ، وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ شُعْبَةُ، وَأَخَذَ عَنْ شُعْبَةَ يَحْيَى الْقَطَّانُ وَابْنُ مَهْدِيٍّ، وَأَخَذَ عَنْهُمَا أَحْمَدُ وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَابْنُ مَعِينٍ، وَأَخَذَهُ عَنْهُمْ مِثْلُ الْبُخَارِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ وَأَبِي زُرْعَةَ وَأَبِي حَاتِمٍ[1].

قال: وَلَمَّا مَاتَ أَبُو زُرْعَةَ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: ذَهَبَ الَّذِي كَانَ يُحْسِنُ هَذَا الْمَعْنَى - يَعْنِي أَبَا زُرْعَةَ - مَا بَقِيَ بِمِصْرٍ وَلَا بِالْعِرَاقِ وَاحِدٌ يُحْسِنُ هَذَا.

وَقِيلَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي زُرْعَةَ: تَعْرِفُ الْيَوْمَ وَاحِدًا يَعْرِفُ هَذَا؟ قَالَ: لَا.

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٠٧).

وَجَاءَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمُ النَّسَائِيُّ وَالْعُقَيْلِيُّ وَابْنُ عُدَيٍّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَقَلَّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مَنْ هُوَ بَارِعٌ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ أَبُو الْفَرَجِ ابنُ الْجَوْزِيِّ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ «الْمَوْضُوعَاتُ»(١): قَدْ قَلَّ مَنْ يَفْهَمُ هَذَا، بَلْ عُدِمَ(٢). انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

مَعْرِفَةُ عِلَلِ الْحَدِيثِ عِلْمٌ شَرِيفٌ، يَعْرِفُهُ أَئِمَّةُ الْفَنِّ، كَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالْبُخَارِيِّ صَاحِبِ «الصَّحِيحِ» وَالدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَهَذِهِ عُلُومٌ يَعْرِفُهَا أَصْحَابُهَا(٣).

وروى مسلم في مقدمة «الصحيح» عن محمد بن سيرين أنه قال: لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ(٤).

وبهذا تبين السبب الذي حمل العلماء على النظر في الأسانيد ونقد الرجال، فجزاهم الله خيرًا.

وقوله في أهل البدعة: «فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ» ليس على إطلاقه؛ إذ مسألة الرواية عن أهل البدع مسألة كبيرة، وفيها تفاصيل كثيرة

---

(١) الموضوعات (١/ ١٠٢).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨).
(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤٢).
(٤) مقدمة «صحيح مسلم» (باب: في أن الإسناد من الدين١/ ١٥).

للأئمة قديمًا وحديثًا، وقد أَلَمَّ بطرف صالح منها الحافظ العسقلاني في أول «لسان الميزان»(١) وفي «النخبة»(٢) وشرحها(٣).

---

(١) قال بعد أن ذكر كلام أهل العلم في قبول رواية المبتدع: الذي عليه أكثر أهل الحديث، بل نقل فيه ابن حبان إجماعهم ووجَّه ذلك، أن المبتدع إذا كان داعية كان عنده باعث على رواية ما يشد به بدعته... وينبغي أن يقيد قولنا بقبول رواية المبتدع إذا كان صدوقًا، ولم يكن داعية، بشرط ألا يكون الحديث الذي يحدث به مما يعضد بدعته ويشدها، فإنا لا نأمن حينئذٍ عليه غلبة الهوى. والله الموفق (لسان الميزان ١/٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) قال: ثُمَّ الْبِدْعَةُ: إِمَّا بِمُكَفِّرٍ أَوْ بِمُفَسِّقٍ. فَالْأَوَّلُ: لَا يَقْبَلُ صَاحِبَهَا الْجُمْهُورُ. والتحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببدعته؛ لأن كل طائفة تدعي أن مخالفيها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفر مخالفها، فالمعتمد أن الذي ترد روايته من أنكر أثرًا متواترًا من الشرع معلومًا من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه. والثاني: يقبل من لم يكن داعية إلى بدعته في الأصح، إلا إن روى ما يقوي بدعته فيرد على المختار (نخبة الفكر ٤/ ٧٢٣).

(٣) قال: ثمَّ البِدْعَةُ. وهي السَّببُ التَّاسعُ مِن أَسبابِ الطَّعنِ في الرَّاوي. وهي إِمَّا أَنْ تَكونَ بمكَفِّرٍ؛ كأَنْ يَعتقد ما يَسْتلزم الكفرَ، أو بمُفَسِّقٍ. فالأوَّلُ: لا يَقْبَلُ صاحِبَهَا الجمهورُ. وقيلَ: يُقبل مُطلقًا. وقيلَ: إنْ كانَ لا يَعْتقد حِلَّ الكَذِبِ لنُصرةِ مقالَتِه قُبِلَ. والتحقيقُ أنه لا يُرَدُّ كُلُّ مُكَفَّرٍ ببدعةٍ؛ لأَنَّ كلَّ طائفةٍ تدَّعي أَنَّ مخالِفيها مبتدعةٌ، وقد تُبالغ فتكفِّر مخالفها، فلو أُخِذَ ذلك على الإِطلاقِ لاسْتَلْزَمَ تكفيرَ جميع الطوائفِ. فالمعتمد أن الذي تُرَدُّ روايته مَن أَنكر أَمرًا مُتواتِرًا مِن الشَّرعِ معلومًا من الدين بالضَّرورةِ، وكذا مَن اعتقدَ عكسَهُ، فأَمَّا مَن لم يَكُنْ بهذهِ الصِّفَةِ وانْضَمَّ إلى ذلك ضَبْطُهُ لِما يَرويهِ، مَعَ وَرَعِهِ وتَقْواهُ، فلا مانع مِن قبوله. والثاني: وهو مَنْ لا تَقْتَضي بدعتُهُ التكفيرَ أصلًا، وقد اختُلِف، أَيضًا، في قَبولِهِ وَرَدِّهِ؛ فقيلَ: يُرَدُّ مُطلَقًا. وهُو بَعيدٌ، وأَكثرُ مَا عُلِّلَ بهِ أَنَّ في الرِّوايةِ عنهُ تَرْويجًا لأمرِهِ وتَنْويهًا بذكره، وعلى هذا فيَنْبَغي أَنْ لا يُرْوَى عنْ مبتدع شيءٌ يُشاركه فيهِ غيرُ مبتدعٍ. وقيلَ: يُقْبَل مُطْلقًا، إلَّا إن اعتقد حلَّ الكذب، كما تقدمَ. وقيلَ: يُقْبَلُ مَن لَمْ يكنْ داعِيةً إلى بِدعَتِهِ؛ لأَنَّ تزيينَ بِدعَتِهِ قد يَحْمِلُهُ على تحريفِ الرواياتِ وتَسويتِها على ما يَقْتضيه مذهبُهُ، وهذا في الأَصَحِّ. وأَغربَ ابنُ حِبَّانَ فادَّعى الاتفاقَ على قبولِ غيرِ الدَّاعيةِ، مِن غيرِ تفصيلٍ. نعمْ، الأَكثرُ على قَبولِ غيرِ الدَّاعيةِ، إلا أنْ يَروي ما يُقَوِّي بِدْعَتَهُ فيُرَدُّ، على المذهَبِ المُخْتارِ، وبهِ صرَّحَ الحافِظُ أبو إِسحاقَ إِبراهيمُ بنُ يعقوبَ الجُوزَجاني، شيخُ أَبي داودَ والنَّسائِيِّ، في كتابِهِ «معرفة الرِّجال» فقالَ في وصْفِ الرُّواةِ: ومِنهُم زائغٌ عن الحَقِّ ـ أَيْ عنِ السُّنَّةِ ـ صادقُ اللَّهجَةِ؛ فليسَ فيهِ حيلةٌ إِلَّا أَنْ يؤخذ من=

وإنا نحيل طالب العلم عليها لما فيها من الفوائد المهمة.

وروى **مسلم** عن محمد بن سيرين أيضًا أنه قال: **إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ**(١).

وعن **عبدالله بن المبارك**: **الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلاَ الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ**(٢).

وعن **ابن أبي الزناد عن أبيه** قال: **أَدْرَكْتُ بِالْمَدِينَةِ مِائَةً، كُلُّهُمْ مَأْمُونٌ، مَا يُؤْخَذُ عَنْهُمُ الْحَدِيثُ، يُقَالُ: لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ**(٣).

وقال **إبراهيم بن عيسى الطالقاني**: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ «**إِنَّ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبَوَيْكَ مَعَ صَلَاتِكَ، وَتَصُومَ لَهُمَا مَعَ صَوْمِكَ**»! فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، عَمَّنْ هَذَا؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: هَذَا مِنْ حَدِيثِ شِهَابِ بْنِ خِرَاشٍ. فَقَالَ: ثِقَةٌ، عَمَّنْ قَالَ؟ قُلْتُ: عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ. قَالَ: ثِقَةٌ، عَمَّنْ قَالَ؟ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ بَيْنَ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مَفَاوِزَ تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الصَّدَقَةِ اخْتِلَافٌ(٤).

ومعنى هذا الكلام (كما قال)(٥) النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لا يقبل

= حديثه ما لا يكون منكرًا، إذا لم يُقَوِّ به بدعته. انتهى. وما قاله مُتَّجِهٌ؛ لأنَّ العلةَ التي لها رُدَّ حديثُ الدَّاعيةِ واردةٌ فيما إذا كان ظاهرُ المرويِّ يوافِق مذهبَ المُبْتَدِع، ولو لم يكنْ داعيةً، والله أعلم (نزهة النظر ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

(١) مقدمة «صحيح مسلم» (باب: في أن الإسناد من الدين١/ ١٤).
(٢) مقدمة «صحيح مسلم» (باب: في أن الإسناد من الدين١/ ١٥).
(٣) مقدمة «صحيح مسلم» (باب: في أن الإسناد من الدين١/ ١٥).
(٤) مقدمة «صحيح مسلم» (باب: في أن الإسناد من الدين١/ ١٦).
(٥) في الأصل: «كمال».

الحديث إلا بإسناد صحيح، وهذه العبارة التي استعملها هنا استعارة حسنة، وذلك لأن الحجاج بن دينار هذا من تابعي التابعين، فأقل ما يمكن أن يكون بينه وبين النبيّ ﷺ اثنان؛ التابعي والصحابي، فلهذا قال «بينهما مفاوز» أي: انقطاع كثير.

وأما قوله «ليس في الصدقة اختلاف» فمعناه أن هذا الحديث لا يحتج به، ولكن من أراد بر والديه فليتصدق عنهما، فإن الصدقة تصل إلى الميت وينتفع بها بلا خلاف بين المسلمين(١). انتهى.

وإذا وقف البصير المعتبر على هذا الكلام وما ماثله أوجب له ذلك التوقف عن الجزم بصحة كثير من الأحاديث المرفوعة، حتى يقف على أسانيدها ويعرف حال رواتها، فإذا علم صحة الحديث، ولم يعلم له معارضًا يساويه ولا ناسخًا، وجب عليه العمل به وحرمت مخالفته.

لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقد سهل الطريق، ولله الحمد، إلى معرفة صحة الحديث وضعفه بما دونه العلماء، رحمهم الله، من كتب الجرح والتعديل وكتب الموضوعات، فنصحوا الأمة بذلك، واستوجبوا الثناء والدعاء ممن جاء بعدهم.

قال العلامة الحافظ العسقلاني في أول «لسان الميزان»:

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ٨٩).

وقال ﷺ: «تَسْمَعُونَ، وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ» رواه أبو داود بإسناد صحيح[(١)]. فامتثل أصحابه أمره، ونقلوا أقواله وأفعاله ونومه ويقظته وغير ذلك.

ثم إن مَن بعد الصحابة تلقَّوا ذلك منهم، وبذلوا أنفسهم في حفظه وتبليغه، وكذلك مَن بعدهم، إلا أنه دخل فيمَن بعد الصحابة في كل عصر قومٌ ممن ليست له أهلية ذلك وتبليغه، فأخطأوا فيما تحملوا ونقلوا، ومنهم من تعمد ذلك، فدخلت الآفةُ فيه من هذا الوجه، فأقام الله طائفة كثيرة من هذه الأمة للذبِّ عن سنة نبيه ﷺ فتكلموا في الرواة على قصد النصيحة، ولم يُعَدَّ ذلك من الغيبة المذمومة، بل كان ذلك واجبًا عليهم وجوب كفاية[(٢)]. انتهى.

ومنه تعلم مقدار معرفة الإسناد، وأنه ينبغي التدقيق في أحوال الرواة.

وبه يظهر لك خطأ القائل[(٣)]:

وَلِابْنِ مَعِينٍ فِي الرِّجَالِ مَقَالَةٌ   سَيُسْأَلُ عَنْهَا وَالْمَلِيكُ شَهِيدُ
فَإِنْ يَكُ حَقًّا فَهْوَ فِي الْحُكْمِ غِيبَةٌ   وَإِنْ يَكُ كِذْبًا فَالْعِقَابُ شَدِيدُ[(٤)]

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب: فضل نشر العلم (رقم ٣٦٥٩).

(٢) لسان الميزان (١/ ١٩١).

(٣) هو: بكر بن حماد الشاعر المغربي.

(٤) الكفاية في علم الرواية (١/ ٥٢) وقال ذلك الشعر لمعنى الحديث الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل ما الغيبة فقال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قال: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**» فقال:

أَرَى الْخَيْرَ فِي الدُّنْيَا يَقِلُّ كَثِيرُهُ   وَيَنْقُصُ جِدًّا وَالْحَدِيثُ يَزِيدُ
فَلَوْ كَانَ خَيْرًا كَانَ كَالْخَيْرِ كُلِّهِ   وَلَكِنَّ شَيْطَانَ الْحَدِيثِ مَرِيدُ
وَلِابْنِ مَعِينٍ فِي الرِّجَالِ مَقَالَةٌ   سَيُسْأَلُ عَنْهَا وَالْمَلِيكُ شَهِيدُ
فَإِنْ يَكُ صِدْقًا فَهُوَ فِي الْحُكْمِ غِيبَةٌ   وَإِنْ يَكُ كِذْبًا فَالْحِسَابُ شَدِيدُ

فإن ابن معين وأمثاله من النقاد الثقات الذين تكلموا بالرجال على وجه النصيحة أجدر بأن يكونوا مأجورين من أن يكونوا مأزورين، وألا يكونوا في ذلك ملومين بل مشكورين.

قال الإمام النووي: جرح الرواة بما هو فيهم جائز، بل واجب، وليس من الغيبة المحرمة، بل من الذبِّ عن الشريعة المكرمة(١).

وأما قول الحافظ العسقلاني: «ومنهم من تعمد ذلك» يعني الكذب في الحديث، فإنه يشير إلى ما حكى في «لسان الميزان» عن القاضي عبدالله بن لَهِيعة عن شيخ من الخوارج، أنه سمعه يقول بعدما تاب: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنَّا كنَّا إذا هَوِينا أمرًا صيَّرناه حديثًا(٢).

قال الحافظ: حدث بها - يعني هذه الحكاية - عبدالرحمن بن مهدي الإمام، عن ابن لهيعة، فهي من قديم حديثه الصحيح(٣).

قال الحافظ: وهذه، والله، قاصمة الظهر للمحتجين بالمراسيل؛ إذ بدعة الخوارج كانت في صدر الإسلام، والصحابة متوافرون، ثم في عصر التابعين فمن بعدهم، وهؤلاء كانوا إذا استحسنوا أمرًا جعلوه حديثًا وأشاعوه، فربما سمعه الرجل السني فحدث به ولم يذكر من حدث به تحسينًا للظن به، فيحمله عنه غيره، ويجيء الذي يحتج بالمقاطيع فيحتج به، ويكون أصله ما ذكرت، فلا حول ولا قوة إلا بالله!(٤)

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ٨٤) والعبارة أصلها للإمام مسلم، قال: بَاب فِي أَنَّ الْإِسْنَادَ مِنَ الدِّينِ وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز، بل واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذب عن الشريعة المكرمة (مقدمة صحيح مسلم ١/ ١٤).

(٢) الكفاية في علم الرواية (١/ ١٢٣)، الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٣٧ رقم ١٦١).

(٣) لسان الميزان (١/ ٢٠٣).

(٤) لسان الميزان (١/ ٢٠٣ - ٢٠٤).

وذكر الحافظ الذهبي في «الميزان»[١]، والحافظ العسقلاني[٢] ـ في ترجمة «عبدالكريم بن أبي العوجاء» الذي عُرف بالزندقة، وقُتل في خلافة المَهْدِيّ بعد الستين ومائة، قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة ـ أن أبا أحمد بن عديٍّ قال: لما أُخذ ليُضرب عنقه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرِّم فيها الحلال وأحلِّل فيها الحرام. انتهى.

قلت: وهذه، والله، المصيبة العظمى، فمن أين لنا أن نعلم أن كل زنديق ووضاع اعترف بضلاله فعرف الناس أقواله! فإنا لله وإنا إليه راجعون! فالواجب على كل مَن مَنَّ الله عليه، فأقدره على معرفة الأسانيد، أن يهتم ويعتني بذلك، ويتثبت في قبول الأخبار، فإذا صح عنده خبر صار إليه وعض عليه بالنواجذ، ولو خالفه من خالفه، إذ الحق أكبر من كل أحد، وطاعة الله ورسوله مقدمة على كل طاعة.

ومن المشهور عن الإمام الشافعي قوله: إذا صح الحديث فهو مذهبي[٣].

وكان يقول للإمام أحمد: إذا صح عندك الحديث فأخبرني أذهب إليه.

وإنما قال ذلك لمعرفته بمقام الإمام أحمد ومعرفته بهذا الشأن.

وما قاله الإمام الشافعي هو الحق الذي لا إشكال فيه، ولا شبهة تعتريه، وبقوله نقول وندين الله.

أقول كما قال الأئمة قبلنا ... صحيحُ حديث المصطفَى هو مذهبي

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٤).

(٢) لسان الميزان (٥/ ٢٤١).

(٣) للشيخ تقي الدين السبكي رسالة في شرح كلمة الإمام الشافعي سماها «معنى قول الإمام المطلبي: إذا صح الحديث فهو مذهبي» وهي مطبوعة.

أَألبسُ ثوب الـقـيـل والقال باليًا ... ولا أتحـلَّى بـالـرِّداء المـذهَّبِ!

ونسأل الله تعالى أن يهدينا وإخواننا الصراط المستقيم، وأن يرزقنا البصيرة في الدين، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، إنه على كل شيء قدير.

الأمر الثاني:

قال العلامة الهندي[١] **في شرح «سنن أبي داود»**: اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بـ«المَهْدِيّ» ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في «الصحيح» على أثره، وأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بـ«المَهْدِيّ» في صلاته.

وخرج أحاديث المَهْدِيّ جماعة من الأئمة، منهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة، مثل عليٍّ وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبدالله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعليٍّ الهلالي وعبدالله بن الحارث بن جَزْءٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف[٢].

قلت: وهذه الأحاديث التي أشار إليها العلامة الهندي ليس فيها

---

(١) هو: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبدالرحمن شرف الحق الصديقي العظيم آبادي. توفي سنة ألف وثلاثمائة وتسع وعشرين هجرية.

(٢) عون المعبود (١١/ ٢٤٣).

كلها التصريح باسم المَهْدِيّ، بل كثير منها فيه البشارة برجل من أهل البيت غير مسمًّى بهذا الاسم، ولكن العلماء حملوها على المَهْدِيّ الذي ورد التصريح باسمه في بعض الأحاديث.

قال العلامة ابن خلدون: وتكلم فيها المنكرون لذلك ـ يعني لأمر المَهْدِيّ ـ وربما عارضوها ببعض الأخبار(١). انتهى.

وهذا المَهْدِيُّ الذي يقول به أهل السنة غير المَهْدِيّ الذي تدعيه الكيسانية(٢) وهو «محمد ابن الحنفية» وغير المَهْدِيّ الذي تزعمه الرافضة، وهو «محمد بن الحسن العسكري» فإن هذا لا وجود له، كما قرره الأئمة الأعلام(٣).

قال العلامة ابن كثير في «تفسيره» تحت قوله تعالى: ﴿مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] بعد إيراده حديث جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً**» قال: فكبر الناس وضجُّوا، ثم قال كلمة خفيفة. قلت لأبي: يا أبت، ما قال؟ قال: «**كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**»(٤):

ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثنَي عشر خليفة صالحًا، يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق واحد، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومنهم عمر بن عبدالعزيز بلا شك، وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المَهْدِيَّ المُبشَّر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يُواطئ

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٨٨).

(٢) هي فرقة تقول إن الإمامة تثبت بالنص، وأن عليّ بن أبي طالب نص على محمد ابن الحنفية ابنه (الملل والنحل ١/ ٢٧).

(٣) جامع رسائل ابن تيمية (١/ ٢٦٣).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: الناس تبع لقريش (رقم ١٨٢١).

اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه، فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جَورًا وظلمًا، وليس هذا بالمنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء[(١)]، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاءَ الاثنَي عشَر الأئمة الذين يعتقد فيهم الإثنا عشَرية الروافض لجهلهم وقلة عقلهم[(٢)]. انتهى.

قلت: ولا شك أن ما زعمته الرافضة من أن المَهْدِيَّ المبشَّر به في الأحاديث هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، وأنه مختفٍ بالسرداب، وسيظهر، اعتقادٌ باطلٌ لا دليل عليه، ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي حملتموه[(٣)] بزعمكم ما آنَا
فعلى عقولكم العَفَاء[(٤)] فإنكم ثلّثتم العنقاء والغيلانا



(١) سامراء: مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة. انظر: معجم البلدان (٣/ ١٧٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٥ ـ ٦٦).
(٣) وقد ورد في بعض المصادر: «كلمتموه» وفي بعضها: «غيبتموه». انظر: الصواعق المحرقة (ص ١٩٨) والمنار المنيف (ص ١٥٢).
(٤) كتب في الهامش: (العفاء، كسماء: التراب. ق س) يعني: القاموس المحيط، مادة (ع ف و).

الفصل الأول

في ذكر أكثر الأخبار المروية في البشارة بالإمام المنتظر

اعلم أنه قد وردت أخبار كثيرة تدل على ذلك، منها ما هو مصرح فيه باسم المَهْدِيّ، كما قلناه سابقًا، ومنها ما لم يصرح فيه بهذا الاسم، ونحن نذكر أكثر ما ورد في ذلك مما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم والدارقطني والبزار وغيرهم، ونتكلم حسب الحاجة على أسانيدها ليكون الواقف عليها على بصيرة، فنقول:

الحديث الأول:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ يَوْمٌ، لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلاً مِنِّي، أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي**».

هذا الحديث رواه أبو داود والترمذي[(١)] وهذا لفظ أبي داود،

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (رقم ٤٢٨٢)، والترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء في المهدي (رقم ٢٢٣١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني.

وسكت عليه، وقد قال: إن ما سَكَتُّ عليه فهو صالح[١]. أي: للاحتجاج به.

وقد نازع العلماء أبا داود في هذا الإطلاق، وأن كل ما سكَت عنه فهو صالح مقبول يحتج به.

قال العلامة البدر المنير في «تلقيح الأفكار»: نقل الحافظ ابن حجر عن النووي أنه قال: في سنن أبي داود أحاديث ظاهرها الضعف لم يبينها، مع أنه متفق على ضعفها، فلا بد من تأويل كلامه.

قال: والحق أن ما وجدناه في سننه مما لم ينبه عليه، ولم يَنص على صحته أو حَسَّنه من يُعتمَد عليه، فهو حسن، وإن نص على ضعفه من يُعتمَد عليه، أو رأى العارف في سنده ما يقتضي الضعف، ولا جابر له، حُكم بضعفه، ولا يلتفت إلى سكوت أبي داود[٢]. نقله العلامة حسين بن محسن الأنصارى في «التحفة المرضية»[٣].

ولفظ الترمذي: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»[٤] وفي لفظ آخر: **«حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»**[٥] وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ولا يخفى عليك أن الترمذي متساهل في التصحيح والتحسين، ولذا لم يعتمد العلماء عليه في هذا الباب، وردوا على تصحيحه

---

(١) لفظه: وَمَا كَانَ فِي كتابي من حَدِيث فِيهِ وَهن شَدِيد فقد بَينته، وَمِنْه ما لا يَصح سَنَده. ومَا لم أذكر فِيهِ شَيْئا فَهُوَ صَالح وَبَعضهَا أصح من بعض (رسالة أبي داود إلى أهل مكة ٢٧).

(٢) النكت على ابن الصلاح (١/ ٤٤٤).

(٣) التحفة المرضية (٣٧).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء في المهدي (رقم ٢٢٣٠).

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء في المهدي (رقم ٢٢٣١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني.

وتحسينه في غير موضع[(١)].

قال الحافظ الذهبي في «الميزان» في ترجمة «كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد المزني»: وأما الترمذي فروى من حديثه «**الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ**»[(٢)] وصححه، فلذا لايعتمد العلماء على تصحيح الترمذي[(٣)]. انتهى.

وقال العلامة المنذري في «الترغيب والترهيب»: وأنبه على كثير مما حضرني حال الإملاء، مما تساهل أبو داود في السكوت عن تضعيفه، أو الترمذي في تحسينه، أو ابن حبان والحاكم في تصحيحه، لا انتقادًا عليهم، بل مقياسًا لمتبصِّر في نظائرها من هذا الكتاب، وكل حديث عزوته إلى أبي داود وسكتُّ عنه فهو كما ذكر أبو داود، ولا ينزل عن درجة الحسن، وقد يكون على شرط الصحيحين أو أحدهما[(٤)].

---

(١) قال العلامة محمد أنور شاه الكشميري: **فائدةٌ**: وليُعْلَم أن تحسين المتأخِّرين وتصحيحهم لا يوازي تحسين المتقدِّمين، فإنهم كانوا أعرفَ بحال الرواة لقُرْب عهدهم بهم، فكانوا يَحْكُمُون ما يَحْكُمُون به بعد تثبُّتٍ تام ومعرفةٍ جزئيةٍ، أمَّا المتأخِّرون فليس عندهم من أمرهم غير الأثر بعد العين، فلا يَحْكُمُون إلَّا بعد مطالعة أحوالهم في الأوراق، وأنت تَعْلَمُ أنه كم من فرقٍ بين المجرِّب والحكيم! وما يغني السوادُ الذي في البياض عند المتأخِّرين عمَّا عند المتقدِّمين من العلم على أحوالهم كالعيان! فإنَّهم أدركوا الرواة بأنفسهم، فاسْتَغْنَوْا عن التساؤلِ والأخذِ عن أفواه الناس، فهؤلاء أعرفُ الناسِ، فبهم العبرةُ. وحينئذٍ إن وجدتَ النووي مثلًا يتكلَّم في حديثٍ، والترمذيّ يحسِّنه، فعليكَ بما ذهب إليه الترمذيُّ. ولم يُحْسِن الحافظُ في عدم قَبُول تحسين الترمذيِّ، فإن مبناه على القواعد لا غير، وحكمُ الترمذيِّ يُبنى على الذوق والوِجْدَان الصحيح. وإنَّ هذا هو العلم، وإنَّما الضوابطُ عصا الأعمى (فيض الباري ٦/ ٢١٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الأحكام، باب: ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس (رقم ١٣٥٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني.

(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٠٧).

(٤) الترغيب والترهيب (٢٥).

وقال الحافظ العسقلاني في «التلخيص الحبير» تحت حديث جابر أن النبيّ ﷺ سُئِلَ عَنِ العُمْرَةِ أَوَاجِبَةٌ هِيَ؟ قَالَ: «**لاَ، وَأَنْ تَعْتَمِرُوا هُوَ أَفْضَلُ**»[(١)]: في تصحيحه ـ أي الترمذي ـ نظر كثير؛ من أجل الحجاج، فإن الأكثر على تضعيفه، والاتفاق على أنه مدلس. وقال النوويّ: ينبغي ألا يغتر بكلام الترمذي في تصحيحه، فقد اتفق الحفاظ على تضعيفه[(٢)]. انتهى.

وقال في «التلخيص» تحت حديث جد «كثير»[(٣)] في تكبير العيد: وقد قال البخاريُّ والترمذي إنه أصح شيء في هذا الباب[(٤)] وأنكر جماعة تحسينه على الترمذي[(٥)].

وقال[(٦)] في «صيانة الإنسان»: قال[(٧)] في **«توضيح الأفكار»**[(٨)] بعد ذكر تصحيح ابن خزيمة وابن حبان: وعلى كل حال فلا بد للمتأهل من الاجتهاد والنظر، ولا يقلد هؤلاء ومن نحا نحوهم، فكم حكم ابن خزيمة بالصحة لما لا يرتقي عن رتبة الحسن! بل فيما صححه الترمذي من ذلك جملة، مع أنه يفرق بين الحسن والصحيح[(٩)]. انتهى.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، باب: ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا؟ (رقم ٩٣١) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(٢) التلخيص الحبير (٢/ ٤٩٣).
(٣) أي: حَدِيثُ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَبَّرَ فِي العِيدَيْنِ فِي الأُولَى سَبْعًا قَبْلَ القِرَاءَةِ، وَفِي الآخِرَةِ خَمْسًا، قَبْلَ القِرَاءَةِ. أخرجه الترمذي في كتاب العيدين، باب: في التكبير في العيدين (رقم ٥٣٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني.
(٤) قال الترمذي: سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: لَيْسَ فِي الْبَابِ شَيْءٌ أَصَحَّ مِنْ هَذَا. وَبِهِ أَقُولُ (العلل الكبير ١٥٣).
(٥) التلخيص الحبير (٢/ ٢٠٠).
(٦) أي: محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي.
(٧) أي: الأمير الصنعاني.
(٨) توضيح الأفكار (١/ ٦٧).
(٩) صيانة الإنسان عن وساوس الشيخ دحلان (١٠٦).

وقد ذكر جملة من الأحاديث التي انتقد العلماء على الترمذي تصحيحها أو تحسينها، ثم قال: ومِن ثَمَّ صرَّح العلماء بأن ما حسَّنه الترمذي أو صحَّحه ليس من جنس ما صحَّحه إمام من الأئمة وحسَّنه، حتى يكون مما يجب العمل به، بل هو اصطلاح جديد[(١)]. انتهى.

إذا أحطتَ علمًا بمنزلة ما سكت عنه أبو داود، أو صحَّحه أو حسَّنه الترمذي من الأحاديث فاعلم أن حديث ابن مسعود السابق قد أخرجه أبو داود والترمذي من طريق «عاصم بن بهدلة» المعروف بـ«ابن أبي النَّجُود» أحد القراء السبعة إلى زِرِّ بن حُبيش عن عبدالله.

قال الذهبي في «الميزان»[(٢)]: عاصم بن بهدلة الكوفي، مولى بني أسد. ثَبتٌ في القراءة، وهو في الحديث دون الثبت [صدوق] يَهِمُ.

قال يحيى القطان: ما وجدتُ رجلًا اسمه «عاصم» إلا وجدته رديء الحفظ[(٣)].

وقال النسائي: ليس بحافظ.

وقال الدارقطني: في حفظ عاصم شيء[(٤)].

وقال أبو حاتم: محله الصدق[(٥)].

وقال ابن خراش: في حديثه نكرة.

---

(١) صيانة الإنسان عن وساوس الشيخ دحلان (١٠٥).

(٢) ميزان الاعتدال (٤٠٦٨).

(٣) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١٧٦١ ترجمة عاصم بن هلال أبو النضر البارقي).

(٤) سؤالات البرقاني للدارقطني (٣٣٨).

(٥) لفظه: محله عندي محل الصدق، صالح الحديث، ولم يكن بذاك الحافظ (الجرح والتعديل ٦/ ٤٣١).

وقال الإمام أحمد[١] وأبو زرعة[٢]: ثقة.

(فإن قيل: قد خرج له الشيخان![٣] فالجواب: أنهما خرجا له مقرونًا بغيره، لا أصلًا وانفرادًا)[٤].

وقال ابن سعد: ثقة[٥]. توفي سنة سبع وعشرين ومائة.

وهذا الحديث لم يصرح فيه باسم «المَهْدِيّ» بل حمله العلماء عليه.

تنبيه:

قال الحافظ العسقلاني في «لسان الميزان»: قال الخطيب: اتفق أهل العلم على أن من جَرَحَه الواحد والاثنان، وعدَّله مثلُ من جَرَّحَه، فإن الجرح أولى[٦].

قال: فإذا عدل جماعة رجلًا، وجرحه أقل عددًا من المعدِّلين، فإن الذي عليه الجمهور من العلماء أن الحكم للجرح، والعمل به أولى. وقالت طائفة: الحكم للعدالة. وهو خطأ[٧].

قال الحافظ: **قلت**: بل الصواب التفصيل؛ فإذا كان الجرح

---

(١) لفظه: ثقة، رجل صالح خير، ثقة، والأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمش عليه في تثبيت الحديث (الجرح والتعديل ٦/ ٤٣١).

(٢) الجرح والتعديل (٦/ ٤٣١).

(٣) رجال صحيح البخاري (١٤٦٢)، رجال صحيح مسلم (١٢٤١).

(٤) الجملة في «الميزان» هكذا: «قلت: خرج له الشيخان لكن مقرونًا بغيره، لا أصلًا وانفرادًا».

(٥) لفظه: كَانَ عَاصِمٌ ثِقَةً، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْخَطَأِ فِي حَدِيثِهِ (الطبقات الكبرى ٦/ ٣٢١).

(٦) الكفاية (١/ ١٤٤).

(٧) الكفاية (١/ ١٤٦).

والحالة هذه مُفسَّرًا قُبل، وإلا عُمل بالتعديل، وعليه يُحمل قول من قدَّم التعديل كالقاضي أبي الطيب الطبري وغيره.

فأما من جُهل حاله، ولم يُعلم فيه سوى قول إمام من أئمة الحديث أنه ضعيف، أو متروك، أو ساقط، أو لا يُحتَجّ به، ونحو ذلك، فإن القول قوله، ولا نطالبه بتفسير ذلك(١).

إذا فهمتَ هذا علمتَ الحاصل من اختلاف العلماء في بعض الرجال إذا عدَّله جماعة وجرَّحه آخرون، فاجعل هذه القاعدة في بالك فهي مفيدة جدًّا.

ثم اعلم أن من صحت عدالته، وثبت في العلم إمامته، وبانت همته وعنايته بالعلم، لم يُلتفَت فيه إلى قول أحد، إلا أن يأتي الجارح في جرحه ببينة عادلة يصح بها جرحه على طريق الشهادات، والعمل بما فيها من المشاهدة لذلك ما يوجب قبوله.

وقد أتى الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة «لسان الميزان» بفصول نافعة وقواعد جامعة، يليق بعالي الهمة النظر فيها، والتأمل في باديها وخافيها. ولعل فيما ذكرنا كفاية للمقتصد، والله أعلم.

الحديث الثاني:

عن عليٍّ عن النبيّ ﷺ: **«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»**(٢).

هذا الحديث رواه أبو داود من رواية فِطْرِ بن خليفة، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن أبي الطُّفيل، عن عليٍّ.

---

(١) لسان الميزان (١/ ٢١١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (رقم ٤٢٨٣) وصححه الألباني.

قال الحافظ الذهبيّ في ترجمة «فطر بن خليفة»[(١)]: وثَّقه الإمام أحمد[(٢)] وغيره[(٣)].

وقال أبو حاتم: صالح الحديث[(٤)].

وقال الدارقطنيّ: لا يحتجّ به[(٥)].

وقال ابن سعد: ثقة إن شاء الله[(٦)].

وقال أبو بكر بن عياش: ما تركتُ الرواية عنه إلا لسوء مذهبه.

وقال أحمد: كان فِطر عند يحيى ثقة، ولكنه خَشَبِيٌّ مُفرِط[(٧)].

قلت: الخَشَبِيَّةُ: فرقة من الجهمية. كما في «القاموس» وغيره[(٨)].

وقال أحمد بن يونس: كنت أمر به وأدعه مثل الكلب.

وروى عباس[(٩)] عن ابن معين: ثقة شيعيٌّ[(١٠)].

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد: سألتُ أبي عن فِطر بن خليفة فقال: ثقة صالح الحديث، حديثه حديث رجل كيس إلا أنه يتشيع[(١١)].

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤).
(٢) العلل ومعرفة الرجال (٢٢٧١).
(٣) وثقه أبو زرعة الرازي (الجرح والتعديل ٧/ ٩٠).
(٤) الجرح والتعديل (٧/ ٩٠).
(٥) لفظه: زائغ لا يحتج به (سؤالات الحاكم للدارقطني ٤٥٤).
(٦) الطبقات الكبرى (٦/ ٣٦٤).
(٧) العلل ومعرفة الرجال (٢٤٩٧).
(٨) «تاج العروس» (٢/ ٣٥٩)، والصحيح أنهم طائفة من الشيعة، وسموا بذلك لأنهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه، فهم يقتلون الناس بالخشب فقط، وقيل غير ذلك، الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٤٢)، والقاموس المحيط (ص٨٠) ط مؤسسة الرسالة.
(٩) هو: عباس الدوري، راوي التاريخ عن ابن معين.
(١٠) تاريخ ابن معين، رواية الدوري (١٦٠٩).
(١١) العلل ومعرفة الرجال (٢٢٧١).

وقال النسائيّ: ليس به بأس.

وقال الجوزجانيّ: غير ثقة[(١)].

قال الحافظ الذهبيّ: مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومائة[(٢)].

قال العلامة الهندي: والحديث سكت عنه المنذريُّ.

قال: الحديث سنده حسن قويٌّ، ورد القول بتضعيف فِطْرٍ لأجل توثيق الإمام أحمد وغيره[(٣)].

ولكن قد تقرر عند الأئمة أن الجرح مقدم على التعديل، كما تقدم، لأن الجارح يخبر بزيادة علم لم تكن عند المعدل، وهذا الحديث ليس فيه ذكر المَهْدِيّ، والله أعلم.

الحديث الثالث:

عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ فَقَالَ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ» كَمَا سَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ، يُشْبِهُهُ فِي الْخُلُقِ، وَلاَ يُشْبِهُهُ فِي الْخَلْقِ، يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً**[(٤)].

هذا الحديث خرجه أبو داود[(٥)] من رواية هارون بن المغيرة،

---

(١) لفظه: زائغ غير ثقة (أحوال الرجال ٧٢).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦٤).

(٣) لفظه: قُلْتُ: الْحَدِيثُ سَنَدُهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ. وَأَمَّا فِطْرُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكُوفِيُّ فَوَثَّقَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ والنسائي والعجلي وابن سَعْدٍ وَالسَّاجِيُّ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَالِحُ الْحَدِيثِ. وَأَخْرَجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ، وَيَكْفِي تَوْثِيقُ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ لعدالته، فلا يلتفت إلى قول ابن يُونُسَ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ وَالْجُوزَجَانِيِّ فِي تَضْعِيفِهِ، بَلْ هُوَ قَوْلٌ مَرْدُودٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ (عون المعبود ١١/ ٢٥١).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (رقم ٤٢٩٠) وضعفه الألباني.

(٥) لفظ أبي داود: حُدِّثْتُ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْمُغِيرَةِ. ففيه انقطاع.

عن عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق السَّبيعيّ، عن عليٍّ.

قال المنذريُّ: هذا منقطع؛ أبو إسحاق السَّبيعيّ ما رأى عليًّا رؤية[(١)]. قاله في شرح السنن[(٢)].

وقال الذهبيّ في ترجمة «هارون بن المغيرة»: وثقة النسائي وغيره.

قال أبو داود: ليس به بأس، هو من الشيعة.

وقال السُّلَيمانيّ: فيه نظر. انتهى[(٣)].

وأما عمرو بن أبي قيس:

فقال الذهبيّ: صدوق، له أوهام[(٤)].

وقال أبو داود: لا بأس به، في حديثه خطأ[(٥)]. انتهى.

وليس فيه ذكر المَهْدِيّ، والله أعلم.

الحديث الرابع:

عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ (الْحَارِثُ بْنُ حَرَّاثٍ) عَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مَنْصُورٌ،**

---

(١) مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٦١) وعنده: «أبو إسحاق السبيعي رأى عليًّا رؤية».

(٢) عون المعبود (١١/ ٢٥٧).

(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٨٧).

وقال الإمام أحمد: ليس به بأس (العلل ومعرفة الرجال ٢٦٤٩)، وقال ابن معين: شيخ صدوق ثقة، كتبت عنه خمسة أحاديث (الجرح والتعديل ٩/ ٩٥ ـ ٩٦)، وقال أبو حاتم: محله الصدق (الجرح والتعديل ٩/ ٩٦).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٨٥).

(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٨٥).

يُوَطِّئُ، أَوْ يُمَكِّنُ لِآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا مَكَّنَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ» أَوْ قَالَ: «إِجَابَتُهُ»(١).

هذا الحديث خرجه أبو داود، وهو آخر حديث في كتاب المَهْدِيّ من سنن أبي داود، وليس فيه ذكره.

قال المزيُّ في «الأطراف»: حديث «**يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ (الْحَارِثُ بْنُ حَرَّاثٍ)**» أخرجه أبو داود في المَهْدِيّ عن هارون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن مطرف بن أبي طريف، عن أبي الحسن، عن هلال بن عمرو، وهو غير مشهور، عن عليٍّ(٢). انتهى.

قال الذهبيّ في «الميزان»: أبو الحسن عن هلال بن عمرو عن عليٍّ: «يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث» تفرد به مطرف بن طريف(٣). انتهى.

وقال في «الخلاصة»: هلال بن عمرو الكوفي، عن عليٍّ، وعنه أبو الحسن، شيخ لمطرف مجهول(٤). انتهى.

الحديث الخامس:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (رقم ٤٢٩٠) وضعفه الألباني.
(٢) تحفة الأشراف (٧/ ٤٥٥).
(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٥١٥).
(٤) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (٣/ ١١٩).

وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِم بَعْثًا، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ» وقال بعضهم: «تِسْعَ سِنِينَ»[(١)].

هذا الحديث خرجه أبو داود عن أم سلمة، من رواية صالح أبي الخليل، عن صاحب له، عن أم سلمة.

ثم رواه أبو داود من رواية أبي الخليل، عن عبدالله بن الحارث، عن أم سلمة[(٢)].

فتبين بذلك المبهم في الإسناد الأول.

قال ابن خلدون: ورجاله رجال الصحيح لا مطعن فيهم ولا مغمز[(٣)].

قال المنذريُّ: في هذا الإسناد أبو العوام، وهو عمران بن داوَر، سيأتي ذكره قريبًا[(٤)].

قال ابن خلدون: وقد يقال إنه من رواية قتادة عن أبي الخليل، وقتادة مدلس، وقد عنعنه، والمدلس لا يقبل من حديثه إلا ما صرح فيه بالسماع، مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذكر المَهْدِيّ، نعم ذكره أبو داود في أبوابه[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (رقم ٤٢٨٦) وضعفه الألباني.
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (رقم ٤٢٨٨) وضعفه الألباني.
(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٩٢).
(٤) مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٦١).
(٥) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٩٢).

قال العلامة الهنديُّ: لا شك أن أبا داود يعلم تدليس قتادة، بل هو أعرف بهذه القاعدة من ابن خلدون، ومع ذلك سكت عنه، ثم المنذريُّ وابن القيم، ولم يتكلموا على هذا الحديث، فعلم أن عندهم علمًا بثبوت سماع قتادة من أبي الخليل لهذا الحديث(١).

قال الذهبيُّ في «الميزان»: قتادة بن دعامة السدوسيُّ [حافظ] ثقة ثبت، لكنه مدلس، ورُمي بالقدر. قاله يحيى بن معين. ومع هذا فاحتج به أصحابُ الصحاح(٢) ولا سيما إذا قال (حدثنا) مات كهلًا(٣). انتهى.

وقال العلامة الحافظ العسقلانيُّ في مقدمة «الفتح»: وأما أبو داود فقال: لم يثبت عندنا عن قتادة القول بالقدر(٤). والله أعلم.

قال في «الخلاصة»: قال حماد بن زيد: توفي سنة سبع عشرة ومائة(٥).

الحديث السادس:

عن عبدالله بن مسعود قال: **بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَآهُمُ النَّبِيُّ ﷺ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ! فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ**

(١) عون المعبود (١١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).
(٢) رجال صحيح البخاري (٩٨٤)، رجال صحيح مسلم (١٣٧٨).
(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٨٥).
(٤) هدي الساري (١/ ٤٣٦).
(٥) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (٣١٥).

مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ، حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا كَمَا مَلَئُوهَا جَوْرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ»(١).

هذا الحديث خرجه ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله. ويعرف عند المحدثين بـ«**حديث الرايات**».

ساقه الحافظ الذهبيّ في «الميزان» على وجه الاستنكار وقال: ليس بصحيح، وما أحسن ما روى أبو قدامة: سمعت أبا أسامة يقول في حديث يزيد عن إبراهيم في الرايات: لو حلف عندي خمسين يمينًا قسامةً ما صدقتُهُ! أهذا مذهب إبراهيم! أهذا مذهب علقمة! أهذا مذهب عبدالله!(٢)

قال الذهبيُّ: يزيد بن أبي زياد الكوفيُّ، أحد علماء الكوفة المشاهير، على سوء حفظه(٣).

قال يحيى: ليس بالقويِّ(٤).

وقال أيضًا: لا يحتج به(٥).

وقال ابن مبارك: ارمِ به.

وقال شعبة: كان يزيد بن أبي زياد رَفَّاعًا(٦).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: خروج المهدي (رقم ٤٠٨٢) وضعفه الألباني.

(٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٤).

(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٤).

(٤) تاريخ ابن معين، رواية الدارمي (٨٧٨).

(٥) تاريخ ابن معين، رواية الدوري (٣١٤٤).

(٦) يعني يرفع المراسيل (الجرح والتعديل ٩/ ٢٦٥).

وقال عليّ بن عاصم: قال لي شعبة: ما أُبالي إذا كتبت عن يزيد بن أبي زياد ألا أكتب عن أحد.

قال وكيع: يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله ـ يعني حديث الرايات ـ ليس بشيء.

وقال أحمد: حديثه ليس بذلك، وحديثه عن إبراهيم ـ يعني في الرايات ـ ليس بشيء[(١)].

قال الذهبيُّ: توفي يزيد سنة ست وثلاثين ومائة، على الصحيح، وله تسعون سنة، أو دونها بقليل. خرج له مسلم[(٢)] مقرونًا بآخر[(٣)].

وهذا الحديث ليس فيه ذكر اسم «المَهْدِيّ» والله أعلم.

الحديث السابع:

عن قرة بن إياس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَتُمْلأَنَّ الأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا، فَإِذَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا بَعَثَ اللَّهُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي، اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلاً وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، فَلَا تَمْنَعُ السَّمَاءُ شَيْئًا مِنْ قَطْرِهَا وَلاَ الأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا، يَلْبَثُ فِيكُم سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا أَوْ تِسْعًا» يَعْنِي سِنِينَ**[(٤)].

هذا الحديث خرجه البزار في «مسنده»، والطبراني في «معجمه الكبير» و«الأوسط».

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (٥٩٨٣ ـ ٥٩٨٥).

(٢) رجال صحيح مسلم (١٨٧٣).

(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٥).

(٤) مسند البزار (٨/ ٢٥٧ رقم ٣٢٣٣)، المعجم الأوسط (٨/ ١٧٨ رقم ٨٣٢٥)، المعجم الكبير (١٩/ ٣٢ رقم ٦٨) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٧٣).

وفي سنده **داود بن المحَبَّر**، بمهملة ثم موحدة كـ«معظَّم» ابن قَحْذَم، بفتح القاف والمعجمة بينهما مهملة ساكنة، الطائيُّ أبو سليمان البصريُّ، مصنف كتاب «العقل».

قال الدارقطني: متروك(١).

وقال أحمد: كان لا يدرِي ما الحديث(٢).

وقال ابن المديني: ذهب حديثه(٣).

وقال أبو زرعة وغيره: ضعيف(٤).

وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث، غير ثقة(٥).

وقال ابن معين: ما زال معروفًا بالحديث، ثم تركه وصحب قومًا من المعتزلة فأفسدوه(٦).

قال في «الخلاصة»: قال البخاري: مات سنة ست ومائتين(٧). انتهى.

وقد روَى هذا الحديث عن أبيه، وهما ضعيفان جدًّا.

وليس فيه ذكر «المَهْدِيّ» والله أعلم.

---

(١) الضعفاء والمتروكون (٢٠٦).
(٢) العلل ومعرفة الرجال (٧٦٦).
(٣) الجرح والتعديل (٣/ ٤٢٤).
(٤) الجرح والتعديل (٣/ ٤٢٤).
(٥) الجرح والتعديل (٣/ ٤٢٤).
(٦) تاريخ بغداد (٩/ ٣٢٦).
(٧) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (١١٠).

الحديث الثامن:

عن طلحة بن عبيد الله عن النبيِّ ﷺ قال: «**سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، لاَ يَسْكُنُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلاَّ تَشَاجَرَ مِنْهَا جَانِبٌ، حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ أَمِيرَكُمْ فُلاَنٌ**»[(١)].

هذا الحديث خرجه الطبراني في «معجمه الأوسط» عن طلحة بن عبيد الله.

قال ابن خلدون: وفيه المثنى بن الصباح، وهو ضعيف جدًّا، وليس في الحديث تصريح بذكر «المَهْدِيّ» وإنما ذكروه في أبوابه استئناسًا[(٢)].

قال الذهبيُّ: قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: سمعت ابن معين يقول: المثنى رجل صالح في نفسه، ليس بذاك، كان من أبناء فارس[(٣)].

مات سنة تسع وأربعين ومائة[(٤)].

وقال النسائي: متروك[(٥)].

وقال أحمد: لا يسوى حديثه شيئًا[(٦)]. والله أعلم.

الحديث التاسع:

عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ**

---

(١) المعجم الأوسط (٥/ ٥٩ رقم ٤٦٦٦) وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٦٠١).

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/ ٤٠١).

(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٥).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٥).

(٥) الضعفاء والمتروكين (٥٧٦).

(٦) العلل ومعرفة الرجال (٢٣٢٤).

فِتْنَةٌ، يُحَصَّلُ النَّاسُ فِيهَا كَمَا يُحَصَّلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ، فَلَا تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّام، وَلَكِنْ سُبُّوا شِرَارَهُمْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْأَبْدَالَ، يُوشِكُ أَنْ يُرْسَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّام سَبَبٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَهُمْ، حَتَّى لَوْ قَاتَلَهُمُ الثَّعَالِبُ غَلَبَتْهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ خَارِجٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي ثَلَاثِ رَايَاتٍ، الْمُكْثِرُ يَقُولُ: هُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا. وَالْمُقِلُّ يَقُولُ: هُمُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا. أَمَارَتُهُمْ: أَمِتْ! أَمِتْ! يَلْقَوْنَ سَبْعَ رَايَاتٍ، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ مِنْهَا رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمُلْكَ، فَيَقْتُلُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، وَيَرُدُّ اللَّهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أُلْفَتَهُمْ، وَنِعْمَتَهُمْ، وَقَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ»[(١)].

هذا الحديث رواه الطبرانيُّ. وفيه ابن لهيعة.

ورواه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح الإسناد.

ولم يخرج في روايته: «**ثم يظهر الهاشمي، فيرد الله الناس إلى ألفتهم...**» إلى آخره[(٢)]. وليس في طريقه ابن لهيعة.

وهو إسناد صحيح كما ذكر. قاله ابن خلدون[(٣)].

وأقول: قال الإمام شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى في «الفتاوى»**: فإن أهل العلم متفقون على أن الحاكم فيه من التساهل والتسامح في باب التصحيح، حتى إن تصحيحه دون تصحيح الترمذي والدارقطني وأمثالهما بلا نزاع، فكيف بتصحيح البخاري ومسلم، بل تصحيحه دون تصحيح أبي بكر بن خزيمة وأبي حاتم البستي وأمثالهما، بل تصحيح الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالواحد

---

(١) المعجم الأوسط (٤/ ١٧٦ رقم ٣٩٠٥)، المستدرك (٤/ ٦٩٥ رقم ٨٦٨٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

(٢) بل فيه تلك الجملة، ونصها «ثُمَّ يَظْهَرُ الْهَاشِمِيُّ فَيَرُدُّ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ إِلْفَتَهُمْ وَنِعْمَتَهُمْ، فَيَكُونُونَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ الدَّجَّالُ».

(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٩٧).

المقدسي في «مختارته» خير من تصحيح الحاكم، فكتابه في هذا الباب خير من كتاب الحاكم بلا ريب عند من يعرف الحديث، وتحسين الترمذي أحيانًا يكون مثل تصحيحه أو أرجح، وكثيرًا ما يصحح الحاكم أحاديث يجزم بأنها موضوعة لا أصل لها[(١)]. انتهى.

ومنه تعلم أن ما انفرد الحاكم بتصحيحه لا يعتد به.

وأما ابن لهيعة فهو على ما في «**الميزان**»[(٢)]:

عبدالله بن لهيعة بن عُقبة الحضرميُّ، أبو عبدالرحمن، قاضي مصر وعالمها.

قال ابن معين: ضعيف، لا يحتج به[(٣)].

وقال يحيى بن بكير: احترق منزل ابن لهيعة وكتبه سنة سبعين ومائة.

وقال ابن معين: هو ضعيف قبل أن تحرق كتبه وبعد احتراقها.

وقال ابن وهب: كان ابن لهيعة صدوقًا.

وقال يحيى بن سعيد: قال لي بشر بن السريِّ: لو رأيت ابن لهيعة لم تحمل عنه حرفًا[(٤)].

وقال أحمد بن زهير، عن يحيى: ليس حديثه بذاك القويِّ.

وقال أبو زرعة وأبو حاتم: أمره مضطرب، يكتب حديثه للاعتبار[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٢٦).
(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٧٥).
(٣) تاريخ ابن معين، رواية الدارمي والدوري (٥٣٣، ٥٣٨٨).
(٤) الجرح والتعديل (٥/ ١٤٦).
(٥) الجرح والتعديل (٥/ ١٤٧).

وقال الجوزجانيُّ: لا نُور على حديثه، ولا ينبغي أن يحتج به.

قال الذهبيُّ: ولي ابن لهيعة القضاء بمصر للمنصور سنة خمس وخمسين ومائة، فبقي تسعة أشهر[١].

قال في «الخلاصة»: قال يحيى بن بكير: مات سنة أربع وسبعين ومائة، قرنه مسلم بآخر[٢] وروى له البخاريُّ والنسائيُّ، ولم يصرحا باسمه[٣].

وهذا الحديث ليس فيه ذكر «المَهْدِيّ».

الحديث العاشر:

عن أبي هريرة قال: حدثني أبو القاسم ﷺ قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَضْرِبَهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ**» قَالَ: قُلْتُ: وَكَمْ يَمْلِكُ؟ قَالَ: «**خَمْسٌ وَاثْنَانِ**» قَالَ: قُلْتُ: مَا خَمْسٌ وَاثْنَانِ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي[٤].

هذا الحديث خرجه أبو يعلى الموصليُّ.

وليس فيه ذكر «المَهْدِيّ» بل حمله العلماء عليه.

وفي سنده «بشير بن نَهِيك السدوسي» بكسر الهاء أبو الشعثاء البصري. أحد التابعين.

قال الذهبيُّ: ثقة[٥]. وثقه العجليُّ والنسائيُّ[٦].

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٧٨).
(٢) رجال صحيح مسلم (٨٥١).
(٣) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (٢١١).
(٤) مسند أبي يعلى (١٢/ ١٩ رقم ٦٦٦٥).
(٥) ميزان الاعتدال (١/ ٣٣١).
(٦) الثقات للعجلي (١٥٨) ووثقه الدارقطني (سؤالات الدارقطني ٥٤، ٥٥).

وقال أبو حاتم: لا يحتج بحديثه[(١)].

قال في مقدمة «الفتح»[(٢)]: من كبار التابعين، له في البخاريِّ حديثان عن أبي هريرة[(٣)].

وفيه (مرجَّى بن رجاء)[(٤)] **اليشكريُّ.**

قال ابن خلدون: مختلف فيه[(٥)].

قال أبو زرعة: ثقة[(٦)].

وقال يحيى بن معين: ضعيف[(٧)].

وقال أبو داود: ضعيف. ومرة قال: صالح[(٨)].

وعلق له البخاريُّ في «صحيحه» حديثًا واحدًا[(٩)].

الحديث الحادي عشر:

عن أم سلمة قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**»[(١٠)].

هذا الحديث رواه أبو داود عن أم سلمة، من طريق عليِّ بن نُفيل.

---

(١) الجرح والتعديل (٢/ ٣٨٠).
(٢) هدي الساري (١/ ٣٩٣).
(٣) وروى له مسلم أيضًا (رجال صحيح مسلم ١٤٢، رجال صحيح البخاري ١٤٠).
(٤) في الأصل: «رجاء بن أبي رجاء» وهو خطأ.
(٥) تاريخ ابن خلدون (١/ ٤٠٠).
(٦) الجرح والتعديل (٨/ ٤١٢).
(٧) تاريخ ابن معين، رواية الدوري (٤٠٦١).
(٨) ميزان الاعتدال (٤/ ٨٧).
(٩) هدي الساري (١/ ٤٥٨).
(١٠) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (رقم ٤٢٨٤) وصححه الألباني.

قال في «شرح سنن أبي داود»[(١)] قال المنذريُّ[(٢)]: وأخرجه ابن ماجه ولفظه «**مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**»[(٣)].

وفي حديث أبي داود: قال عبدالله بن جعفر، وهو الرَّقِّيُّ: وسمعت أبا المليح - يعني الحسن بن عمر الرَّقِّيَّ - يُثني على عليٍّ بن نفيل، ويذكر منه صلاحًا.

وقال أبو حاتم الرازيُّ: عليُّ بن نفيل، جدُّ النُّفَيليِّ، لا بأس به[(٤)].

وقال أبو جعفر العقيليُّ: عليُّ بن نُفيل حرَّانيٌّ، هو جد النُّفيليِّ، عن سعيد بن المسيب في المَهْدِيّ: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به. وساق هذا الحديث وقال: في «المَهْدِيّ» أحاديث خيار من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ[(٥)]. بلفظ «رجل من أهل بيته» على الجملة مجملًا[(٦)]. هذا آخر كلامه.

وفي إسناد هذا الحديث أيضًا زياد بن بيان.

قال الحافظ أبو أحمد بن عدي: زياد بن [بيان، سمع] عليَّ بن نُفيل جدَّ النُّفيليِّ. في إسناده نظر، سمعت ابن حماد يذكره عن البخاريِّ[(٧)]. وساق الحديث.

---

(١) عون المعبود (١١/ ٢٥٢).
(٢) مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٥٩).
(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: خروج المهدي (رقم ٤٠٨٦) ولفظه «**الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**» وصححه الألباني.
(٤) الجرح والتعديل (٦/ ٢٠٦).
(٥) الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٥٣ رقم ١٢٥٧).
(٦) مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٦٠).
(٧) الكامل (٤/ ١٤٤ رقم ٦٩٧).

وقال البخاريُّ: إنما أنكر من حديث زياد بن بيان هذا الحديث، وهو معروف به. هذا آخر كلامه.

وقال غيره: وهو كلام غير معروف من كلام سعيد بن المسيب، والظاهر أن زياد بن بيان وهم في رفعه. انتهى كلام المنذريِّ[(١)].

قال الحافظ الذهبيُّ في «الميزان»: زياد بن بيان لم يصح حديثه[(٢)]. ثم ذكر هذا الحديث.

الحديث الثاني عشر:

عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**»[(٣)].

هذا الحديث خرجه أبو داود.

قال المنذريُّ[(٤)]: في إسناده عمران القطان، وهو أبو العوام عمران بن داوَر القطان البصريُّ. استشهد به البخاريُّ[(٥)]، ووثقه عفان بن مسلم[(٦)]، وأحسن عليه الثناء يحيى بن سعيد القطان[(٧)] وضعفه يحيي بن معين[(٨)] والنسائيُّ[(٩)]. انتهى.

(١) مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٦٠).
(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٨٧).
(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (رقم ٤٢٨٥) وحسنه الألباني.
(٤) مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٦٠ ـ ١٦١).
(٥) صحيح البخاري (رقم ٤١٢٥).
(٦) الكامل لابن عدي (٦/ ١٦٢).
(٧) الكامل لابن عدي (٦/ ١٦٢).
(٨) تاريخ ابن معين، رواية ابن محرز (١/ ٦٩).
(٩) الكامل لابن عدي (٦/ ١٦٢).

وفي «الخلاصة»: قال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث[(١)]. انتهى.

وقال الذهبيُّ في «الميزان»[(٢)]: قال أبو داود: ضعيف؛ أفتى في أيام إبراهيم بن عبدالله بن حسن بفتوى شديدة، فيها سفك الدماء[(٣)].

وقال ابن عديٍّ: هو ممن يكتب حديثه[(٤)].

وقال يزيد بن زُرَيع: كان حروريًّا؛ يرى السيف[(٥)].

وروى عباس عن يحيى قال: كان عمران القطان يرى رأي الخوارج، ولم يكن داعية[(٦)].

قلت: وهذا الحديث رواه عمران القطان عن قتادة بن دعامة، وقد سبق ذكره، ورواه عن عمرانَ سَهْلُ بْنُ تَمَّامِ بْنِ بَزِيعٍ، بفتح الموحدة وكسر الزاي.

قال أبو زرعة: ربما وهم في الشيء، ولم يكن يكذب[(٧)]. قاله في «الميزان»[(٨)].

الحديث الثالث عشر:

عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نَحْنُ وَلَدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنَا، وَحَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَجَعْفَرٌ،**

---

(١) العلل ومعرفة الحديث (٣٩٨٩).
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٣٦).
(٣) سؤالات الآجري لأبي داود (٥٠٣).
(٤) الكامل لابن عدي (٦/ ١٦٤).
(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٣٧).
(٦) تاريخ ابن معين، رواية الدوري (٣٥٩٨).
(٧) الجرح والتعديل (٤/ ١٩٤).
(٨) ميزان الاعتدال (٢/ ٢٣٧).

وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَالْمَهْدِيُّ»[(١)].

هذا الحديث خرجه ابن ماجه من رواية سعد بن عبدالحميد، عن عليٍّ بن زياد اليماميِّ، عن عكرمة بن عمار، عن إسحاق بن عبدالله، عن أنس.

وسعد بن عبدالحميد:

قال الذهبيُّ في «الميزان»[(٢)]: قال ابن معين: ليس به بأس[(٣)].

وقال ابن حبان: كان ممن فحش خطؤه، فلا يحتج به[(٤)]. انتهى.

وقال أيضًا: عليُّ بن زياد اليماميُّ عن عكرمة بن عمار، لا يُدرَى من هو، روى عنه سعد بن عبدالحميد[(٥)]. انتهى.

قلت: فتبين أن سعد بن عبدالحميد لا يُحتج به لفحش غلطه، وكذا عليُّ بن زياد لجهالته.

وأما ابن عمار:

فقال الذهبيُّ في «الميزان»[(٦)]: روى أبو حاتم عن ابن معين: كان أميًّا حافظًا[(٧)].

وقال أبو حاتم: صدوق، ربما يهم[(٨)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: خروج المهدي (رقم ٤٠٨٧) وقال الألباني: موضوع.
(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ١٢٤).
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨١).
(٤) المجروحين (١/ ٣٥٧).
(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٧).
(٦) ميزان الاعتدال (٣/ ٩٠ ـ ٩٣).
(٧) الجرح والتعديل (٧/ ١١).
(٨) الجرح والتعديل (٧/ ١١).

وقال أحمد بن حنبل: ضعيف الحديث[١].

قال في «الخلاصة»: مات سنة تسع وخمسين ومائة[٢].

وقال الحافظ العسقلانيُّ في «**طبقات المدلسين**»: عكرمة بن عمار اليماميُّ من صغار التابعين، وصفه أحمد والدارقطني بالتدليس[٣]. انتهى.

قلت: والمدلس ما يقبل حديثه عند علماء الحديث إلا أن يصرح بالسماع. والله أعلم.

الحديث الرابع عشر:

عن عبدالله بن الحارث بن جَزءٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَيُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِيِّ**» يَعْنِي سُلْطَانَهُ[٤].

هذا الحديث خرجه ابن ماجه من طريق ابن لهيعة إلى أبي عبدالله بن الحارث بن جَزْءٍ الزُّبيديِّ.

وقد تقدم الكلام في ابن لهيعة وأنه ضعيف، وسيأتي ذكره أيضًا.

الحديث الخامس عشر:

عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، إِنْ قَصُرَ فَسَبْعٌ، وَإِلاَّ فَثَمَانٍ، وَإِلاَّ فَتِسْعٌ، تَنْعَمُ فِيهَا أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا، يُرْسِلُ اللهُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَلاَ تَدَّخِرُ الْأَرْضُ بِشَيْءٍ مِنَ**

(١) الكامل (٦/ ٤٧٨).

(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (١/ ٢٧٠).

(٣) طبقات المدلسين (٨٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: خروج المهدي (رقم ٤٠٨٨) وضعفه الألباني.

النَّبَاتِ، وَالْمَالُ كُدُوسٌ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ، أَعْطِنِي. فَيَقُولُ: خُذْ»[(١)].

هذا الحديث خرجه البزار في «مسنده»[(٢)]، والطبرانيُّ في «معجمه الأوسط» من طريق محمد بن مروان العجليِّ.

قال الطبرانيُّ[(٣)] والبزار: تفرد به محمد بن مروان العجليُّ.

زاد البزار: ولا نعلم أنه تابعه عليه أحد[(٤)].

قال ابن خلدون[(٥)]: وهو، وإن وثقه أبو داود وابن حبان أيضًا بما ذكره في الثقات.

وقال يحيى بن معين: صالح[(٦)].

وقال مرة: ليس به بأس.

فقد اختلفوا فيه[(٧)].

وقال أبو زرعة: ليس عندي بذلك[(٨)].

قال في «الميزان»[(٩)]: قال أبو داود: صدوق. ولينه

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٣١١ رقم ٥٤٠٦).

(٢) رواه البزار بنحوه كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٣٣٢٦).

(٣) لفظ الطبراني: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ، تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو بُرَيْدٍ. يعني الراوي عن محمد بن مروان.

(٤) انظر: «كشف الأستار» (٤/ ١١٤).

(٥) تاريخ ابن خلدون (١/ ٤٠٠).

(٦) الجرح والتعديل (٨/ ٨٦).

(٧) هذا من بقية كلام ابن خلدون.

(٨) الجرح والتعديل (٨/ ٨٦).

(٩) ميزان الاعتدال (٤/ ٣٣).

أحمد[١]. انتهى. والله أعلم.

الحديث السادس عشر:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْعَبَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ إِذْ تَلَاحَى الْعَبَّاسُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَغْلَظَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْعَبَّاسِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِ الْعَبَّاسِ وَيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: «سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا فَتًى يَمْلَأُ الْأَرْضَ جَوْرًا وَظُلْمًا، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا فَتًى يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَعَلَيْكُمْ بِالْفَتَى التَّمِيمِيِّ، فَإِنَّهُ يُقْبِلُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَهُوَ صَاحِبُ رَايَةِ الْمَهْدِيِّ»[٢].

هذا الحديث خرجه الطبرانيُّ في «الأوسط».

وفيه ابن لهيعة، وقد تقدم ذكره، وما قاله العلماء في روايته، ويأتي لذلك تتمة فانتظرها. والله أعلم.

الحديث السابع عشر:

عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُ اللهُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ**»[٣].

---

(١) قال عبدالله بن أحمد: قال أبي: ورأيت محمد بن مروان العقيلي، وحدث بأحاديث، وأنا شاهد، فلم أكتبها، وكتبها أصحابنا، وكان يروي عن عمارة بن أبي حفصة، تركته على عمد، ولم أكتب عنه شيئًا. كأنه ضعفه. قال أبي: قد حدث عنه ابن مهدي (العلل ومعرفة الرجال ٤٥٦٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥٦/٤ رقم ٤١٣٠) قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ، وَفِيهِ لِينٌ، وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ مُنْكَرٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْتَقْبِلُ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ، وَخَاصَّةً عَمَّهُ الْعَبَّاسَ الَّذِي قَالَ فِيهِ إِنَّهُ صِنْوُ أَبِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (مجمع الزوائد ٣١٨/٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: خروج المهدي (رقم ٤٠٨٥)، والإمام=

هذا الحديث خرجه ابن ماجه من رواية ياسين العجلي، عن إبراهيم بن محمد ابن الحنفية، عن أبيه، عن جده.

قال ابن خلدون: وياسين العجليُّ، وإن قال فيه ابن معين: لا بأس به[(١)]. فقد قال البخاريُّ: فيه نظر[(٢)]. وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية في التضعيف جدًّا. وأورد له ابن عديٍّ في «الكامل»[(٣)] والذهبيُّ في «الميزان»[(٤)] هذا الحديث على وجه الاستنكار له، وهو معروف به[(٥)]. انتهى.

قلت: **الذي في «الميزان»**: «يصلحه في ليلة». والله أعلم.

الحديث الثامن عشر:

عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمِنَّا الْمَهْدِيُّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلْ مِنَّا، بِنَا يَخْتِمُ اللهُ كَمَا بِنَا فَتَحَ، وَبِنَا يُسْتَنْقَذُونَ مِنَ الشِّرْكِ، وَبِنَا يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عَدَاوَةٍ بَيِّنَةٍ، كَمَا بِنَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عَدَاوَةِ الشِّرْكِ» قَالَ عَلِيٌّ: أَمُؤْمِنُونَ أَمْ كَافِرُونَ؟ فَقَالَ: «مَفْتُونٌ وَكَافِرٌ»[(٦)].

= أحمد في «المسند» (٢/ ٧٤ رقم ٦٤٥) وصححه الشيخ شاكر (المسند ١/ ٤٤٤ رقم ٦٤٥) وحسنه الألباني.

(١) تاريخ ابن معين، رواية الدوري (٤٠٢).

(٢) الضعفاء للعقيلي (٨/ ٥٣٧).

(٣) الكامل (٨/ ٥٣٧ _ ٥٣٨).

(٤) ميزان الاعتدال (٤/ ٣٥٩).

(٥) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٩٦).

(٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٥٦ رقم ١٥٧) قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ الْحَضْرَمِيُّ، وَهُوَ كَذَّابٌ (مجمع الزوائد ٧/ ٣١٧).

هذا الحديث خرجه الطبراني في «الأوسط».

قال ابن خلدون[١] **وفيه ابن لهيعة**، وهو ضعيف، معروف الحال.

وفيه [عمرو بن] جابر الحضرميُّ.

وهو أضعف منه.

قال أحمد بن حنبل: وروى عن جابر مناكير، وبلغني أنه كاذب يكذب[٢].

وقال النسائيُّ: ليس بثقة[٣].

(وقال ابن لهيعة: كان)[٤] شيخًا أحمق ضعيف العقل، وكان يقول: عليٌّ في السحاب. وكان يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول: هذا عليٌّ قد مر في السحاب[٥]. انتهى.

قلت: وهذا الكلام يشهد لما في «الميزان»[٦] عن بشر بن المنذر قال: كان ابن لهيعة يكنى «أبا خريطة» وذلك أنه كان له خريطة معلقة في عنقه، وكان يدور بمصر، وكلما قدم قوم كان يدور عليهم ويسألهم[٧].

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٩٧).
(٢) العلل ومعرفة الرجال (٤٦٤٤، ٤٦٤٥).
(٣) الضعفاء والمتروكين (٤٤٧).
(٤) في «تاريخ ابن خلدون» والأصل: «وقال: كان ابن لهيعة» وهو خطأ.
(٥) الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٦٣ رقم ١٢٦٩).
(٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٨٢).
(٧) قال ابن حبان: حَدثنِي شكر قَالَ: حَدثنَا يُوسُف بن سعيد بن مُسلم عَن بشر بن المنذر قَالَ: كَانَ ابن لَهِيعَة يكنى «أَبَا خريطة» ذَاك أنه كَانَت لَهُ خريطة معلقَة فِي عُنُقه، فَكَانَ يَدُور بِمصْر، فَكلما قدم قوم كَانَ يَدُور عَلَيْهِم، فَكَانَ إِذا رأى شَيخًا لَهُ سَأَلَهُ: من لَقيته؟ وَعَمن كتبت؟ فَإِذا وجد عِنْده شَيْئا كتب عَنهُ، فَلذَلِك كَانَ يكنى «أَبَا خريطة» (المجروحين ٢/ ١١ ـ ١٢) فبان من أصل الحكاية أنه لا علاقة لها برأيه في عليٍّ.

وقال ابن عديٍّ في ابن لهيعة إنه مفرط في التشيُّع[(١)].

وقد سبق التعريف بحال ابن لهيعة بأوضح مما هنا. والله أعلم.

الحديث التاسع عشر:

عن أبي سعيد الخدريِّ قال: **خَشِينَا بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثًا، فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا» ـ زَيْدٌ الشَّاكُّ ـ قَالَ: قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: سِنِينَ قَالَ: فَيَجِيءُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي قَالَ: فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ»**[(٢)].

هذا الحديث خرجه الترمذيُّ وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد، من طريق زيد العَمِّيِّ عن أبي الصدِّيق الناجي.

ولفظ ابن ماجه والحاكم فيه مخالفة يسيرة لهذا اللفظ.

و«**زيد العَمِّيُّ**»[(٣)] هو «**زيد الحواريُّ**» بفتح المهملة «**العَمِّيُّ**» بفتح العين «**أبو الحواريُّ البصريُّ**» قاضي هَرَاةَ.

---

(١) لم أجد في كلام ابن عديٍّ نسبة التشيع لابن لهيعة، بل ترجم له وذكر أقوال أهل العلم فيه، وأخرج له أحاديث، ثم قال: وَعَبد اللَّهِ بن لَهِيعَة له من الروايات والحديث أضعاف ما ذكرت، وحديثه أحاديث حسان، وما قد ضعفه السلف هو حسن الحديث يكتب حديثه، وقد حدث عن الثقات الثَّوْريّ وشُعبة ومالك وعَمْرو بن الحارث والليث بن سعد... وهذا الذي ذكرت لابن لَهِيعَة من حديثه وبينت جزءًا من أجزاء كثيرة مما يرويه ابن لَهِيعَة عن مشايخه، وحديثه حسن كأنه يستبان عَمَّن روى عنه، وَهو ممن يكتب حديثه (الكامل ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٥٢ رقم ٩٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن (رقم ٢٢٣٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: خروج المهدي (رقم ٤٠٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠١ رقم ٨٦٧٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٧/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ رقم ١١١٦٣) وحسنه الألباني.

(٣) سمي «زيد العمي» لأنه كلما سئل عن شيء قال: حتى أسأل عمي (الجرح والتعديل ٣/ ٥٦١).

قال الذهبيُّ في «الميزان»[(١)]:

قال ابن معين: صالح.

وقال مرة: لا شيء[(٢)].

وقال مرة: ضعيف، يُكتب حديثه.

وقال الدارقطنيُّ: صالح[(٣)].

وضعفه النسائيُّ.

وقال أبو حاتم: [ضعيف] يكتب حديثه. يعني: ولا يحتج به[(٤)].

وأبو الصديق الناجي:

قال الذهبيُّ في «الميزان»[(٥)]: صدوق. اسمه «بكر بن عمرو».

وقال ابن سعد: يتكلمون في أحاديثه ويستنكرونها[(٦)].

وقال غيره: ثقة[(٧)].

تابعيٌّ، محتج به في «الصحيح»[(٨)].

قال في «الخلاصة»: مات سنة ثمان ومائة، له في البخاريِّ حديث واحد[(٩)].

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ١٠٢).

(٢) الجرح والتعديل (٣/ ٥٦٠).

(٣) الضعفاء والمتروكين (٣٣٨).

(٤) لفظ أبي حاتم: ضعيف الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به (الجرح والتعديل ٣/ ٥٦٠).

(٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٩).

(٦) الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢٦).

(٧) قاله أبو زرعة الرازي وابن معين (الجرح والتعديل ٢/ ٣٩٠).

(٨) رجال صحيح البخاري (١٣٦)، رجال صحيح مسلم (١٥٠).

(٩) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (١/ ٥٢).

الحديث العشرون:

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: [لَوْ لَمْ] أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْلُ[(١)] أَهْلِ الْبَيْتِ مَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ! قَالَ: فَقَالَ مُجَاهِدٌ: فَإِنَّهُ [فِي] سِتْرٍ، لاَ أَذْكُرُهُ لِمَنْ [تكْرَهُ]. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَرْبَعَةٌ: مِنَّا السَّفَّاحُ، وَمِنَّا الْمُنْذِرُ، وَمِنَّا الْمَنْصُورُ، وَمِنَّا الْمَهْدِيُّ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ مُجَاهِدٌ: فَبَيِّنْ لِي هَؤُلاَءِ الأَرْبَعَةَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا السَّفَّاحُ فَرُبَّمَا قَتَلَ أَنْصَارَهُ وَعَفَا عَنْ عَدُوِّهِ. وَأَمَّا الْمُنْذِرُ، أُرَاهُ قَالَ: فَإِنَّهُ يُعْطِي الْمَالَ الْكَثِيرَ، لاَ يَتَعَاظَمُ فِي نَفْسِهِ وَيُمْسِكُ الْقَلِيلَ مِنْ حَقِّهِ. وَأَمَّا الْمَنْصُورُ فَإِنَّهُ يُعْطَى النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ الشَّطْرَ مِمَّا كَانَ يُعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ، وَالْمَنْصُورُ يُرْهَبُ عَدُوُّهُ مِنْهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ. وَأَمَّا الْمَهْدِيُّ فَإِنَّهُ الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، وَتَأْمَنَ الْبَهَائِمُ وَالسِّبَاعُ وَتُلْقِي الأَرْضُ أَفْلاَذَ كَبِدِهَا. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا أَفْلاَذُ كَبِدِهَا؟ [قَالَ]: أَمْثَالُ الأُسْطُوَانَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ[(٢)].

هذا الحديث خرجه الحاكم في «المستدرك» من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفًا عليه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[(٣)].

قال ابن خلدون[(٤)]: وهو من رواية (إسماعيل بن مهاجر عن أبيه)[(٥)]

(١) في الأصل: «من».
(٢) المستدرك (٤/ ٥٥٩ رقم ٨٥٦٨).
(٣) وتعقبه الذهبي فقال: أين منه الصحة وإسماعيل مجمع على ضعفه! وأبوه ليس بذاك!
(٤) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٩٩).
(٥) لفظ ابن خلدون: «إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه» وهو أوضح.

وإسماعيل ضعيف[١] وإبراهيم أبوه وإن خرج له مسلم[٢] فالأكثرون على تضعيفه[٣]. انتهى.

وقال الذهبيُّ في «الميزان»[٤]: إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجليُّ الكوفيُّ، عن أبيه وعبدالملك بن عمير، وعنه أبو نعيم وطائفة. ضعفه غير واحد.

وقال [البخاريُّ]: في حديثه نظر[٥].

وقال أحمد: أبوه أقوى منه[٦].

وقال في ترجمة أبيه[٧]: قال يحيى بن سعيد: لم يكن بالقويِّ[٨].

وقال أحمد: لا بأس به[٩].

وقال ابن عديٍّ: يكتب حديثه في الضعفاء[١٠]. انتهى.

---

(١) ضعفه ابن معين (التاريخ، رواية الدارمي ١٤٤)، والنسائي (الكامل ١/ ٤٦٥ رقم ١٢٤) والدارقطني (السنن ٣/ ٥٨).

(٢) رجال صحيح مسلم (٤٦).

(٣) قال الحاكم: قلت للدارقطني: إبراهيم بن المهاجر؟ فقال: ضعفوه، تكلم فيه يحيى القطان وغيره. قلت: بحجة؟ قال: بلى، حدث بأحاديث لا يتابع عليها، قد غمزه شعبة أيضًا (سؤالات الحاكم ٢٧٢)، ولين الإمام أحمد أمره (سؤالات المروذي ٨٥)، وقال ابن حبان: مُنكر الْحَدِيث جدًّا (المجروحين ١/ ١٠٨ رقم ١٨).

(٤) ميزان الاعتدال (١/ ٢١٢).

(٥) التاريخ الكبير (١/ ٣٤٢ رقم ١٠٧٩).

(٦) العلل ومعرفة الرجال (٢٥١٢).

(٧) ميزان الاعتدال (١/ ٦٧).

(٨) الجرح والتعديل (٢/ ١٣٣).

(٩) الجرح والتعديل (٢/ ١٣٣).

(١٠) لفظه: إبراهيم بن مهاجر أحاديثه صالحة، يحمل بعضها بعضًا، ويشبه بعضها بعضًا، وهو عندي أصلح من إبراهيم الهجري، وحديثه يُكتب في الضعفاء (الكامل ١/ ٣٥١ رقم ٥٩).

وأما مجاهد فهو ابن جَبر، بإسكان الموحدة، مولى السائب بن أبي السائب، أبو الحجاج المكيُّ المقرئ الإمام المفسر، عن ابن عباس، وقرأ عليه.

قال الذهبيُّ في «تذكرة الحفاظ»: قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية أسأله؛ فيم نزلت وكيف كانت(١).

وفي «الخلاصة»(٢) **و«الميزان»**(٣): أنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة(٤). قال ابن حبان: مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة، وهو ساجد(٥). ومولده سنة إحدى وعشرين. كما في «الخلاصة» وغيرها.

الحديث الحادي والعشرون:

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لاَ يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ**» ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ [اللَّهِ] الْمَهْدِيُّ**»(٦).

هذا الحديث خرجه ابن ماجه.

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٧١).

(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (١/ ٣٦٩).

(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٩).

(٤) الجرح والتعديل (٨/ ٣١٩).

(٥) الثقات (٥/ ٤١٩ رقم ٥٤٩٣).

(٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: خروج المهدي (رقم ٤٠٨٤) وضعفه الألباني.

قال ابن خلدون: ورجاله رجال الصحيحين، **إلا أن فيه أبا قلابة الجَرْمِيَّ**، وذكر الذهبيُّ وغيره أنه مدلس[(١)].

وفيه سفيان الثوريُّ، وهو مشهور بالتدليس[(٢)].

وكل واحد منهما عنعن، ولم يصرح بالسماع فلا يقبل.

وفيه عبدالرزاق بن همام، وكان مشهورًا بالتشيع، وعَمِيَ في آخر وقته فخلط.

قال ابن عديٍّ: حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافِقه عليها أحد، ونسبوه إلى التشيع[(٣)]. انتهى.

قلت: أبو قلابة الجَرْمِيُّ هو عبدالله بن زيد.

قال أيوب: أبو قلابة من الفقهاء ذوي الألباب[(٤)].

قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث[(٥)].

قال خليفة: مات بالشام سنة أربع ومائة[(٦)]. وقيل: سنة ست. وقيل: سنة سبع. كذا في «الخلاصة»[(٧)].

وسفيان الثوريُّ هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق، أحد الأئمة الأعلام، ذكره الحافظ ممن احتمل الأئمة تدليسه[(٨)].

---

(١) لفظه: ثقة في نفسه، إلا أنه يدلس عمن لحقهم وعمن لم يلحقهم، وكان له صحف يحدث منها ويدلس (ميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٦).
(٢) طبقات المدلسين (٥٨).
(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٩٩).
(٤) الجرح والتعديل (٥/ ٥٨).
(٥) الطبقات الكبرى (٧/ ١٨٣).
(٦) طبقات خليفة (١/ ٣٦١ رقم ١٧٣٠).
(٧) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (١/ ١٩٨).
(٨) طبقات المدلسين (٥٨).

وأخرجوا له في «الصحيحين»[(١)] لإمامته، وقلة تدليسه في جنب ما روى.

قال في «الخلاصة»: توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، ومولده سنة سبع وسبعين[(٢)].

وعبدالرزاق بن همام الصنعانيُّ أحد الأعلام الحفاظ.

قال[(٣)]: من سمع منه من بعدما ذهب بصره فهو ضعيف السماع[(٤)].

وقال ابن عديٍّ: رحل إليه أئمة المسلمين وثقاتهم، ولم نر بحديثه بأسًا، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع[(٥)].

وقال أحمد: لم أسمع منه شيئًا، ولكنه رجل يعجبه أخبار الناس[(٦)].

وقال الحافظ في «طبقات المدلسين»: وقد نسبه - يعني عبدالرزاق

---

(١) رجال صحيح البخاري (٤٦٢)، رجال صحيح مسلم (٦١٤).

(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (١/ ١٤٥).

(٣) القائل هو الإمام أحمد.

(٤) لفظه: أتينا عبدالرزاق قبل المائتين، وهو صحيح البصر، ومن سمع منه بعدما ذهب بصره فهو ضعيف السماع (تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٤٥٧).

(٥) لفظه: لعبدالرَّزَّاق بْن همام أصناف وحديث كَثِير، وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم، وكتبوا عَنْهُ، ولم يروا بحديثه بأسًا، إِلَّا أنهم نسبوه إِلَى التشيع، وقد روى أحاديث فِي الفضائل مما لا يوافقه عَلَيْهَا أحد من الثقات، فهذا أعظم ما رموه به من روايته لهذه الأحاديث، ولما رواه فِي مثالب غيرهم مما لم أذكره فِي كتابي هَذَا، وأما فِي باب الصدق فأرجو أنه لا بأس به، إِلَّا أنه قد سبق منه أحاديث فِي فضائل أهل البيت ومثالب آخرين مناكير (الكامل ٦/ ٥٤٥ رقم ١٤٦٣).

(٦) قال عبدالله: سألت أبي قلت له: عبدالرزاق كان يتشيع ويفرط في التشيع؟ فقال: أما أنا فلم أسمع منه في هذا شيئًا، ولكن كان رجلًا تعجبه أخبار الناس، أو الأخبار (العلل ومعرفة الرجال ١٥٤٥).

ـ بعضهم إلى التدليس. وقد جاء عن عبدالرزاق التبرؤ من التدليس، قال: حججت، فمكثت ثلاثة أيام لا يجيئني أصحاب الحديث، فتعلقت بالكعبة فقلت: يا رب، أكذاب أنا! أمدلِّس أنا! أبقية بن الوليد أنا! فرجعت إلى البيت فجاؤوني. ويحتمل أن يكون نفى الإكثار من التدليس، بقرينة ذكره بقية بن الوليد[(١)].

توفي في شوال سنة إحدى عشرة ومائتين[(٢)].

ثم اعلم أن قوله في هذا الحديث: «**فإنه خليفة الله المَهْدِيُّ**» إن كان ثابتًا عن النبيِّ ﷺ فهو حق، والحق فيما قاله النبيُّ ﷺ، وإلا فقد قال شيخ الإسلام وحافظ الأمة ـ الذي قال فيه ابن دقيق العيد: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ـ أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، في آخر الجزء الثاني من «الفتاوى» ما نصه:

والخليفة هو من كان خَلَفًا عن غيره «فَعِيلة» بمعنى «فاعلة».

قال: والمراد بالخليفة أنه خلَف مَن كان قبله من الخلق.

قال: وقد ظن بعض القائلين الغالطين ـ كابن عربيٍّ ـ أن الخليفة هو الخليفة عن الله، مثل نائب الله.

قال: والله لا يجوز له خليفة، ولهذا قالوا لأبي بكر: «يا خليفة الله!» فقال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك. بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا**»[(٣)]، وذلك لأن الله تعالى حيٌّ، شهيد، مهيمن،

---

(١) طبقات المدلسين (٥٨).

(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٦١٤).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب: ما يقول إذا ركب دابة (رقم ٣٤٤٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وصححه الألباني.

قيوم، رقيب، حفيظ، غنيٌّ عن العالمين، ليس له شريك ولا ظهير، ولا يشفع عنده إلا بإذنه. والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلِف بموت أو غَيبة، ويكون لحاجة المستخلِف إلى الاستخلاف.

وسمي خليفة لأنه خلَف عن الغزو، وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، وهو منزَّه عنها، فإنه حيٌّ قيوم شهيد، لا يموت ولا يغيب.

قال: ولا يجوز أن يكون أحدٌ خَلَفًا منه، ولا يقوم مقامه، لأنه لا سَمِيَّ له، ولا كفؤ له، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به[١]. انتهى باختصار.

وهذه الأحاديث التي ذكرناها هي أشهر ما يستدل به العلماء على القول بخروج المَهْدِيِّ آخر الزمان.

ولما ذكر ابن خلدون جملة من الأحاديث الواردة في ذلك قال: فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المَهْدِيِّ وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيتَ لم يخلُص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه[٢]. انتهى.

وقد تعقبه العلامة الهنديُّ في شرح «سنن أبي داود» حيث قال: وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف، وقد بالغ الإمام المؤرخ عبدالرحمن ابن خلدون المغربيُّ في «تاريخه» في تضعيف أحاديث المَهْدِيِّ كلها، فلم يصب، بل أخطأ[٣]. انتهى.

وأقول: قول العلامة الهنديِّ في هذه الأحاديث أقرب إلى الصواب من قول ابن خلدون بضعفها كلها، فمن صح عنده حديث عن

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤٣ ـ ٤٥).

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/ ٤٠١).

(٣) عون المعبود (١١/ ٢٤٣).

النبيِّ ﷺ منها أو من غيرها وجب عليه قبوله والاعتقاد بمدلوله، ومن علم بضعف الحديث وتيقنه لم يجب عليه شيء من ذلك. وإذا اعتبرنا هذه الأحاديث الواردة في المَهْدِيِّ بخصوصها وجدنا التي لم يصرَّح فيها باسمه أقوى، ورأينا الضعف غالبًا على ما ذُكر فيها اسمه.

ولهذا قلت في «الكواكب» لما قال السَّفَّارينيُّ (فكُلُّها صَحَّت بها الأخبارُ)[1]: أي بأكثرها، فإن الأحاديث التي فيها ذكر المَهْدِيِّ لم تصح عند علماء الحديث[2]. ولم أقل (الواردة في شأن المَهْدِيِّ) ليشمل التعميم ما ذُكر فيها اسمه وما لم يُذكر فيها، فإن التي لم يُذكر فيها اسمه، بل ذُكر نعته، فيها القويُّ والضعيف.

ولهذا نعتقد ونجزم بخروج رجل من أهل البيت آخر الزمان اسمه «محمد بن عبدالله» يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجَورًا.

وكذلك قولنا: (فلا نعتقد بمجيء هذا المَهْدِيِّ) مرادنا به أن **هذا اللفظ غير ثابت، فلا يجب أن نسميَ «محمد بن عبدالله» الذي يخرج في آخر الزمان «المَهْدِيَّ» بل تسميته بذلك جائزة لا واجبة؛ إذ هذا اللفظ غير ثابت عند علماء الحديث.**

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥٣).

(٢) شرح العقيدة السفارينية «الكواكب الدرية بشرح الدرة المضية» (١٦٩).

وكلام الشيخ رحمه الله هنا فيه نظر؛ وذلك لأن علماء الحديث قد حكموا على كثير من الأحاديث أنها صحيحة وحسنة، فبذلك يثبت عندهم هذا اللفظ.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر أحاديث خروج المهديِّ: وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَهْدِيَّ الَّذِي هُوَ ابْنُ الْمَنْصُورِ ثَالِثُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ، لَيْسَ هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ الْمُسْتَفِيضَةُ بِذِكْرِهِ، وَأَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا (البداية والنهاية ٩/ ٢٨٢).

وقال العلامة صديق حسن خان: الأحاديث الواردة في المهديِّ على اختلاف رواياتها كثيرة جدًّا تبلغ حد التواتر المعنويِّ، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد (الإذاعة ١١٢).

ولعل أحدًا أن يظن أن المقصود من عبارة «الكواكب» هو القول بعدم مجيء المَهْدِيِّ مطلقًا، كما هو قول بعض الأئمة[١] وليس كذلك، بل المراد ما قدمناه من أن هذا اللفظ غير ثابت، وإنما الثابت أن اسمه مواطئ لاسم النبيِّ واسم أبيه مواطئ لاسم أبيه، فالإيمان بذلك واجب على الإجمال والإطلاق، كما تقدم في الكلام على الحديث الحادي عشر أن الحافظ المنذريَّ لما ذكر حديث أم سلمة قال: في المَهْدِيِّ أحاديث خيار من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ، بلفظ: «رجل من أهل بيته» على الجملة مجملًا[٢]. انتهى.

والحاصل أن من عَلِمَ صحة حديث وجب عليه الإيمان، ومن علم بضعفه لم يجب عليه ذلك، بل اختلفوا في جواز نسبته إلى النبيِّ ﷺ.

وقد خرج جماعة من العلماء عن الاعتدال في هذه المسألة، فبالغ طائفة في الإنكار، حتى ردوا جملة من الأحاديث الصحيحة، وقابلهم آخرون فبالغوا في الإثبات، حتى قبلوا الموضوعات والحكايات المكذوبة.

فمن المبالغين في الإثبات العلامة السَّفَّارينيُّ فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد كثرت الأقوال في المَهْدِيِّ حتى قيل: «**لا مهديَّ إِلاَّ عِيسَى**»[٣].

---

(١) من هم هؤلاء الأئمة!

(٢) مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٦٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء (رقم ٤٠٣٩) وضعفه الألباني. ولفظ الحديث «لاَ يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلاَّ شِدَّةً، وَلاَ الدُّنْيَا إِلاَّ إِدْبَارًا، وَلاَ النَّاسُ إِلاَّ شُحًّا، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، وَلاَ الْمَهْدِيُّ إِلاَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ رَوَاهُ عَنْ يُونُسَ عَنِ الشَّافِعِيِّ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، لَا تَقُومُ بِإِسْنَادِهِ حُجَّةٌ، وَلَيْسَ هُوَ فِي مُسْنَدِهِ، بَلْ مَدَارُهُ عَلَى يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: حُدِّثْتُ عَنِ الشَّافِعِيِّ. وَفِي «الْخِلَعِيَّاتِ» وَغَيْرِهَا: «حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنِ الشَّافِعِيِّ» لَمْ يَقُلْ: «حَدَّثَنَا الشَّافِعِيُّ» ثُمَّ قَالَ: «عَنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْجَنَدِيِّ» وَهَذَا تَدْلِيسٌ يَدُلُّ عَلَى تَوْهِينِهِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ =

وهذا القول الذي عبر عنه بصيغة التمريض الدالة على ضعف مدخولها حديث رواه ابن ماجه عن أنس عن النبيِّ ﷺ وهو خير من الحديث الذي رواه أبو بكر الإسكاف[(١)] لأنه موضوع، أي مكذوب على الرسول ﷺ وإن رضي السَّفَّارينيُّ إسناده.

قال العلامة الهنديُّ في «شرح السنن»[(٢)]: وما رُوي مرفوعًا من رواية محمد بن المنكدر عن جابر: **«من كذب بالمَهْدِيِّ فقد كفر»**[(٣)] فموضوع، والمتهم فيه أبو بكر الإسكاف. **وربما تمسك المنكِرُون لشأن المَهْدِيِّ** بما رُوي مرفوعًا أنه قال: **«لا مهديَّ إلاَّ عِيسَى ابن مريم»** والحديث ضعفه البيهقيُّ والحاكم[(٤)]، وفيه «أبان بن صالح» وهو متروك الحديث.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «المنهاج»**: والحديث الذي فيه **«لا مهديَّ إلاَّ عِيسَى ابن مريم»** رواه ابن ماجه، وهو حديث ضعيف[(٥)]. انتهى.

ولم يقل (وهو حديث موضوع).

وبهذا التوضيح والتبيين يزول الإشكال ويتبين المراد. وبالله التوفيق.

= يَقُولُ إِنَّ الشَّافِعِيَّ لَمْ يَرْوِهِ (منهاج السنة النبوية ٤/ ١٠٢)، وقال أيضًا: وَهَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ، وَقَدِ اعْتَمَدَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الْوَلِيدِ الْبَغْدَادِيُّ وَغَيْرُهُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ مِمَّا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ يُونُسَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَالشَّافِعِيُّ رَوَاهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: «مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْجَنَدِيُّ» وَهُوَ مِمَّنْ لَا يُحْتَجُّ بِهِ. وَلَيْسَ هَذَا فِي مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الشَّافِعِيَّ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ الْجَنَدِيِّ، وَأَنَّ يُونُسَ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ الشَّافِعِيِّ (منهاج السنة النبوية ٨/ ٢٥٦).

(١) يعني حديث «من كذب بالمهديِّ فقد كفر».

(٢) عون المعبود (١١/ ٢٤٤).

(٣) لم أجده في كتب الحديث.

(٤) المستدرك (٤/ ٤٨٨ رقم ٨٣٦٣).

(٥) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٠١ ـ ١٠٢).

الفصل الثاني

في ذكر بعض من لقب نفسه بـ«المَهْدِيّ» وما آل إليه أمره

اعلم أن الأحاديث الواردة في شأن «المَهْدِيِّ» لما كانت معروفة مشهورة ادعى كثير من الناس أنه «المَهْدِيُّ» هذه الدعوة كاذبة؛ إذ منهم من لم يتم أمره، ومنهم من يملأ ما استولى عليه من الأرض ظلمًا وجَورًا لا عدلًا وقسطًا. ونحن نذكر بعضهم للتبصر والاعتبار وتتميمًا للفائدة.

فمنهم «محمد بن عبدالله المحض» الملقب بـ«النفس الزكية»(١).

ظهر في المدينة في عهد الخليفة المنصور ثاني خلفاء بني العباس.

قال صاحب كتاب «الفخريّ»(٢): كان «النفس الزكية» من سادات بني هاشم ورجالهم فضلًا وشرفًا ودينًا وعلمًا وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة ونبلًا، وكان في ابتداء الأمر قد شِيع بين الناس أنه

(١) هو: مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بن حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الهاشمي المدني أبو عبدالله. قتل سنة خمس وأربعين ومائة، وله ثلاث وخمسون. وكان خرج على المنصور، وغلب على المدينة، وتسمى بالخلافة فقتل (تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٦٥ ـ ٤٧١).

(٢) هو: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بـ«ابن الطقطقي» توفي سنة ٧٠٩هـ.

«المَهْدِيُّ» الذي بُشر به، وأثبت أبوه هذا في نفوس طوائف من الناس، وكان يروي أن الرسول ﷺ قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه مَهْدِيُّنَا أو قائمُنَا، اسمه كاسمي، واسم أبيه كاسم أبي**»[(١)].

قال: فكان عبدالله المحض يقول للناس عن ابنه محمد: هذا هو المَهْدِيُّ الذي بُشر به، هذا «محمد بن عبدالله»[(٢)].

قلت: وقد بان عدم صحة هذا القول، وتبين أن «محمد بن عبدالله» ليس هذا هو «المَهْدِيَّ المنتظر» لأن أمره لم يتم، بل أرسل إليه المنصورُ ابنَ أخيه عيسى بن موسى لقتاله، فتوجه إليه عيسى بن موسى في عسكر كثيف، فالتقوا في موضع قريب من المدينة، فكانت الغلبة لعسكر المنصور، وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة.

ومنهم «عبيد الله بن ميمون» ـ وقيل «ابن محمد» وقيل «ابن أحمد» ـ القَدَّاح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله سره في «المنهاج»: ولكن لم يوافق في الاسم واسم الأب، وهذا ادَّعى أنه من ولد «محمد بن إسماعيل»[(٣)]، وأن ميمونًا هذا هو «محمد بن إسماعيل» وأهل المعرفة بالنسب وغيرهم من علماء المسلمين يعلمون أنه كَذَبَ في دعوى نسبه، وأن أباه كان يهوديًّا ربيبَ مجوسيٍّ، فله نسبتان؛ نسبة إلى اليهود ونسبة إلى المجوس، وهو وأهل بيته كانوا ملاحدة، وهم أئمة الإسماعيلية الذين قال فيهم العلماء: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض.

---

(١) لم أجده في كتب الحديث بهذا اللفظ.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية (١/ ١٦٣).

(٣) هو: مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وقد ألف العلماء كتبًا في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم، وبيان كذبهم في دعوى النسب ودعوى الإسلام، وأنهم بريئون من النبيِّ ﷺ نسبًا ودينًا. وكان هذا الملقب بالمَهْدِيِّ «عبيد الله بن ميمون» قد ظهر في سنة تسع وتسعين ومائتين، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[(١)]. انتهى.

وعبيد الله هذا أسس دولة مذمومة، اتسعت أرجاؤها وتباعدت أطرافها، وكادت أن تملك ملكًا عامًّا. ومؤسسها «عبيد الله بن ميمون» قيل إنه ولد في بغداد. وقيل: سلمية. سنة ستين ومائتين، ثم وصل إلى مصر في هيئة التجار، وأظهر أمره بالمغرب، ودعا الناس إلى نفسه، فمالوا إليه، وتبعه خلق كثير وسلموا عليه بالخلافة، وقويت شوكته وعظم حاله، ثم انفصل إلى أرض القيروان، وبنى مدينة سماها «المَهْدِيَّة» واستقر بها، وملَك إفريقية وبلاد المغرب وتلك النواحي جميعها، ثم ملك الإسكندرية، وجبى خراجها وخراج بعض الصعيد، ثم ملك بعده أولاده واحد بعد واحد، إلى أن انتهت إلى العاضد، وهو آخرهم، ومنه استلم الملك صلاح الدين الأيوبيُّ.

ولما ملكت هذه الدولة الفاجرة عاث ملوكها بالأرض الفساد، فقتلوا علماء أهل السنة والجماعة، ورفع أفراخ الرافضة رؤوسهم، ونشروا عقائدهم الباطلة، وانتسب إليهم بعض العلويين، وصحح نسبهم، حيث نصروا مذهبه، وأنشد في ذلك الرضيُّ[(٢)]:

قوله:

مَا مُقَامِي عَلَى الْهَوَانِ وَعِنْدِي   مِـقْـولٌ صَـارِمٌ وَأَنْـفٌ حَـمِـيُّ

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٩٩ ـ ١٠٠).

(٢) هو: الشريف الرضي مُحَمَّد بن الْحُسَيْن بن مُوسَى بن مُحَمَّد بن مُوسَى الكاظم بن جَعْفَر الصَّادِق بن مُحَمَّد الباقر بن عَليّ زين العابدين بن الْحُسَيْن بن عَليّ بن أبي طَالب. أشعر الطالبين. تُوفِّي سنة سِتّ وَأَرْبعمائة (الوافي بالوفيات ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٩).

وَإِبَاءٌ مُحَلِّقٌ بِي عَنِ الضَّيـ ... ـمِ كَمَا رَاعَ طَائِرٌ وَحْشِيُّ
أَحْمِلُ الضَّيْمَ فِي بِلَادِ الْأَعَادِي ... وَبِمِصْرَ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيُّ
مَنْ أَبُوهُ أَبِي، وَمَوْلَاهُ مَوْلَا ... يَ إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيُّ
لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدَا النَّا ... سِ جَمِيعًا: مُحَمَّدٌ، وَعَلِيُّ
إِنَّ ذُلِّي بِذَلِكَ الْجَوِّ عِزٌّ ... وَأُوَامِي بِذَلِكَ النَّقْعِ رِيٌّ(١)

وقد علم العالمون بالأنساب أنهم ليسوا بعلويين، كما يقوله الرضيُّ في شعره هذا الذي كذب فيه لما نصروا مذهبه الباطل المذموم.

قال القاضي عبدالجبار: اسم جدهم «سعيد» وكان أبوه يهوديًّا حدادًا(٢).

وقال القاضي أبو بكر الباقلانيُّ: القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمَهْدِيّ، وكان مجوسيًّا، ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علويٌّ، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وسماهم جهلة الناس «الفاطميين»(٣).

وقال ابن خَلِّكان: أكثر أهل العلم لا يصححون نسب «المَهْدِيِّ عُبيد الله» جد خلفاء مصر، حتى أن العزيز بالله ابن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة، فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسبًا منكرًا ... يُتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تَدَّعي صادقًا ... فاذكر أبًا بعد الأب السابع
وإن ترد تحقيق ما قلته ... فانسب لنا نفسك كالطائع

---
(١) الكامل في التاريخ (٦/ ٥٧٨).
(٢) تاريخ الخلفاء (١/ ١٠).
(٣) تاريخ الخلفاء (١/ ١٠).

أو لا دع الأنـــســـاب مـــســـتـــورةً وادخل بنا في النسب الواسع
فـــإن أنـــســـاب بـــنـــي هـــاشـــم يَقصرُ عنها طمعُ الطامع[(١)]

وكتب العزيز إلى الأموي صاحب الأندلس كتابًا سبه فيه وهجاه، فكتب إليه الأموي: أما بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك. فاشتد ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب[(٢)]. يعني أنه دَعِيٌّ لا تُعرَف قبيلته[(٣)].

قال الذهبيُّ: المحققون متفقون على أن «عبيد الله المَهْدِيّ» ليس بعلويٍّ[(٤)].

قال القاضي أبو بكر الباقلانيُّ: كان المَهْدِيُّ عبيد الله باطنيًّا خبيثًا، حريصًا على إزاله ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه، أباحوا الخمور والفروج وأشاعوا الرفض[(٥)].

قال ابن خَلِّكان: وقد كانوا يدَّعون علم المغيَّبات، وأخبارهم بذلك مشهورة، حتى إن العزيز صعد يومًا المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب:

بـالـظـلـم والـجـور قد رضينا ولـيـس بـالـكـفـر والـحـمـاقـهْ
إن كـنـت أُعـطـيـت عـلـمَ غـيـبٍ بَـيـن لـنـا صـاحـب الـبـطـاقـهْ[(٦)]

قال يوسف الرُّعَينيُّ: أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني

(١) وفيات الأعيان (٣/ ١١٧ ـ ١١٨).
(٢) وفيات الأعيان (٥/ ٣٧٢).
(٣) تاريخ الخلفاء (١/ ١٠).
(٤) تاريخ الخلفاء (١/ ١٠).
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٠٦).
(٦) وفيات الأعيان (٥/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

عبيد حال المرتدين والزنادقة؛ لِمَا أظهروا من خلاف الشريعة[(١)].

وما أحسن ما قاله بعض الفضلاء[(٢)]:

وطاعة من إليه الأمر فالزم ... وإن جاروا وكانوا مسلمينا
فإن كفروا ككفر بني عبيد ... فلا تسكن ديار الكافرينا

انقرضت دولتهم سنة سبع وستين وخمسمائة.

ومنهم «محمد بن عبد الله بن تُومَرْتَ»[(٣)].

ادعى أنه المَهْدِيُّ ببلاد المغرب، وتبعه طوائف كثيرة، وحصل منه أضرار عظيمة في الدين والدنيا، وهو السبب في انتشار عقيدة الأشعريِّ ببلاد المغرب، كما **بين ذلك العلامة المقريزيُّ في «الخطط»** حيث قال:

واتفق مع ذلك توجُّهُ «أبي عبدالله محمد بن تومرت» أحد رجالات المغرب إلى العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزاليِّ مذهب الأشعريِّ، فلما عاد إلى المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم، فخلفه بعد موته «عبدالمؤمن بن عليٍّ القيسيُّ» وتلقب بـ«أمير المؤمنين» وغلب على ممالك المغرب، هو وأولاده من بعده مدة سنين، وتسمَّوا بـ«الموحِّدين» فلذا صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم المَهْدِيُّ المعصوم، فكم أراقوا

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٣٣٧).

(٢) هو: محمد بن عمار الكلاعي الميروقي، يوصي ابنه.

(٣) هو: مُحَمَّد بن عبدالله بن تومرت أَبُو عبدالله الملقب بـ«المهدي» المصمودي الهرغي. لَقِي الْغَزالِيّ والكيا الهراسي وَأَبا بكر الطرطوشي، وجاور بِمَكَّة، وَحصل طرفًا جيدًا من الْعلم، وَكَانَ ورعًا ناسكًا مهيبًا متقشفًا مخشوشنًا أمارًا بالمعروف كثير الإطراق متعبدًا شجاعًا جرئًا فصيحًا عَاقِلاً بعيد الْغَوْر (الوافي بالوفيات ٣/ ٢٦١).

بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلا الله خالقها، سبحانه وتعالى، كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعريِّ وانتشاره في أمصار المسلمين[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله سره في «المنهاج»: ولما كان الحديث المعروف عند السلف والخلف أن النبيَّ ﷺ قال في المَهْدِيّ: «**يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**» [صار] يطمع كثير من الناس أن يكون هو المَهْدِيَّ، حتى سمَّى المنصورُ ابنَه محمدًا، ولقبه بـ«المَهْدِيِّ» مواطأة اسمه باسمه، واسم أبيه باسم أبيه، ولكن لم يكن هذا بالموعود به.

وأبو عبدالله محمد ابن تُومَرْتَ الملقب بـ«المَهْدِيِّ» الذي ظهر بالمغرب، ولقب طائفته بـ«الموحِّدين» وأحواله معروفة، كان يقول إنه المَهْدِيُّ المبشَّر به، وكان أصحابه يخطبون له على منابرهم، فيقولون في خطبتهم: الإمام المعصوم، المَهْدِيُّ المعلوم، الذي بشَّرتَ به بصريح وحيك، الذي اكتنفته بالنور الواضح، والعدل اللائح، الذي ملأ البرية قسطًا وعدلًا، كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

وهذا الملقب بـ«المَهْدِيِّ» ظهر سنة تسع وخمسمائة، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وكان ينتسب إلى أنه من أولاد الحسن، لأنه كان أعلم بالحديث، فادَّعى أنه هو المبشَّر به، ولم يكن الأمر كذلك، ولا ملأ الأرض كلها قسطًا وعدلًا، بل دخل في أمور منكرة، وفعل أمورًا حسنة[٢]. انتهى.

وهذه الأمور الحسنة التي أشار إليها رَحِمَهُ ٱللَّهُ **هذه قد بينها في «السبعينية»** فإنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر محمد بن تومرت قال:

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٩٢).
(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٩٨ ـ ٩٩).

الذي أقام دولتهم بما أقامها به من الكذب والمِحَال، وقتل المسلمين واستحلال الدماء والأموال، فعل الخوارج المارقين، ومن الابتداع في الدين، مع ما كان عليه من الزهد والفضيلة المتوسطة، ومع ما ألزم به من الشرائع الإسلامية والسنن النبوية، فجمع بين خير وشر، لكن من أقبح ما انتحلوه في خطبتهم له على المنابر بقولهم: الإمام المعصوم والمَهْدِيُّ المعلوم[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد اتفق المسلمون على أنه ليس من المخلوقين من أمره حتم على الإطلاق، إلا الرسل الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾[٢] [النساء: ٦٤].

قال: وقد اتفق أئمة الدين على أنه ليس معصومًا في الأمة غير رسول الله ﷺ وقول بعضهم (النبيُّ معصوم والوليُّ محفوظ) إن أراد بالحفظ ما يشبه العصمة فهو باطل[٣].

وقال الإمام الشاطبيُّ في كتاب «الاعتصام»: وقد زعم ذَوُوهُ ـ يعني ابن تومرت ـ أنه ألف (في الإمامة)[٤] كتابًا ذكر فيه أن الله استخلف آدم ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا عليهم السلام وأن مدة الخلافة ثلاثون سنة، وبعد ذلك فِرَقٌ وأهواءُ، وشُحٌّ مطاع، وهوًى متبَّعٌ، وإعجابُ كل ذي رأي برأيه، فلم يزل الأمر على ذلك، والباطل ظاهر، والحقّ كامن، والعلم مرفوع، كما أخبر النبيُّ ﷺ والجهل ظاهر، ولم يبق من الدين إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، حتى جاء الله بالإمام، فأعاد الله به الدين، كما قال ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ**

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (١/ ٤٩٤).

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (١/ ٤٩٥).

(٣) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (١/ ٤٩٥).

(٤) ليست في الأصل.

غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[(١)]، وقال إن طائفته هم الغرباء، زعمًا من غير برهان زائد على الدعوى.

وقال في ذلك الكتاب: جاء الله بالمَهْدِيِّ، وطاعته صافية نقية، لم يُرَ مثلُها قبل ولا بعد، وأن به قامت السموات والأرض وبه تقوم، ولا ضد له، ولا مثل ولا ند. وكذب، تعالى الله عن قوله!

وهذا، كما نزَّل أحاديث الترمذيِّ وأبي داود في الفاطميِّ[(٢)] على نفسه، وأنه هو بلا شك، وأول إظهاره لذلك أنه قام في أصحابه خطيبًا فقال:

الحمد لله الفعال لما يريده، القاضي لما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وصلى الله على النبيِّ المبشِّر بالمَهْدِيِّ، الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجَورًا، يبعثه الله إذا نُسخ الحقُّ بالباطل، وأزيل العدل بالجور، مكانه بالمغرب الأقصى، وزمانه آخر الزمان، واسمه اسم النبيِّ عليه الصلاة والسلام ونسبه نسب النبيِّ ﷺ وقد ظهر جَور الأمراء، وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخرُ الزمان، والاسمُ الاسمُ، والنسبُ النسبُ، والفعل الفعل. يشير إلى ما جاء في أحاديث الفاطميِّ. فلما فرغ بادر إليه من أصحابه عشرة فقالوا: هذه الصفة التي لا توجد إلا فيك، فأنت المَهْدِيُّ! فبايعوه على ذلك.

وأحدث في دين الله أحداثًا كثيرة، زيادة على الإقرار بأنه[(٣)] المَهْدِيُّ المعلوم، والتخصيص بالعصمة[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ (رقم ١٤٥).

(٢) يعني أحاديث المهدي التي تقدمت.

(٣) في الأصل: «بأن».

(٤) الاعتصام (٢/ ٨٥ ـ ٨٧).

قلت: وكذلك وصفه نفسه بالصفات الإلهية، كما تقدم، وهذا كفر بلا شك، ولا إشكال إذا أخذ على إطلاقه، فإن الذي ليس له كفؤ ولا ند ولا ضد هو رب العالمين!

وكذلك جهال أصحابه يغلون فيه غلوًّا عظيمًا، حتى يجعلونه مثل النبيِّ ﷺ وينشدون:

إذا كان من بالمشرق في الغرب فَلِلْوَالِهِ المشتاق أن يتحيَّرَا

قال العلامة الشاطبيُّ: ثم وضع ذلك في الخُطَب، وضُربَ في السِّكَكِ، بل كانت تلك الكلمة عندهم ثالثة الشهادة، فمن لم يُؤمن بها أو شك فيها فهو كافر كسائر الكفار، وشرَع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها، وهي نحو من ثمانية عشر موضعًا؛ كترك امتثال أمر من يُستمَعُ أمره، وترك حضور مواعظه ثلاث مرار، والمداهنة إذا ظهرت في أحد قُتل، وأشياء كثيرة.

قال: وقد كان السلطان أبو العلاء إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن عليٍّ منهم، فظهر له قبح ما هم عليه من هذه الابتداعات، فأمر حين استقر بمراكش خليفة بإزالة جميع ما ابتدع من قبله، وكتب بذلك رسالة إلى الأقطار يأمر فيها بتغيير تلك السنة، ويوصي بتقوى الله والاستعانه به والتوكل عليه، وأنه قد نبذ الباطل وأظهر الحق، وأن لا مهديَّ إلا عيسى، وإنّ ما ادعوه أنه المَهْدِيُّ بدعة أزالها[1]. انتهى.

وقد ذكر في مواضع كثيرة من كتاب «الاعتصام» جملًا من أحوالهم، فليرجع إليه المستزيد.

---

(١) الاعتصام (٢/ ٨٧ ـ ٨٨).

ومنهم «محمد بن أحمد السودانيُّ»[(١)].

الذي اشتهَر أمره، واستعرت نار شره في أوائل هذا القرن الرابع عشر، وقد نحا في دعواه منحى الرافضة، فقال إنه الإمام الثاني عشر الذي ظهر مرةً قبل هذه، وقد أجيبت دعوته، وقوي نفوذه، واشتدت وطأته في بلاد السودان، فوضع أوضاعًا خارجة عن الشريعة، وتابعه عليه خلق كثير، وقد أشكل أمره على الناس، وطار ذكره في الآفاق حتى بُعث إليه من وسط جزيرة العرب بعثٌ للكشف عن حاله، فوجدت غير مرضية.

وقد حدثني بعض العلماء أنه كان كارهًا لإرسال هذا البعث، ولم أسأله عن العلة في ذلك لصغر السن إذ ذاك، وقلة العناية بأمر

---

(١) الصوفي المتوفى سنة ١٣٠٢ هـ ـ ١٨٨٥ م. انظر: «الأصول الفكرية لحركة المهديِّ السودانيِّ ودعوته» تأليف عبدالودود شلبي (١٣٤).

قال عبدالرزاق البيطار: وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى «محمد أحمد» يقال أنه المهدي، أو قائم طالب لإظهار الحق ولم يدع أنه المهدي، ويقال: إنه شريف حسني. وكان قبل ظهوره مشهورًا بالصلاح ومن مشايخ الطرائق، قيل: إنه على طريق الشيخ السمان، وأول ظهوره أنه لما كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان عمالًا لصاحب مصر محمد توفيق باشا، ثم اتسع الأمر بينهم وبينه إلى القتال، وقاتلوه وقاتلهم مرارًا، وكانت الغلبة لمحمد أحمد عليهم، حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها... وأما دعوى أنه المهدي فمختلف فيها؛ فمن الناس من يقول: إنه يدعي أنه المهدي، ومنهم من يقول لم يدع أنه المهدي، بل يقول أنه قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة وإخراج الإنكليز من مصر، والأكثر من الناس يقولون: إنه رجل صالح على غاية من الاستقامة، ومنهم من يقدح فيه وينسب إليه خلاف ذلك، ويقول: إن جيوشه يقع منهم فساد كثير، وليس لهم غرض إلا القتل والنهب، وإنهم في استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرهما قتلوا خلقًا كثيرًا من المسلمين، فيهم العلماء والصلحاء والنساء والأطفال، وقيل: إن وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد أحمد ولم يأمر به، والله أعلم بحقيقة الحال (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ٢/ ٨٠١ ـ ٨٠٢).

التاريخ، لانصراف الهمة لما هو أهم من ذلك من أمور الدين.

ومما أيد دعوته أن المتداول والمشهور بين شيوخ السودان وفقهائهم أن المَهْدِيَّ سيظهر من بينهم، استنادًا إلى أقوال يروُونها عن بعض العلماء.

منها قول القرطبي في «طبقاته الكبرى» ونصه: وزير المَهْدِيِّ صاحب الخرطوم.

وقد جعل له وزيرًا من أهل الخرطوم يقال له «عبدالله التعايشيُّ» وهذا مبالغة في المكر والتحيل.

وقول السيوطيِّ وابن حجر: من علامات ظهور المَهْدِيِّ خروج السودان[(١)].

وقد بان للناس أمره وظهر كذبه به، فلم يكن صادقًا في دعواه؛ لأنه لم يتم أمره ولم يظهر عدله، بل ظهر فساده وعم شره أهل أفريقيا وغيرهم، وليس اسم أبيه «عبدالله» بل اسمه «أحمد» فليس هو المبشَّر به، بل هو دجال من الدجاجلة. والله أعلم.



(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٨٠٣ ـ ٨٠٤).

الخاتمة

وفيها فوائد جليلة ومسائل مهمة جميلة:

الأولى:

قال في شرح «سنن أبي داود»[(١)]: اعلم أنه اختلف في المَهْدِيِّ؛ من بني الحسن أو من بني الحسين؟

قال القاريُّ في «المرقاة»: ويمكن أن يكون جامعًا بين النسبتين الحُسنَيَين، والأظهر أنه من جهة الأب حسنيٌّ، ومن جانب الأم حسينيٌّ[(٢)].

قلت: وقد تقدم في ذكر المَهْدِيِّ المغربيِّ من كلام شيخ الإسلام ما يرشد إلى أنه من أولاد الحسن، وكذلك الحديث الثالث يدل على أنه حسنيٌّ لا حسينيٌّ.

وأما ما رُوي أن **«المَهْدِيُّ من ولد العباس عمِّي»**[(٣)]. فهو حديث غريب، تفرد به محمد بن الوليد، مولى بني هاشم[(٤)]. كما قاله

(١) عون المعبود (١١/ ٢٤٩).
(٢) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٣٨).
(٣) تاريخ دمشق (٥٣/ ٤١٤).
(٤) كان يضع الحديث ويوصله، وَيَسْرِقُ ويقلب الأسانيد والمتون (الكامل ٧/ ٥٤٢ رقم ١٧٧١).

الدارقطنيُّ[(١)].

الثانية: في وجه تسميته بالمَهْدِيِّ.

قالوا: إنما سمي بذلك [لأنه] يهدي إلى أمر خفيٍّ، ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها «إنطاكية» وهذا مرويٌّ عن كعب.

وقيل: إنما سمي «المَهْدِيُّ» لأنه يُهْدَى إلى جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفار التوراة، يحاج بها اليهود، فيسلم على يديه جماعة منهم.

الثالثة: في سيرته.

قال أهل العلم: يعمل بسنة النبيِّ ﷺ ويقاتل عليها، لا يترك سُنَّة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، يقوم بالدين آخر الزمان كما قام النبيُّ ﷺ أوله، يملك الدنيا كلها، يطفئ الله به الفتنة العمياء، وتأمن الأرض، ويأوي إليه الناس كما يأوي النحل إلى يعسوبه.

الرابعة:

قال بعض العلماء: المَهْدِيُّ مولده بالمدينة، ومهاجره بيت المقدس، وبيعته بمكة المشرفة بين الركن والمقام، ليلة عاشوراء، وإذا هاجر المَهْدِيُّ من المدينة إلى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته، وتصير مأوى للوحوش.

وقد اختلفت الروايات في مدة ملكه؛ فأقلها خمس، وأكثرها أربعون سنة، ويستمر حتى يسلم الأمر إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويصلي المَهْدِيُّ بعيسى صلاة واحدة، وهي صلاة الفجر، ثم يستمر المَهْدِيُّ على الصلاة خلف عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يموت المَهْدِيُّ، ويصلي عليه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويدفنه في بيت المقدس.

---

(١) تاريخ دمشق (٥٣/ ٤١٤).

ولم يعلم على التحقيق مقدار سِنِّهِ، لأنه يخرج ويبايع له، وهو ابن أربعين أو خمس وثلاثين سنة.

ومدة ملكه مختلف فيها.

ولم يوجد في شيء من الروايات ذكر اسم أمه. والله أعلم.

الخامسة:

جميع الصحابة أفضل من المَهْدِيِّ، وعيسى أفضل من جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعيسى من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أفضل هذه الأمة، كما في «شرح التوحيد»[(١)] للشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

وقد ألغز بعضهم في ذلك فقال[(٢)]:

مَن باتفاقِ جميعِ الخلقِ أفضلُ من ... شيخِ الصحاب أبي بكر ومن عمر
ومِن عليٍّ ومن عثمانَ وَهْوَ فتًى ... من أُمةِ المصطفَى المبعوث من مُضر

السادسة: في وصية جامعة نافعة لمن كان له قلب يقظ حاضر وأُذُنٌ. للحافظ ابن رجب أغدق الله على قبره شآبيب الرحمة والرضوان، قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

إن كثيرًا من أئمة الدين قد يقول قولًا مرجوحًا، ويكون مجتهدًا فيه، مأجورًا على اجتهاده فيه، موضوعًا عنه خطؤه فيه، ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة، لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله، بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين، لما قبله، ولا انتصر له، ولا والى من يوافقه، ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه، وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق، وإن أخطأ في

(١) فتح المجيد (١/ ٤٥٧).

(٢) القائل هو التاج السبكيُّ في «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ١٣٦).

اجتهاده، وأما هذا التابع فقد شاب انتصارَهُ لما يظنه الحق إرادةُ علوِّ متبوعه وظهورِ كلمته، وأنه لا يُنسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصده الانتصار للحق، فافهم هذا فإنه مهم عظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم(١). انتهى.

وما ذكره العلامة هو حال أُسَرَاء التقليد، الذين سدوا على أنفسهم أبواب العلم، فأَنِسُوا بظلمات الآراء، واستوحشوا من نور الدليل، واطمأنت نفوسهم بأقوال الرجال الذين حسَّنوا فيهم الظن، ولم يبحثوا في مسائل الخلاف عما قاله الرسول ﷺ إذ طاعته فرض لازم، وطاعة غيره ربما كانت جائزة في بعض الأحوال، ولا تكون طاعة أحد واجبة وقوله مقبولًا وجوبًا إلا أن يأتيَ ببرهان يدل على ذلك، فحينئذٍ يسمَع ويتَّبَع لما عضده وقواه من الدليل.

قال عليٌّ: العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها.

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الحكمة ضالة المؤمن، يطلبها ولو من أيدي الشُّرَط(٢).

وما أحسن ما قال بعض الأئمة:

وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد ... ومع الدليل فمل بفهم وافر
وعلى الأصول فقس فروعك لا تقس ... فرعًا بفرع كالجهول الحائر
والشر ما فيه فديتك أسوة ... فانظر ولا تحفل بزلة ماهر

السابعة:

[قال] **أبو عمر ابن عبدالبر**: إن قول عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (قيمة كل امرئ

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

(٢) كتب في الهامش: الشرط: أعوان السلطان، الواحد: شرطة، مثل غرف جمع غرفة. والأثر أورده ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٠١).

ما يحسنه) لم يسبقه إليه أحد. وقالوا: ليس كلمة أحضَّ على طلب العلم منها. وقالوا: ولا كلمة أضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل: ما ترك الأول للآخِر شيئًا[(١)].

قال ابن عبدالبر[(٢)]: قول عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قيمة كل امرئ ما يحسنه) من الكلام المعجب الخطير، وقد طار له الناس كل مطير، ونظمه جماعة من الشعراء إعجابًا وكلفًا بحسنه، فمن ذلك ما يُعزَى إلى الخليل بن أحمد قوله:

لَا يَكُونُ السَّرِيُّ مِثْلَ الدَّنِيِّ ... لَا وَلَا ذُو الذَّكَاءِ مِثْلَ الْغَبِيِّ
لَا يَكُونُ الْأَلَدُّ ذُو الْمَقُولِ الْمُرْ ... هَفِ عِنْدَ الْقِيَاسِ مِثْلَ الْعَيِيِّ
قِيمَةُ الْمَرْءِ مَا يُحْسِنُ الْمَرْ ... ءُ قَضَاءً مِنَ الْإِمَامِ عَلِيِّ

وقال غيره[(٣)]:

تَلُومُ عَلَيَّ أَنْ رُحْتُ لِلْعِلْمِ طَالِبًا ... أَجْمَعُ مِنْ عِنْدِ الرُّوَاةِ فُنُونَهُ
فَيَا لَائِمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيمَتِي ... فَقِيمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

وهذا آخر ما أردنا تحريره، وقصدنا جمعه وتسطيره من الأحاديث الواردة في شأن الإمام المنتظر، والبشارة بخروجه آخر الزمان، وما يتعلق بذلك من الفوائد.

وقد ذكرت أكثر ما ورد في هذا الباب ليعلم الواقف عليها، وعلى ما قيل في رواتها من الجرح والتعديل، منزلتها عند علماء الحديث، إذ مدار الحديث على إسناده، فإن صح فهو صحيح غالبًا.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤١٦).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤١٦).
(٣) هو: «ابن طباطبا العلوي» كما في معجم البلدان (٢/ ٨١)، وتاريخ دمشق (٥٣/ ٣٥٠).

وأما الأحاديث المشهورة التي لا سند لها معروف فلا أذكر منها شيئًا، لأن الاشتغال بها إضاعة للوقت فيما لا فائدة فيه، وقد كفانا علماء الحديث وأئمة الرواية شأنها.

فقد قالوا رحمهم الله: الإسناد من الدين.

وقالوا: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم. كما سبق ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من تحريره في يوم السبت، خامس شوال، سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف، بمنزلي في «المدرسة الأثرية»[١] شادها بالعلم والعمل رب البرية[٢].



(١) المدرسة الأثرية في قطر سعى في إنشائها الشيخ ابن مانع، ودرَّس فيها، وأسهم في إنشائها أيضًا بعض أعيان قطر، مثل: خالد بن محمد القاسم، وخليل بن إبراهيم الباكر. استمرت هذه المدرسة من عام ١٩١٣ م إلى عام ١٩٣٨م. كانت الدراسة فيها على النهج التقليدي القديم المتبع في مصر، تدرس فيها العلوم الدينية واللغة العربية. وأسهمت هذه المدرسة في النهضة العلمية والثقافية والأدبية في قطر، ومن أبرز طلابها: الشيخ عبدالله بن تركيٍّ، والشيخ عبدالله الأنصاريُّ، والشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، والشاعر أحمد بن يوسف الجابر.

انظر: مقال الدكتور محمد الشويعر «من رواد العلم والتعليم في المملكة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع» مجلة البحوث الإسلامية ع ٥٤، ١٤١٩ هـ (٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٢) كتب في آخره: تم هذا الكتاب الشريف، جزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء، بقلم المفتقر إلى الله: أحمد بن يوسف بن جابر بن عبدالله، وذلك في يوم السبت لتسعة وعشرين يومًا خلت من شهر جمادى الآخرة، الذي هو من شهور سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف سنة ١٣٣٨.

قال المحقق، عفا الله عنه: انتهيت من نسخه فجر يوم السبت ١١/ ٧/ ١٤٢٧ والحمد لله رب العالمين. ثم انتهيت من مقابلته مع الأخ الفاضل أحمد بن فهد العبيد، أثابه الله تعالى وبارك فيه، يوم الإثنين ١٧/ ١/ ١٤٢٨.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



إقامة الدليل والبرهان
على تحريم أخذ الأجرة على تلاوة القرآن

للشيخ العلامة
محمد بن عبدالعزيز المانع

مقدمة المحقِّق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، **وبعد**:

فهذا كتاب «**إقامة الدليل والبرهان على تحريم أخذ الأجرة على تلاوة القرآن**» وهي رسالة أجاب فيها الشيخ عن حكم الإجارة على تلاوة القرآن.

وقد اعتمدت في نشرها على طبعة المكتب الإسلامي عام ١٣٨٣هـ.

والله ولي التوفيق.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليِّ فوق مخلوقاته، الذي استوى على عرشه العظيم بذاته، المتكلِّم بالقرآن الكريم، المنزَّل على النبيِّ المصطفى الرحيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن اتبعهم متمسكًا بسيرتهم سالكًا الصراط المستبين.

أما بعد: فقد سألني بعض الفضلاء عن حكم الإجارة على تلاوة القرآن، فأجبته بما قام عليه الدليل، وقال به كل فاضل جليل، ثم طلب مني الزيادة على ذلك الجواب، وبسط القول حتى لا يبقى أقل شبهة ولا ارتياب، فأجبته إلى ما سأل، راجيًا الثواب من الله عَزَّوَجَلَّ.



وهذا نص السؤال:

ما قول العلماء الأعلام وحَمَلَة شريعة سيد الأنام، في حكم الإجارة على تلاوة القرآن؟

وهل يستحق الأجير[١] الأجرة على ذلك؟

وهل لقراءته ثواب يُهدَى لأحد من المسلمين، حيًّا كان أو ميتًا؟

وهل يصل ثواب قراءة القرآن إلى الميت مطلقًا، سواء كان بأجرة أم لا؟

* * *

أفيدونا مأجورين.

الجواب: الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

الإجارة على تلاوة القرآن باطلة، والآخِذُ والمُعْطِي آثِمَانِ.

وهو من أكل الأموال بالباطل الذي نهى عنه سبحانه وتعالى في محكم كتابه بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

يبين ذلك أن الإجارة على التلاوة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وفي «**صحيح مسلم**» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[٢] أي:

---

(١) أي: من يستأجر لقراءة القرآن.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (رقم ١٧١٨)، وأخرجه البخاري أيضًا عن عائشة في كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (رقم ٢٦٩٧) بلفظ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**».

مردود عليه[١].

والتالي بالأجرة ليس معه على جواز فعله دليل، لا من الكتاب ولا من السنة، بل عمله منافٍ للإخلاص الذي هو شرط لصحة الأعمال وقبولها عند الله تعالى.

قال سبحانه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢].

قال الفُضَيل بن عِياض: أَخْلَصُهُ وأَصْوَبُهُ، فإن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبَل، وكذا إذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبَل، فلا بد في العمل أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، صوابًا على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

ومن المعلوم أن التاليَ بالأجرة عمله ليس خالصًا لله؛ لأنه قصد به المال، ولا صوابًا؛ لأن التلاوة بالأجرة بدعة منكرة.

وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٣].

وفي رواية ابن ماجه: «**فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ**»[٤].

وروى الإمام أحمد والنسائي عن عبادة بن الصامت عن النبي

---

(١) الاستذكار (٢/ ٣٤٦).

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٩٥).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: من أشرك في عمله غير الله (رقم ٢٩٨٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب: الرياء والسمعة (رقم ٤٢٠٢) وصححه الألباني. وتمامه: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**».

صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللّهِ، وَلَمْ يَنْوِ إِلاَّ عِقَالاً، فَلَهُ مَا نَوَى**»(١).

قلت: وكذلك التالي بالأجرة له ما نوى من الدنيا، وليس له ثواب يُهْدِيه لأحد من المسلمين، لا حيٍّ ولا ميت.

ونحن نذكر بعض الأحاديث الدالة على بطلان الإجارة على التلاوة، ثم نتبعها بشيء من كلام العلماء الأعلام، فنقول:

روى الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن شبل عن النبي ﷺ أنه قال: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلاَ تَغْلُوا فِيهِ، وَلاَ تَجْفُوا عَنْهُ، وَلاَ تَأْكُلُوا بِهِ، وَلاَ تَسْتَكْثِرُوا بِهِ**»(٢).

والغلو: التشديد ومجاوزة الحد(٣).

قال ابن الأثير عند ذكره حديث: «**وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ**»(٤): إنما قال ذلك لأن من أخلاقه وآدابه التي أمر بها القصدَ في الأمور، وخير الأمور أوساطها(٥).

وقوله: «**وَلاَ تَجْفُوا عَنْه**».

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب: من غزا في سبيل الله ولم ينو من غزاته إلا عقالًا (رقم ٣١٣٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٣٧/ ٣٦٥ رقم ٢٢٦٩٢) وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤/ ٢٨٨ رقم ١٥٥٢٩) وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط. . .

(٣) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٢).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم (رقم ٤٨٤٣) وحسنه الألباني. وتمامه: «**إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**».

(٥) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٢).

قال في «النهاية»: أي: تعاهدوه، ولا تَبْعُدُوا عن تلاوته[(١)].

وروى الإمام أحمد أيضًا والترمذي عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ»[(٢)].

وروى ابن ماجه عن عبادة بن الصامت قال: عَلَّمْتُ رَجُلًا الْقُرْآنَ، فَأَهْدَى لِي قَوْسًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فقال: «إِنْ أَخَذْتَهَا أَخَذْتَ قَوْسًا مِنْ نَارٍ» فَرَدَدْتُهَا[(٣)].

فإذا كان هذا في التعليم الذي تدعو إليه الضرورة الدينية، ولايقوم الدين غالبًا إلا به، فكيف بالتلاوة المجردة التي هي عبادة بدنية محضة!

وروى أبو داود عن جابر قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالْأَعْجَمِيُّ، فَقَالَ: «اقْرَءُوا، فَكُلٌّ حَسَنٌ، وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»[(٤)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٣/ ١٤٦ رقم ١٩٩١٧) واللفظ له، والترمذي في كتاب فضائل القرآن (رقم ٢٩١٧) وقال: حديث حسن ليس إسناده بذاك. وحسنه الألباني. وأول الحديث: عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَحَدُنَا آخِذٌ بِيَدِ صَاحِبِهِ، فَمَرَرْنَا بِسَائِلٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَاحْتَبَسَنِي عِمْرَانُ وَقَالَ: قِفْ نَسْتَمِعِ الْقُرْآنَ. فَلَمَّا فَرَغَ سَأَلَ، فَقَالَ عِمْرَانُ: انْطَلِقْ بِنَا؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ. وذكر الحديث.

(٣) هذه الرواية ليست لعمران بن حصين، إنما هي لأبي بن كعب، أما رواية عمران بن حصين فنصها: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابَةَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا، فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ، وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا فَقَالَ: «إِنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا» أخرج الروايتين ابن ماجه في كتاب التجارات، باب: الأجر على تعليم القرآن (رقم ٢١٥٧، ٢١٥٨) وصححهما الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب استفتاح الصلاة، باب: ما يجزئ الأمي والعجمي من القراءة (رقم ٨٣٠) وصححه الألباني.

والقِدْحُ بالكسر: السهم قبل أن يُرَاشَ ويُنْصَلَ. قاله في «القاموس»(١).

وقال في «النهاية»: يقال للسهم أول ما يُقطَع «قِطْعٌ» ثم يُنحَت ويُبْرَى فيسمَّى «بَرِيًّا» ثم يُقوَّم فيسمَّى «قِدْحًا» ثم يُرَاش ويركَّب نَصلُه فيسمَّى «سهمًا»(٢).

ومعنى الحديث أنهم يقيمون حروف القرآن، ولكنهم يضيعون حدوده، ويتعجلون أجره في الدنيا، ولا يتأجلون الثواب عند الله يوم القيامة.

وروى أبو داود أيضًا عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: **«اقْرَءُوه قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ قَوْمٌ، يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ»**(٣).

والسهم: هو الذي يُرمَى به عن القوس. كما في «النهاية»(٤).

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن بريدة عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَتَأَكَّلُ بِهِ النَّاسَ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ عَظْمٌ، لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ»**(٥).

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٢٣٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب استفتاح الصلاة، باب: ما يجزئ الأمي والعجمي من القراءة (رقم ٨٣١) وصححه الألباني. وأوله: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا وَنَحْنُ نَقْتَرِئُ، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمُ الْأَحْمَرُ وَفِيكُمُ الْأَبْيَضُ وَفِيكُمُ الْأَسْوَدُ...».

(٤) لفظ ابن الأثير: السَّهْمُ فِي الأصْل واحدُ السِّهَام الَّتِي يُضْرَب بِهَا فِي المَيْسِرِ (النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٢٩) والعبارة التي ذكرها المؤلف إنما كانت لتفسير «القدح» قال: الأَقْداح هِيَ جَمْعُ قَدَح، وَهُوَ الَّذِي يُؤكل فِيهِ. وَقِيلَ: هِيَ جَمْع قِدْح، وَهُوَ السّهم الَّذِي كَانُوا يَسْتَقْسِمون بِهِ، أَوِ الَّذِي يُرْمى بِهِ عَنِ القَوْس (النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٠).

(٥) شعب الإيمان (٤/ ١٩٥ رقم ٢٣٨٤).

والأحاديث في ذلك كثيرة، لو ذهبنا ننقلها لاحتاج ذلك إلى كتاب كبير، وإنما المقصود تنبيه النَّبيه، الخائف على دينه، القاصد بأعماله وجه الله تعالى.

وأما أقوال العلماء الدَّالة على بطلان الإجارة على التلاوة فأشهر من أن تُذكَر، وأكثر من أن تُحصَر، امتلأت منها بطون الدفاتر، وعرفها من وفَّقه الله من ذوي البصائر. وإليك قطرة من فيض بحر، ودرَّة من عقد نحر.

قال العلامة الحجَّاوي في «الإقناع» من كتب الحنابلة: ويحرم ولا تصح إجارة على عمل يختص فاعله أن يكون من أهل القربة، وهو المسلم، ولا يقع إلا قربة لفاعله، كالحج والعمرة والأذان ونحوها، كإقامة، وإمامة، وصلاة، وتعليم قرآن، وفقه، وحديث. وكذا[1] قاله ابن حمدان[2].

قلت: والتلاوة يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة فلا تصح الإجارة عليها، لأن الكافر يمنع من شراء المصحف، وقراءة القرآن.

وقال الإمام البِرْكَوِيُّ[3] في كتابه «الطريقة المحمدية»[4] في الفصل الثالث، في أمور مبتدعة وباطلة، أكب الناس عليها على ظن أنها قرب مقصودة... إلى أن قال: ومنها الوصية من الميت باتخاذ الطعام والضيافة يوم موته أو بعده، وبإعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه، أو يسبح أو يهلل له، وكلها بدع منكرة باطلة، والمأخوذ منها

---

(١) بعده في «الإقناع»: «القضاء».

(٢) الإقناع (٢/ ٣٠١).

(٣) هو: تقي الدين محمد بن بير علي البركوي الرومي الحنفي. المتوفى سنة إحدى وَثَمَانِينَ وَتِسْعمِائَة.

(٤) هو كتاب «الطريقة المحمدية في بيان السيرة المحمدية».

حرام للآخذ، وهو عاصٍ بالتلاوة والذكر لأجل الدنيا[١]. انتهى ملخصًا[٢].

وقال الإمام العلامة العيني شارح «البخاري»: ويمنع القارئ للدنيا، والآخِذُ والمُعْطِي آثِمَانِ[٣].

وقال تاج الشريعة[٤] في «شرح الهداية» من كتب الحنفية: إن القرآن بالأجرة لا يستحق الثواب، لا للميت ولا للقارئ[٥].

وقال العلامة خير الدين الرمليُّ: المفتَى به جواز الأخذ، استحسانًا، على تعليم القرآن لا على القراءة المجردة، والإجارة في ذلك باطلة، وهي بدعة لم يفعلها أحد من الخلفاء[٦].

وقال الإمام أبو الحسن البعليُّ في «اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ»: ولا يصح الاستئجار على القراءة وإهدائها إلى الميت، لأنه لم يُنقل عن أحد من الأئمة الإذن في ذلك، وقد قال العلماء: إن القارئ إذا قرأ لأجل المال فلا ثواب له. فأي شيء يُهْدَى إلى الميت؟ وإنما يصل إلى الميت العمل الصالح. والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة، وإنما تنازعوا في الاستئجار على التعليم، ولا بأس بأخذ الأجرة على الرقية. ونص عليه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[٧].

---

(١) الطريقة المحمدية (٢١٩).
(٢) رد المحتار على الدر المختار (٦/ ٥٧).
(٣) البناية شرح الهداية (١٠/ ٢٧٧ ـ ٢٨٢)، رد المحتار على الدر المختار (٦/ ٥٦).
(٤) هو: محمود بن صدر الشريعة أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم المحبوبي. المتوفى سنة ثَلَاث وَسبعين وستِمِائَة.
(٥) رد المحتار على الدر المختار (٦/ ٥٦).
(٦) رد المحتار على الدر المختار (٦/ ٥٦).
(٧) اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤٩١ ـ ٤٩٢).

قلت: فتأمل قول شيخ الإسلام: والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة. مع سعة اطلاعه وإحاطته بأقوال العلماء، يتبين لك بطلان الإجارة على التلاوة، ومن أجاز ذلك فيطلب منه الدليل من الكتاب والسنة.

وأما ما رواه البخاري عن ابن عباس أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماء[(١)] فيهم لَدِيغ، أو سَلِيم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إن في الماء رجلًا لديغًا[(٢)] أو سليمًا[(٣)]! فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ[(٤)] فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا! حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرًا! فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ**»[(٥)].

فلم يقل أحد من الأئمة إنه يدل على جواز أخذ الأجرة على مجرد التلاوة، وإنما استدل به بعضهم على جواز أخذها على التعليم.

وقد ادعى جماعة من العلماء أنه منسوخ بالأحاديث الواردة في الوعيد على أخذ الأجرة على تعليم القرآن، كما في «عون الباري لحل أدلة البخاري».

وبعضهم استدل به على أخذ الأجرة على الرقية فقط، وقال: الأخذ ليس على مجرد التلاوة، وإنما هو على المعالجة والمداواة.

---

(١) أي: مروا بقوم نازلين عند ماء.

(٢) قرصته أفعى أو عقرب.

(٣) يسمى اللديغ سليمًا تفاؤلًا له بالسلامة.

(٤) أي: قرأ مقابل أن يعطوه شاء.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب: الشرط في الرقية بقطيع من الغنم (رقم ٥٧٣٧).

ولهذا قال الإمام البغوي في «شرح السنة» لما ذكر هذا الحديث: وفيه دليل على جواز الرقية بالقرآن وبذكر الله، وأخذ الأجرة عليه، لأن القراءة والنفث من الأفعال المباحة، وفيه إباحة أجر الطبيب والمعالِج(١).

فجعل المأخوذ على المعالجة، لا على مجرد التلاوة.

وظاهر كلام شيخ الإسلام يدل على ما ذكرناه. والله أعلم.

فتبين أن الإجارة على مجرد التلاوة باطلة، وأن الأجير لا يستحق أجرًا، وليس له ثواب يُهْدِيه لأحد من المسلمين، لا حيٍّ ولا ميت.

وينبغي أن يعلم أن كلامنا في التلاوة، لا غيرها من سائر القُرَب، ولا تقاس على غيرها، لوجود الأدلة الدالة على تحريمها بأجرة.

وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: لا قياس مع النص.

ولا إشكال أنه ما أفسد الدينَ شيءٌ مثل القياسات الفاسدة والتأويلات الباطلة.

إذا تقرر ما تقدم، فقد اختلف العلماء في ثواب أعمال البر، ما عدا التلاوة بأجرة، هل يصل إلى الأموات أو لا؟

فذهب **جماعة** إلى أنه لا يصل إليه شيء، مستدلين بعموم قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

وذهب جمهور العلماء إلى أنه يصل؛ مستدلين بما لا يحصى من أدلة الكتاب والسنة، وهو الحق الذي نعتقده، ونقول به.

---

(١) شرح السنة (٨/ ٢٦٨).

قال الإمام أحمد: الميت يصل إليه كل شيء من الخير، للنصوص الواردة فيه.

وقال في «الإقناع»: وكل قربة فعلها المسلم، وجعل ثوابها أو بعضها، كالنصف ونحوه، لمسلم، حيٍّ أو ميت، جاز ونفعه، لحصول الثواب له. قال: واعتبر بعضهم إذا نواه حال الفعل أو قبله[(١)].

وقال في «شرح الإقناع»: قال الأكثر: لا يصل إلى الميت ثواب القراءة، وأن ذلك لفاعله[(٢)].

قلت: وهذا مذهب الشافعيّ إذا كان بلا أجرة[(٣)]، وأما بها فلا يصل على قول الجمهور، كما سيأتي.

ومما استدل به الجمهور على وصول ثواب الصدقة إلى الميت **ما رواه البخاري** عن ابن عباس أن رجلًا قال لرسول الله ﷺ: إن أمي توفيت، أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»[(٤)].

وكذلك الحديث الذي في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن رجلًا قال لرسول الله ﷺ: إن أمي افتُلِتَتْ نفسها[(٥)] وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»[(٦)].

---

(١) الإقناع (١/ ٢٣٦).
(٢) كشاف القناع (٢/ ١٤٧).
(٣) المجموع شرح المهذب (١٥/ ٥٢٢).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب: الإشهاد في الوقف والصدقة (رقم ٢٧٦٢) ولفظه: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ المِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا.
(٥) أي: ماتت فجأة.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: موت الفجأة البغتة (رقم ١٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه (رقم ١٠٠٤).

فهذان الحديثان دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها.

قال الإمام الخازن(١): وهو إجماع العلماء. قال: وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء، وقضاء الدَّين، للنصوص الواردة في ذلك. قال: واختلف العلماء في الرجل إذا مات وعليه صوم، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه، وأما الصلوات وسائر التطوعات، فلا يصله عند الشافعي والجمهور، وقال أحمد: يصله ثواب الجميع، والله سبحانه وتعالى أعلم(٢).

وقال في «نيل الأوطار»: قال في «شرح الكنز»: إن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره، صلاة كان أو صومًا أو حجًّا أو صدقة أو قراءة قرآن، أو غير ذلك من جميع أنواع البرّ، ويصل ذلك إلى الميت وينفعه عند أهل السنة. انتهى(٣).

قلت: ولا بد من ملاحظة ما تقدم من التفصيل، لا سيما ما حكاه في «شرح الإقناع» عن الأكثر من عدم وصول القراءة إلى الميت.

وقال في «نيل الأوطار» أيضًا: والمشهور من مذهب الشافعي وجماعة من أصحابه أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن. وذهب الإمام أحمد، وجماعة من العلماء، وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل. قاله النووي في «الأذكار»(٤).

(١) هو: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن. توفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٢١٣).

(٣) نيل الأوطار (٤/ ١١٣).

(٤) نيل الأوطار (٤/ ١١٣).

فقد حكى النووي، إمام الشافعية في عصره وما بعده، أن مشهور مذهب الإمام الشافعي عدم وصول ثواب قراءة القرآن إلى الميت[(١)].

وقال في «شرح صحيح مسلم» في باب (وصول الصدقة عن الميت إليه) ما نصه: والمشهور في مذهبنا ـ يعني الشافعية ـ أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها[(٢)].

وفي «شرح المنهاج» لابن النحوي: لا يصل إلى الميت عندنا ثواب القراءة على المشهور[(٣)].

وقال الإمام الخازن الشافعي في تفسير سورة «النجم»: والمشهور من مذهب الشافعي أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها، وقال جماعة من أصحابه: يصله ثوابها[(٤)].

فهذه نصوص علماء الشافعية في حكاية مذهبهم أن ثواب قراءة القرآن لا يصل إلى الميت. هذا إذا كان بلا أجرة. وأما بها فلا يصل على قول جمهور العلماء، وليس للقارئ ثواب كما تقدم، والمأخوذ على ذلك حرام، وآخِذُهُ داخل تحت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

ومما يزيد المقام اتضاحًا والباطل افتضاحًا، ما ذكره العلامة السيد نعمان الألوسي في «جلاء العينين» حيث قال بعد كلام سبق:

---

(١) لفظ النووي: اختلف العلماء في وصول ثواب قراءة القرآن، فالمشهور من مذهب الشافعي وجماعة أنه لا يَصل، وذهب أحمدُ بن حنبل وجماعةٌ من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يَصل (الأذكار ١/ ٢٧٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ٩٠).

(٣) المجموع شرح المهذب (١٥/ ٥٢٢).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٢١٣).

هل للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره أو لا؟ فأهل السنة على الأول، والمعتزلة على الثاني، لكن استثنى مالك والشافعي العبادات البدنية المحضة، كالصلاة والتلاوة، فلا يصل ثوابها إلى الميت عندهما، بخلاف غيرها، وهو المشهور عن الشافعي.

والذي حرَّره المتأخرون من الشافعية وصول القراءة للميت إذا كان بحضرته، أو دعا له عقبها، ولو غائبًا، لأن في محل القراءة تنزل الرحمة والبركة، والدعاء عقبها أرجى للقبول. ومقتضاه أن المراد انتفاع الميت بالقراءة لا حصول ثوابها له. وأما عندنا، فالواصل إليه نفس الثواب.

وهذا إذا لم تكن القراءة بالأجرة، وأما إذا كانت بالأجرة فلا تجوز على قول الجمهور المفتَى به. والله سبحانه وتعالى أعلم(١). انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فقد ظهر مما أمليناه أن مذهب الإمام الشافعي، وكذا مالك، عدم وصول ثواب قراءة القرآن للأموات إذا كان بلا أجرة، وأما إن كان بأجرة فلا يصل باتفاق الأئمة. وهذا يعرفه من تحلَّى بحلية الإنصاف، وطرح رداء العناد والاعتساف.

فمن ادعى من الشافعية أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى الأموات فهو بين أمرين؛ إما معاند، أو جاهل بمذهبه، وقد قامت عليه الحجة من مذهبه بما ذكرناه.

وهاهنا فوائد ينبغي ذكرها، ويهمُّ طالبَ العلم معرفتُها:

* * *

(١) جلاء العينين (١/ ٦٤٦).

الأولى: في بيع المصاحف وأخذ الأجرة على مكاتبتها

قال الإمام البغوي في «شرح السنة»: اختلف أهل العلم في بيع المصاحف:

قال ابن عمر: بئس التجارة بيع المصاحف، وكتابتها بالأجرة[١].

ويروى عنه أنه كان يقول: وددت أن الأيدي تقطع في بيع المصاحف[٢].

وكره بيعها وشراءها، علقمة وشريح وابن سيرين والنخعي[٣].

وكرهت طائفة بيعها، ورخصوا في شرائها.

وروي ذلك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير والحكم[٤].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: الأمر في شرائها أهون، وما أعلم في البيع رخصة.

ورخص أكثر الفقهاء في بيعها وشرائها، وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة، وإليه ذهب سفيان الثوري ومالك والشافعي وأصحاب الرأي[٥]. انتهى.

وقال في «الإقناع» و«شرحه»: ويحرم بيع مصحف ولو في دَيْنٍ،

(١) مسند ابن الجعد (١/ ٣٢٨).
(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٤/ ٢٨٧ رقم ٢٠٢٠٩).
(٣) المصنف لابن أبي شيبة (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨).
(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٤/ ٢٨٨).
(٥) شرح السنة (٨/ ٢٦٩).

ولا يصح لكافر[١]. وتبعه في «المنتهى»[٢].

ومقتضاه صحته للمسلم مع الحرمة. وكذا إجارته ورهنه، فيحرمان ولا يصحان. ويلزمه بذله لمن احتاج إلى القراءة فيه ولم يجد مصحفًا غيره. ولا تجوز القراءة فيه بلا إذن مالكه. ولا يكره شراؤه، ولا إبداله بمصحف آخر، ويجوز نسخه بأجرة، ولا يقطع سارق بسرقته ـ أي المصحف ـ لأنه لا يباع[٣].

* * *

الثانية: اختلف العلماء في الأجرة على تعليم القرآن

قال في «شرح السنة»: ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن أخذ الأجرة على تعليم القرآن غير مباح. وهو قول الزهري وأبي حنيفة وإسحاق.

وذهب قوم إلى أنه لا بأس بأخذ المال ما لم يشرط. وهو قول الحسن وابن سيرين والشعبي.

وقال بعض أهل العلم: أخذ الأجرة على تعليم القرآن له حالان؛ فإذا كان في المسلمين غيره ممن يقوم به حلَّ له أخذ الأجرة على تعليم القرآن؛ لأنه غير متعيِّن عليه، وإن كان في حال أو موضع لا يقوم به غيره، لم يحلَّ له أخذ الأجرة عليه. وتأوَّل على هذا اختلاف الأخبار فيه[٤].

وقال الإمام ابن رشد المالكي في «بداية المجتهد ونهاية

(١) الإقناع (٢/ ٦٠)، كشاف القناع (٣/ ١٥٥).
(٢) منتهى الإرادات (٢/ ٢٥٧).
(٣) كشاف القناع (٣/ ١٥٥).
(٤) شرح السنة (٨/ ٢٦٨).

المقتصد»: وأما الاستئجار على تعليم القرآن فقد اختلفوا فيه أيضًا، فقد كرهه قوم وأجازه آخرون. والذين أباحوه قاسوه على سائر الأفعال. وذكر حديثين في الرقية دليلًا لهذا القول ثم قال: وأما الذين كرهوا الجُعْلَ[(١)] على تعليم القرآن فقالوا: هو من باب الجُعْل على تعليم الصلاة. وقالوا: ولم يكن الجُعْل المذكور في الإجارة على تعليم القرآن، وإنما كان على الرَّقْيِ، وسواء كان الرَّقْيُ بالقرآن أو غيره، فالاستئجار عليه عندنا جائز، كالعلاجات. قالوا: وليس واجبًا على الناس، وأما تعليم القرآن فهو واجب الناس[(٢)].

وقال الشعراني[(٣)] في «الميزان»: ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد، أنه لا يصح الاستئجار على القرب الشرعية، كالحج وتعليم القرآن والإمامة والأذان، مع قول مالك والشافعي أنه يجوز ذلك في الإمامة بمفردها[(٤)].

وقال الإمام ابن القيم في «إعلام الموقعين» في فتاوى النبي ﷺ: وسأله ﷺ عبادة بن الصامت. وذكر حديث القوس الذي ذكرناه ثم قال: ولا ينافي هذا قوله «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله» في قصة الرُّقية؛ لأن تلك جَعَالة على الطب، فطَبَّه بالقرآن، فأخذ الأجرة على الطب لا على تعليم القرآن، وها هنا منعه من أخذ الأجرة على تعليم القرآن، فإن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾

---

(١) أي: الأجر.

(٢) بداية المجتهد (٤/ ٩).

(٣) هو: عبدالوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي ـ نسبة إلى محمد ابن الحنفية ـ الشَّعْراني. توفي سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.

(٤) الميزان (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

[يس: ٢١] فلا يجوز أخذ الأجرة على تبليغ الإسلام والقرآن(١). انتهى.

فتأمل الفرق بين حديث عبادة وحديث ابن عباس، يظهر لك ما صرح به الإمام ابن القيم من أن حديث عبادة دالٌّ على تحريم الأجرة على تعليم القرآن، وحديث ابن عباس دالٌّ على جواز الأجرة والجُعْل على الطب بالقرآن، وهذا لا خلاف فيه بين أكثر العلماء، كما أنه لم يرخص أحد من العلماء في جواز الأجرة على تلاوة القرآن، كما ذكره شيخ الإسلام في «الفتاوى»(٢).

* * *

والثالثة: في كراهة القراءة عند القبر

قال في «الاختيارات»: ونقل الجماعة عن أحمد كراهة القرآن على القبور، وهو قول جمهور السلف. واتخاذ المصاحف عند القبر بدعة ولو للقراءة، ولو نفع الميت لفعله السلف، ولم يقل أحد من

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٢٥٤).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَأَمَّا الِاسْتِئْجَارُ لِنَفْسِ الْقِرَاءَةِ وَالْإِهْدَاءِ، فَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ إنَّمَا تَنَازَعُوا فِي جَوَازِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالْأَذَانِ وَالْإِمَامَةِ وَالْحَجِّ عَنِ الْغَيْرِ، لِأَنَّ الْمُسْتَأْجِرَ يَسْتَوْفِي الْمَنْفَعَةَ. فَقِيلَ: يَصِحُّ لِذَلِكَ. كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ. وَقِيلَ: لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ يَخْتَصُّ فَاعِلُهَا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَةِ، فَإِنَّهَا إنَّمَا تَصِحُّ مِنَ الْمُسْلِمِ دُونَ الْكَافِرِ، فَلَا يَجُوزُ إيقَاعُهَا إلَّا عَلَى وَجْهِ التَّقَرُّبِ إلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِذَا فُعِلَتْ بِعُرُوضٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَجْرٌ بِالِاتِّفَاقِ، لِأَنَّ اللَّهَ إنَّمَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ، لَا مَا فُعِلَ لِأَجْلِ عُرُوضِ الدُّنْيَا. وَقِيلَ: يَجُوزُ أَخْذُ الْأُجْرَةِ عَلَيْهَا لِلْفَقِيرِ دُونَ الْغَنِيِّ. وَهُوَ الْقَوْلُ الثَّالِثُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ، كَمَا أَذِنَ اللَّهُ لِوَلِيِّ الْيَتِيمِ أَنْ يَأْكُلَ مَعَ الْفَقْرِ وَيَسْتَغْنِي مَعَ الْغِنَى، وَهَذَا الْقَوْلُ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ عَلَى هَذَا، فَإِذَا فَعَلَهَا الْفَقِيرُ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا أَخَذَ الْأُجْرَةَ لِحَاجَتِهِ إلَى ذَلِكَ، وَلِيَسْتَعِينَ بِذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَاللَّهُ يَأْجُرُهُ عَلَى نِيَّتِهِ، فَيَكُونُ قَدْ أَكَلَ طَيِّبًا، وَعَمِلَ صَالِحًا (الفتاوى الكبرى ٣/ ٣٣).

الأئمة المعتبرين إن الميت يؤجر على استماعه للقرآن. ومن قال إنه ينتفع بسماعه دون ما إذا بعد، فقوله باطل يخالف الإجماع. والقراءة على الميت بعد موته بدعة، بخلاف القراءة على المحتضَر، فإنها تستحب بـ «يس»[(١)]. انتهى ملخصًا.

❊ ❊ ❊

الرابعة:
في كيفية إهداء ثواب الأعمال الصالحات إلى الأحياء والأموات من المسلمين

قال في «الإقناع» و«شرحه»: ويستحب إهداء ذلك، فيقول: اللهم اجعل ثواب كذا لفلان. وذكر القاضي أنه يقول: اللهم إن كنت أثبتني على هذا فاجعله أو ما تشاء منه لفلان. وقال ابن تميم: والأولى أن يسأل الأجر من الله تعالى، ثم يجعله له ـ أي للمُهْدَى له ـ فيقول: اللهم أثبتني برحمتك على ذلك، واجعل ثوابه لفلان. وللمُهْدِي ثواب الإهداء. وقال بعض العلماء: يثاب كلٌّ من المُهْدِي والمُهْدَى له. وفضل الله واسع[(٢)].

❊ ❊ ❊

الخامسة:
قال الإمام النووي في «التبيان» والإمام العلامة ابن مفلح في «الآداب» وغيرهما:

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العظيم على

(١) الاختيارات الفقهية (١/ ٤٧٧).
(٢) الإقناع (١/ ٢٣٦)، كشاف القناع (٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

الإطلاق، وتنزيهه وصيانته[(١)].

قلت: وقد خالف في ذلك جماعات من الجهال، فقرؤوا القرآن من غير تعظيم ولا احترام، فيسمع من يمرُّ بهم اللغط، والكلام البذيء، والمنكرات، وقول الزور، وهم بهذا الفعل آثِمُون؛ لأنهم خالفوا إجماع المسلمين، بل خالفوا أمر رب العالمين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قال الإمام القاضي عياض: اعلم أن من استخف بالقرآن، أو بالمصحف، أو بشيء منه، أو جحد حرفًا منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه؛ من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته، وهو عالم بذلك، أو شكَّ في شيء من ذلك ـ فهو كافر بإجماع المسلمين.

قال: وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلوَّ في جميع الأقطار، المكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين، مما جمعته الدفتان من أول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ كلام الله، ووحيه المنزَّل على نبيه محمد ﷺ وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدَّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع وأُجمِعَ عليه أنه ليس بقرآن، عامدًا لكل هذا ـ فهو كافر[(٢)].

قلت: فيا ويل من بدَّل كلمة «استوى» هذه الكلمة العظيمة بكلمة «استولى» تلك المرذولة الساقطة.

* * *

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (١/ ١٦٤)، الآداب الشرعية (٢/ ٢٨٦).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (١/ ١٦٥)، الآداب الشرعية (٢/ ٢٨٦).

السادسة: في مذهب السلف في كلام الرب سبحانه وتعالى

قال الإمام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: والصواب في هذا الباب وغيره مذهب السلف وأئمتها؛ أنه سبحانه وتعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى، وقد ناداه حين أتى، لم يُنَادِهِ قبل ذلك، وأن صوت الرب عَزَّ وَجَلَّ لا يماثل أصوات العباد، كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه وتعالى بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وأن أقوال التعطيل والاتحاد الذين عطَّلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال، باطلة، وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول في الذات أو الصفات باطلة[1]. انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه.

* * *

السابعة: قال في «الإقناع»:

ويستحب حفظ القرآن إجماعًا، وحفظه فرض كفاية إجماعًا. ويسن ختمه في كل أسبوع، ويكره تأخير الختم فوق أربعين يومًا بلا عذر. ويحرم إن خاف نسيانه. ويختم في الشتاء أول الليل، وفي الصيف أول النهار، ويجمع أهله وولده عند ختمه، ويدعو نصًّا[2].

* * *

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٨).
(٢) الإقناع (١/ ١٤٨).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، السالكين مسلك ذوي السعادات.

وهذا آخر الجواب، والله وليُّ التوفيق والصواب، وقد تحرَّيت فيه العدل والإنصاف، مع أني على يقين أنه سيغيظ عبيد الدرهم والدينار الدجاجلة الآكلين أموال الناس بالباطل، وإذا قلت الحق وأَدَّيت الجواب، فلا أُبالي بالمدح والقدح.

إذا صحَّ منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب

وما أحسن ما قيل:

وإن رغمت أنوف من أناس فقل يا رب لا ترغم سواها

ويجب على كل مسلم التأدب بتأديب الله، والامتثال لأوامر الله، قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



فهرس المحتويات



الحكم المنظومة

اختارها الشيخ

محمد بن عبدالعزيز بن مانع

مقدمة المحقِّق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فهذا مجموع عنون له الشيخ محمد بن مانع بـ«**الحكم المنظومة**» وهو مجموع أشعار جمعها الشيخ في أوراق لم تطبع من قبل.

وقد اعتمدت في إخراجها على نسخة خطية بخط الشيخ ابن مانع، عدد أوراقها (١٧) ورقة، وهي محفوظة في مكتبة تلميذه الشيخ زهير الشاويش، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حصلت عليها بواسطة الأخت الفاضلة ندى بنت حمزة خياط، أثابها الله.

والله الموفِّق.



الحكم المنظومة ١

٦١٩

ابن مانع

قال عبد القيس البرجمي أسلاى
يروى اجيبل

ابني ان اباك كارب يومه ٥ فاذا دعيت الى المكارم فاعجل
اوصيك ايصاء امرئٍ لك ناصحُ ٥ طبنٍ بريب الدهر غير مغفل
الله فاتقه واوف بنذره ٥ فاذا حلفت مماريا فتحلل
والضيف اكرمه فان مبيته ٥ حق ولا تك لعنةً للنزل
واعلم بان الضيف مخبر اهله ٥ بمبيت ليلته وان لم يسئل
ودع القوارص للصديق وغيره ٥ كيلا يروك من اللئام العذل
وصل المواصل ما صفى لك وده ٥ واحذر حبال الخائن المتبدل
واترك محل السوء لا تنزل به ٥ واذا نبا بك منزل فتحول
دار الهوان لمن رآها دار ه ٥ افراحل عنها كمن لم يرحل
واذا هممت بامر شر فاتئد ٥ واذا هممت بامر خير فافعل
واذا افتقرت فلا تكن متخشعا ٥ ترجو الفواضل عند غير المفضل
واستان حلمك في امورك كلها ٥ واذا عزمت على الهدى فتوكل
واستغن ما اغناك ربك بالغنى ٥ واذا تصبك ... واذا
... فتحمل ع

١٨ انشدت هذه الابيات بين ايدي النبي ص

غذوتك مولودا وعلتك يافعا ٠ تعل بما اجني عليك وتنهل
اذا ليلة عاقتك بالسقم لم ابت ٠ لسقمك الا ساهرا اتململ
كاني انا المطروق دونك بالذي ٠ طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها ٠ لتعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي ٠ اليها مدى ما كنت فيك اؤمل
جعلت جزائي غلظة وفضاضة ٠ كانك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ٠ فعلت كما الجار المجاور يفعل
واوليتني حق الجوار ولم تكن ٠ علي بمالي دون مالك تبخل
تراه معدا للخلاف كانه ٠ برد على اهل الصواب موكل
قل كيف شئت فان الله ذو كرم ٠٠ وما عليك اذا ما اذنبت من باس
الا اثنتين فلا تقربهما ابدا ٠٠ الشرك بالله والاضرار بالناس

الحِكَمُ المنظومة

قَالَ عبدُ قيسٍ البُرْجُمِيُّ(١):

أَبُـنـيَّ إنَّ أَبـاكَ كـارَبَ يَـوْمُـهُ(٢) فـإذَا دُعِيتَ إلى المَكَارِمِ فاعْجَلِ
أُوصِيكَ إيصَاءَ امرئ لك ناصِح طَبِنٍ بِرَيْبِ الدَّهْرِ(٣) غيرِ مُغفَّلِ
الـلَّـهَ فـاتَّـقِـهِ وأَوْفِ بِـنـذْرِهِ وإذَا حَلَفْتَ مُمارِيًا فَتَحلَّلِ(٤)
والضَّـيْـفَ أَكْـرِمْـهُ فإنَّ مَبِيتَهُ حَـقٌّ ولا تَـكُ لُـعْـنَـةً لِـلـنُّـزَّلِ(٥)
واعلَمْ بأنَّ الضيفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ بِـمَـبِـيـتِ لَـيـلـتِـهِ وإنْ لـم يُـسْـأَلِ
ودَعِ القَوَارِصَ(٦) للصَّدِيقِ وغيرِه كَـيْ لَا يَـرَوْكَ مـن الـلِّـئـامِ الـعُـزَّلِ
وصِلِ المُواصِلَ ما صَفَا لك وُدُّهُ واحْذَرْ حِبالَ الخائِنِ المُتَبَدِّلِ
واتْرُكْ مَحلَّ السَّوْءِ لا تَنْزِلْ بهِ وإذَا نَـبَـا بِـكَ مَـنْـزِلٌ فَـتَـحَـوَّلِ
دَارُ الـهَـوَانِ لِـمَـنْ رَآهـا دَارَهُ أَفَـرَاحِـلٌ عـنـهـا كَـمَـنْ لـم يَـرْحَـلِ
وإذا هـمـمـتَ بـأَمـرِ شَـرٍّ فـاتَّـئِـدْ وإذا هـمـمـت بـأمـر خـيـرٍ فـافْـعَـلِ

---

(١) الأصمعيات (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)، المفضليات (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).
(٢) أي: قرب يوم أجله.
(٣) أي: فطِنٌ حاذقٌ بمصائب الدهر.
(٤) أي: إذا حلفت على باطل فاحنث في يمينك وافعل الخير.
(٥) أي: لَا يُسبَّنَّ أهل بَيْتك بسببك.
(٦) أي: الشتائم.

[وإذا أَتـتْـكَ مـن الـعَـدُوِّ قَـوارِصٌ ... فاقْرُصْ كذاكَ وَلا تَقُلْ لم أَفْعَل][(١)]
وإذا افْـتَقَرْتَ فلا تَكُنْ مُتَخشِّعًا ... تَرْجُو الفَواضِلَ عندَ غيرِ المُفْضِلِ
واسْتَغْنِ ما أَغْناكَ رَبُّك بالغِنَى ... وإذا تُصِبْك خَصاصَةٌ فَتَجَمَّلِ
وإذا لقِيتَ القومَ فاضرِبْ فيهمُ ... حتَّى يَرَوْكَ طِلاءَ أَجْرَبَ مُهْمَلِ
واسْتَأْنِ حِلْمَكَ في أُمورِك كُلِّها ... وإذا عَزَمْتَ على الهَوَى فَتوكَّلِ
وإذا تَشَاجَرَ في فُؤَادِكَ مَرَّةً ... أَمْرَانِ فاعْمِدْ لِلأَعَفِّ الأَجْمَلِ
وإذا لَقِيتَ الباهشين إلى النَّدَى ... غُبرًا أَكُفُّهُمُ بِقاعٍ مُمْحِلِ
فَأَعِنْهُمُ وايْسِرْ بِما يَسَروا بِهِ ... وإذا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فانْزِلِ

وتنسب الأبيات إلى «حارثة بن بدر التميمي» يكنى «أبا العتيبي» أدرك عليًّا. وذكره بعضهم في الصحابة[(٢)].

* * *

ابن الخطيب[(٣)]:

حَتَّى إِذا سلك الْخلَافَة انْتَشَر ... وَذهب الْعين جَمِيعًا والأثر
قَامَ بِكُل بقْعَة مليك ... وَصَاح فَوق كل غُصْن ديك

* * *

ابن العسال الطليطلي[(٤)]:

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس ... فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى ... سلك الجزيرة منثورًا من الوسط

(١) إضافة من المصادر.
(٢) الإصابة (٢/ ١٣٨).
(٣) هو: محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله السلماني الغرناطي المعروف بابن الخطيب. توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة.
(٤) هو: أبو محمد عبدالله بن فرج بن غزلون اليحصبي. يعرف بابن العسال الطليطلي.

من جاور الشر لم يأمن عواقبه   كيف الحياة مع الحيات في سفط

* * *

يَبْنِي على نَفسه سفاها   كَأَنَّهُ دودة الْحَرِير
دَعوه يَبْنِي فَسَوف يدْرِي   إِذا أَتَت قدرَة الْقَدِير

* * *

والمكثرون بحرهم وأنس   عائشة وجابر المقدس
صاحب دوس وكذا ابن عمرا   رب قني بالمكثرين الضررا

* * *

العِلمُ كَنزٌ وَذُخرٌ لا نَفادَ لَهُ   نِعمَ القَرينُ إِذا ما عاقلاً صحبا
قَد يَجمَعُ المَرءُ مالاً ثُمَّ يُسلَبُهُ   عَمّا قَليلٍ فَيَلقى الذُلَّ وَالحَرَبا
وَجامِعُ العِلمِ مَغبوطٌ بِهِ أَبَدًا   وَلا يُحاذِرِ مِنهُ الفَوتَ وَالسَّلَبا
يا جامِعَ العِلمِ نِعمَ الذخرُ تَجمعُهُ   لا تَعدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلا ذَهَبا[(١)]

* * *

تدبر العلم الذي تفتي به   لا خير في علم بغير تدبر

* * *

قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان

قاله عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

* * *

في رثاء بني أمية لمولاها عبدالله بن عمر العَبَلِيِّ، قال:

تقول أمامة لمّا رأت   نشوزي عن المضجع الأنفس

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٧٦) طبعة دار عالم الفوائد، تحقيق: عبدالرحمن بن قائد. والأبيات لأبي الأسود الدؤلي، وتنسب لغيره.

وقلّة نومي على مضجعي ... لدى هجعة الأعين النّعّس
أبي، ما عراك؟ فقلت: الهمو ... م عرون أباك فلا تبلسي[(١)]
لفقد الأحبة إذ نالها ... سهامٌ من الحدث المبئس[(٢)]
عرون أباك فحبّسنه ... من الطّرد في شرّ ما محبس
رمتها المنون بلا نُكلٍ[(٣)] ... ولا طائشاتٍ[(٤)] ولا نكّس
بأسهمها المتلفات النّفوس ... متى ما تصب مهجةً تخلس
فصرعاهم في نواحي البلا ... د ملقًى بأرضٍ ولم يرسس
تقيّ أصيب وأثوابه ... من العار والعيب لم تدنس
وآخر قد دسّ في حفرةٍ ... وآخر قد طار لم يحسس
إذا عنّ ذكرهم لم ينم ... أبوك وأوحش في المجلس
فذاك الّذي غالني فاعلمي ... ولا تسأليني وتستنحسي[(٥)]
أذلّوا قناتي لمن رامها ... وقد ألصقوا الرغم بالمعطس[(٦)]

* * *

قال البحتري في ذكر قتل المتوكل في قصره الجعفري:

تَغَيّرَ حُسْنُ الجَعْفَرِيّ وأُنْسُهُ ... وَقُوّضَ بَادي الجَعْفَرِيّ وَحَاضِرُهْ
تَحَمّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ، فُجَاءَةً ... فَعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ، وَمَقَابِرُهْ

---

(١) أبلس: يئس وتحير. «قاموس».
(٢) من البأس: وهو العذاب والشدة.
(٣) نكل: نكص وجبن. والناكل: الضعيف.
(٤) من الطيش. طائش اسم فاعل.
(٥) بعده:

وفي ذاك أشياء قد ضفنني ... ولست لهنّ بمستحلس
أفاض المدامع قتلى كدُى ... وقتلى بكثوة لم ترمس
وبالزّابيين نفوسٌ ثوت ... وقتلى بنهر أبي فطرس
أولئك قومٌ أذاعت بهم ... حوادث من زمنٍ متعس

(٦) المعطس، كمجلس ومقعد: الأنف.

إذا نَحْنُ زُرْنَاهُ أجدّ لَنا الأسَى ... وَقد كَانَ قَبلَ اليَوْم يُبهَجُ زَائِرُهْ
وَلم أنسَ وَحشَ القصرِ، إذ رِيعَ سِرْبُهُ ... وإذْ ذُعِرَتْ أطْلاؤهُ وَجَآذِرُهْ
وإذْ صِيحَ فيهِ بالرّحِيلِ، فهُتّكتْ ... عَلى عَجَلٍ أسْتَارُهُ وَسَتَائِرُهْ
وَوَحْشَتُهُ، حَتّى كأنْ لَمْ يُقِمْ بِهِ ... أنيسٌ، وَلَمْ تَحسُنْ لعَينٍ مَنَاظِرُهْ
كأن لم تَبِتْ فيهِ الخِلافَةُ طَلْقَةً ... بَشَاشَتُها، والمُلكُ يُشرِقُ زَاهِرُهْ
وَلمْ تَجْمَعِ الدّنْيا إلَيهِ بَهَاءَهَا ... وَبهجتَها، والعيشُ غَضٌّ مكاسرُهْ
فأينَ الحِجابُ الصّعبُ، حيثُ تَمَنّعَتْ ... بِهَيْبَتِهَا أبْوَابُهُ، وَمَقاصِرُهْ
وأينَ عَميدُ النّاسِ في كلّ نَوْبَةٍ ... تَنُوبُ، وَنَاهي الدّهرِ فيهِمْ وآمرُه
تَخَفّى لَهُ مُغْتَالُهُ، تَحتَ غِرّةٍ ... وَأوْلَى لِمَنْ يَغتالُه لو يُجاهِرُهْ
فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ المَنَايَا جُنُودُهُ ... وَلاَ دَافَعَتْ أمْلاَكُهُ وَذَخَائِرُهْ
وَلاَ نَصرَ المُعتَزَّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى ... لَهُ، وَعَزِيزُ القَوْمِ مَنْ عَزّ ناصِرُهْ
تَعرّضَ ريب الدهر من دونِ فتحِهِ ... وَغُيّبَ عَنهُ في خُرَاسَانَ، طاهِرُهْ
وَلَوْ عَاشَ مَيْتٌ، أوْ تقَرّبَ نَازِحٌ ... لَدَارَتْ مِنَ المَكْرُوهِ ثَمّ دَوَائِرُهْ
وَلَوْ لِعُبَيْدِ الله عَوْنٌ عَلَيْهِمُ ... لَضَاقَتْ عَلَى وُرّادِ أمْرٍ مَصَادِرُهْ
حُلُومٌ أضَلّتْهَا الأمَاني، وَمُدّةٌ ... تَنَاهَتْ، وَحَتفٌ أوْشَكَتْهُ مَقَادِرُهْ
وَمُغْتَصَبٍ للقَتلِ لَمْ يُخْشَ رَهْطُهُ ... وَلَمْ تُحتَشَمْ أسْبَابُهُ وَأوَاصِرُهْ
صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السّيُوفُ حُشَاشَةً ... يَجُودُ بها، والمَوْتُ حُمْرٌ أظافرُهْ
أُدافعُ عَنهُ باليَدَينِ، وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَثْنِي الأعَادِي أعزَلُ اللّيلِ حاسرُهْ
وَلَوْ كانَ سَيفي ساعةَ القتل في يدي ... درى القاتلُ العَجلانُ كيفَ أُساوِرُهْ
حَرَامٌ عليّ الرّاحُ، بَعْدَكَ، أوْ أرَى ... دَمًا بدَمٍ يَجري عَلى الأرْضِ مائرُهْ
وَهَلْ أرْتَجي أنْ يَطْلُبَ الدّمَ وَاترٌ ... يَدَ الدّهْرِ، والمَوْتُورُ بالدّمِ وَاتِرُهْ
أكَانَ وَليُّ العَهْدِ أضْمَرَ غَدْرَةً؟ ... فَمِنْ عَجَبٍ أنْ وُلّيَ العَهدَ غادرُهْ
فلا مُلّيَ البَاقي تُراثَ الذي مَضَى ... وَلاَ حَمَلَتْ ذاكَ الدّعَاءَ مَنَابِرُهْ[1]

---

(١) بعده: =

خُلِعَ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ... وَسَيُقْتَلُ التَّالِي لَهُ أَوْ يُخْلَعُ
وَيَزُولُ مُلْكُ بَنِي أَبِيهِ وَلاَ يُرَى ... أَحَدٌ تَمَلَّكَ مِنْهُمُ يَسْتَمْتِعُ
إِيهًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ سَبِيلَكُمْ ... فِي قَتْلِ أَعْبُدِكُمْ سَبِيلٌ مَهْيَعُ
رَقَّعْتُمُ دُنْيَاكُمُ فَتَمَزَّقَتْ ... بِكُمُ الْحَيَاةُ تَمَزُّقًا لاَ يُرْقَعُ

* * *

خَلِيفَةٌ فِي قَفَصٍ ... بَيْنَ وَصِيفٍ وبغَا
يَقُولُ مَا قَالاَ لَهُ ... كَمَا تَقُولُ الْبَبَّغَا

* * *

قال عبدالله بن الزبير (الأسد):

أرى الحاجات عند أبي خبيب ... نكدن، ولا أمية في البلاد
من الأعياص أو من آل حرب ... أغر كغرة الفرس الجواد
وما لي حين أقطع ذات عرق ... إلى ابن الكاهلية من معاد
وقلت لصحبتي: أدنوا ركابي ... أفارق بطن مكة في سواد

* * *

لما قتل المتوكل سنة (٢٤٧هـ) رثاه أحد شعراء عصره بقوله[١]:

لا حزن إلا أراه دون ما أجد ... وهل كمن فقدت عيناي مفتقد!
لا يبعدن هالك كانت منيته ... كما هوى عن عطاء الزبية الأسد
لا يدفع الناس ضيمًا بعد ليلتهم ... إذ لا تمد إلى الجاني عليك يد

= وَلَا وَأَلَ الْمَشْكُوكُ فِيهِ، وَلا نَجَا ... من السَّيفِ ناضِي السَّيفِ غدرًا وَشاهِرُهْ
لَنِعمَ الدّمُ المَسْفُوحُ، لَيلَةَ جَعفرٍ ... هَرَقتُمْ، وَجُنحُ اللّيلِ سُودٌ دَيَاجِرُهْ
كأنّكُمْ لمْ تَعْلَمُوا مَنْ وَلِيُّهُ ... وَنَاعيهِ تَحْتَ المُرْهَفَاتِ وَثَائِرُهْ
وإنّي لأرْجُو أنْ تُرَدّ أُمُورُكُمْ ... إلى خَلَفٍ مِنْ شَخصِهِ لا يُغَادِرُهْ
مُقَلِّبُ آرَاءٍ تُخَافُ أنَاتُهُ ... إذا الأخرَقُ العَجلانُ خيفتْ بَوَادرُه

(١) وهي مرثية يزيد المهلبي.

لو أن سيفي وعقلي حاضران له ... أبليته الجهد إذ لم يبله أحد[١]
هلا أتته أعاديه مجاهرة ... والحرب تسعر والأبطال تجتلد
فخر فوق سرير الملك منجدلاً ... لم يحمه ملكه لما انقضى الأمد
قد كان أنصاره يحمون حوزته ... وللردى دون أرصاد الفتى رصد
وأصبح الناس فوضى يعجبون له ... ليثًا صريعًا تنزى حوله النقد
علتك أسياف من لا دونه أحد ... وليس فوقك إلا الواحد الصمد[٢]
أضحى شهيد بني العباس موعظة ... لكل ذي عزة في رأسه صيد
خليفة لم ينل ما ناله أحد ... ولم يضع مثله روح ولا جسد
كم في أديمك من فوهاء[٣] هادرة ... من الجوائف يغلي فوقها الزبد
إذا بكيت فإن الدمع منهمل ... وإن ونيت فإن القول مطرد
قد كنت أسرف في مالي وتخلف لي ... فعلمتني الليالي كيف أقتصد
لما اعتقدتم أناسًا لا حلوم لهم ... ضعتم وضيَّعتم من كان يعتقد
فلو جعلتم على الأحرار نعمتكم ... حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجِذم والأنساب تجمعهم ... والمجد والدين والأرحام والبلد[٤]

* * *

---

(١) بعده:
جاءت منيته العين هاجعة ... هلا أتته المنايا والقنا قصد

(٢) بعده:
جاؤوا عظيمًا لدنيا يسعدون بها ... فقد شقوا بالذي جاؤوا وما سعدوا
ضجت نساؤك بعد العز حين رأت ... خدًّا كريمًا عليه قارت جسد

(٣) الفوه: سعة الفم. وهو أفوه، وهي فوهاء. «قاموس».

(٤) بعده:
إذا قريش أرادوا شد ملكهم ... بغير قحطان لم يبرح به أود
قد وتر الناس طرًا ثم قد صمتوا ... حتى كأن الذي نيلوا به رشد
من الألى وهبوا للمجد أنفسهم ... فما يبالون ما نالوا إذا حمدوا

لما مات المتوكل وولي المنتصر، كان على غير طريقة أبيه مع العلويين، فقال البحتري يمدحه:

رددت المظالم واسترجعت ... يداك الحقوق لمن قد قهر
وآل أبي طالب بعد ما ... أذيع بسربهم فانذعر
ونالت أدانيهم جفوة ... تكاد السماء لها تنفطر
وصلت شوابك أرحامهم ... وقد أوشك الحبل أن ينبتر
فقربت من حظهم ما نأى ... وصفيت من شربهم ما كدر
وأين بكم عنهم واللقا ... ء لا عن تناء ولا عن عفر
قرابتكم بل أشقاؤكم ... وإخوتكم دون هذا البشر
ومن هم وأنتم يدا نصرة ... وحدا حسام قديم الأثر
يشاد بتقديمكم في الكتاب ... وتتلى فضائلكم في السور
وإن عليا لأولى بكم ... وأزكى يدا عندكم من عمر
وكل له فضله والحجو ... ل يوم التفاضل دون الغرر
بقيت إمام الهدى للهدى ... تجدد من نهجه ما دثر(١)

❊ ❊ ❊

قال ابن ظهيرة:

سبع من الصّحب فوق الألف قد نقلوا ... من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس ... صدّيقة وابن عبّاس كذا ابن عمر

❊ ❊ ❊

وأبو الطفيل عامر بن واثله ... آخر من مات من الأصحاب له

❊ ❊ ❊

ومن هذيل صاحب السواد ... والنعل والفراش والوساد

❊ ❊ ❊

(١) كتب بعدها: «كلام لا عفر فيه: لا عويص فيه».

الليث بن سعد:

لعمرك مَا عدمت لِوَاء مجد وَلاَ كلَّ الجوادُ عَن السباق
وَلَكِنِّي بليت بحظ سوء كَمَا تبلى المليحة بِالطَّلَاق

***

مصائبَ الدهر كُفيّ إن لم تكُفيّ فعِفي
أتيت أطلب سعدًا وجدت سعدًا توفّي
فلا حظيت بسعد ولا بصنعة كَفّي

***

البحر صعب المرام مُرٌّ لا جعلت حاجتي إليه
أليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه

***

خُلِقْتُ طِينًا وَماءُ الْبَحْرِ يُتْلِفُهُ وَالْقَلْبُ فِيهِ نُفورٌ مِنْ مَراكِبِهِ
فالْبَحْرُ خَيْرُ رَفيقٍ بِالرَّفيقِ لَهُ وَالبَرُّ مِثْلُ اسْمِهِ بَرٌّ بِرَاكِبِهِ

***

مدّ أنا من قبل همز انفتح أو همزة مضمومة قد اتّضح
وقبل غير همزةٍ أو همزةِ مكسورة مدّ أنا لم تثبت

***

لقول الشيخ أنباني فلان وكان من الأئمة عن فلان
إلى أن ينتهي الإسناد أحلى لقلبي من محادثة الحسان
وتصحيح الصحيح من العوالي بنيسابور أو بأصفهان
أحب إلي من أخبار ليلى وقيس بن الملوح والأغاني

***

لما رأى الشرفات الساقطات رأى ... حدوث أمر رأى ما راء حدثانه

* * *

إن الجماعة لكل رجل ... ذي قدرة فريضة للحنبلي
ولابن ثور ولداود عطا(١) ... الفذ لا تجزئه إن فرطا

* * *

بالمسدد من الآباء ... مع الغرابة على الولاء
مسرهد مجرهد مسربل ... مغربل مرعبل مطربل
من بعدها أرندل سرندل ... يليهما عرندل غرندل
فماسك وبعده مستور ... الأسدي(٢) ذا لهم مشهور
وبعضهم جعل ذا مستوردا ... بدل مستور على ما أوردا

* * *

قيل لأعرابي: مَن لم يتزوج اثنتين لم يذق حلاوة العيش! فتزوج، فقال:

تَزَوَّجْتُ اثنتينِ لِفَرْطِ جَهْلِي ... بِمَا يَشْقَى به زَوجُ اثْنتينِ
فقلتُ أصيرُ بينهما خروفًا ... أُنَعَّمُ بينَ أَكْرَمِ نَعْجَتَيْنِ
فصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وتُمْسِي ... تُدَاوَلُ بينَ أَخْبَثِ ذِئْبَتَيْنِ
رِضَا هَذِي يُهَيِّجُ سُخْطَ هَذِي ... فَمَا أَعْرَى مِنَ احْدَى السُّخْطَتَيْنِ
وأَلْقَى في المعِيشَةِ كُلَّ بؤسٍ ... كَذَاكَ الضُّرُّ بينَ الضَّرَّتَيْنِ
لِهذي ليلةٌ ولتلكَ أُخْرى ... عِتَابٌ دَائِمٌ في الليلَتَيْنِ
فإنْ أَحْبَبْتَ أنْ تَبْقَى كريمًا ... مِنَ الخيراتِ مَمْلُوءَ اليَدَيْنِ
وتدركَ مُلْكَ ذِي يَزَنٍ وعَمْرٍو ... وذي جَدَنٍ ومُلْكَ الخَافِقَيْنِ
ومُلْكَ المُنْذِرَيْنِ وذِي نُوَاسٍ ... وتُبَّعٍ القَدِيمِ وذِي رُعَيْنِ

---

(١) كذا في الأصل: ولعل الصواب: [ولأبي ثورٍ وداودَ عطا].
(٢) الأسدي البصري. توفي سنة ٢٢٨هـ. تذكرة الحفاظ (٢/ ١).

فَعِشْ عَزَبًا فإنْ لم تَسْتَطِعْهُ ... فَضَرْبًا في عِرَاضِ الجَحْفَلَيْنِ

* * *

قال أبو الطفيل عامر بن واثلة يرثي ابنه، وقد خرج مع المختار طالبًا بدم الحسين، فكان معه حتى قتل:

خلّى طفيلٌ عليّ الهمّ فانشعبا ... وهدّ ذلك ركني هدّةً عجبا
وَابْني سميّة لاَ أنساهما أبدا ... فِيمَن نسيت وكلّ كَانَ لي وصبا
فاملك عزاءك إن رزءٌ نكبت بِهِ ... فلَنْ يردّ بكاء الْمَرْء مَا ذَهَبا
وَلَيْسَ يشفي حَزينًا من تذكره ... إلاّ الْبكاء إذا مَا ناح وانتحبا
فَإن سلكت سَبِيلا كنت سالكها ... وَلاَ محالة أن يَأْتِي الَّذِي كتبا
فَمَا لفظتك من ريّ وَلاَ شبع ... وَلاَ ظللت بباقي الْعَيْش مرتقبا
فارقتني حِين لَا مَال أعيش بِهِ ... وحين جُنّ زمانُ الناس أو كَلِبا

* * *

إنْ يَكُ سَيَّرَهَا مُصْعَبٌ ... فَإِنِّي إِلَى مُصْعَبٍ مُذْنِبُ
أَقُودُ الْكَتِيبَةَ مُسْتَلْئِمًا ... كَأَنِّي أَخُو عِرَّةٍ أَجْرَبُ(١)
عَلَيَّ دِلاصٌ تَخَيَّرْتُهَا ... وَفِي الْكَفِّ ذُو رَوْنَقٍ مُقْضِبُ(٢)
سَعَرْتُ عَلَيْهِمْ مَعَ السَّاعِرِيـ ... نَ نَارًا إِذَا خُمِّدَتْ تَثْقُبُ
فَلَوْ أَنَّ يَحْيَى بِهِ قُوَّةٌ ... فَيَغْدُو مَعَ الْقَوْمِ أَوْ يَرْكَبُ
وَلَكِنَّ يَحْيَى كَفَرْخِ الْعُقَا ... بِ وَالْوَكْرُ مُسْتَضْعَفٌ أَزْغَبُ(٣)

* * *

ولأبي الطفيل:

لا دَرَّ دَرُّ اللَّيَالِي كَيفَ تُضْحِكُنَا ... مِنْهَا خُطُوبٌ أَعَاجِيبٌ وَتُبْكِينَا

---

(١) العرة: القذر.
(٢) رونق السيف: حسنه.
(٣) الزغب: الشعر القصير على ريش الفرخ.

وَمِثْلُ مَا تُحْدِثُ الأَيَّامُ مِنْ غِيَرٍ ... يَابْنَ الزُّبَيْرِ عَنِ الدُّنْيَا تُسَلِّينَا
كُنَّا نَجِيءُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَيَقْبِسُنَا ... عِلْمًا وَيُكْسِبُنَا أَجْرًا وَيَهْدِينَا
وَلا يَزَالُ عُبَيْدُ اللَّهِ مُتْرَعَةً ... جِفَانُهُ مُطْعِمًا ضَيْفًا وَمِسْكِينَا
فَالْبِرُّ وَالدِّينُ وَالدُّنْيَا بِدَارِهِمَا ... نَنَالُ مِنْهَا الَّذِي نَبْغِي إِذَا شِينَا
إِنَّ النَّبِيَّ هُوَ النُّورُ الَّذِي كُشِفَتْ ... بِهِ عَمَايَاتُ بَاقِينَا وَمَاضِينَا
وَرَهْطُهُ عِصْمَةٌ فِي دِينِنَا وَلَهُمْ ... فَضْلٌ عَلَيْنَا وَحَقٌّ وَاجِبٌ فِينَا
وَلَسْتَ فَاعْلَمْهُ أَوْلَى مِنْهُمُ رَحِمًا ... يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ وَلا أَوْلَى بِهِ دِينَا
فَفِيمَ تَمْنَعُهُمْ عَنَّا وَتَمْنَعُنَا ... مِنْهُمْ وَتُؤْذِيهِمُ فِينَا وَتُؤْذِينَا
لَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ مَنْ أَخْزَى بِبُغْضِهِمُ ... فِي الدِّينِ عِزًّا وَلا فِي الأَرْضِ تَمْكِينَا

❊ ❊ ❊

قال عبدالله بن صفوان: دخل رجل على ابن الزُّبَيْر فقال:

فإنْ تُصبك من الأيام جَائحةٌ ... لَمْ نَبْكِ منك عَلَى دُنْيَا ولا دِينِ

❊ ❊ ❊

أنشدت هذه الأبيات بين يدي النبي ﷺ:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتُكَ يَافِعًا ... تُعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ عَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ ... لِسُقْمِكَ إِلاَّ سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمُلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي ... إِلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
فَوَفَّيْتَنِي حَقَّ الجِوَارِ وَلَمْ تَكُنْ ... عَلَيَّ بِمَالِي دُونَ مَالِكَ تَبْخَلُ

تَـرَاهُ مُـعَـدًّا لِـلْـخِـلافِ كَـأَنَّـهُ بِـرَدٍّ عَـلَـى أَهْـلِ الـصَّـوَابِ مُـوَكَّـلُ

* * *

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم وما عليك إذا أذنبت من باس

إلا اثنتين فلا تقربهما أبدا الشرك بالله والإضرار بالناس

* * * *



فهرس المحتويات



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

نبذة تعريفية
الإدارة العامة للأوقاف

الوقف علامة فارقة في مسيرة الحضارة الإسلامية وقد أثبت دوره ومكانته في مجالات التعليم والصحة والغمل الثقافي والاجتماعي بمختلف أشكاله وما زالت المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات تقف شاهدة على عظمة وأهمية الوقف عبر تاريخنا المجيد.

وفي هذا السياق من العطاء والتواصل الإنساني تهدف **الإدارة العامة للأوقاف** إلى إدارة الأموال الوقفية واستثمارها على أسس اقتصادية، وفق ضوابط شرعية بما يكفل نماءها وتحقيق شروط الواقفين. وتعد الأوقاف إحدى أهم مؤسسات المجتمع المدني سواء من ناحية النشأة والقدم، أو الاختصاصات المناطة بها.

وانطلاقاً من النهضة الوقفية المعاصرة تم توسيع نطاق الوقف وتنويع مصارفه من خلال إنشاء المصارف الوقفية الستة المشتملة على مختلف نواحي الحياة الثقافية والتربوية والصحية والاجتماعية . . .إلخ، وذلك تشجيعاً لأهل الخير وإرشاداً لهم لوقف أموالهم على المشاريع الخيرية التنموية، وتنظيماً لقنوات الصرف والإنفاق المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي الحضاري.

وأما المصارف الستة فهي:

١ ـ المصرف الوقفي لخدمة القرآن والسنة.

٢ ـ المصرف الوقفي لرعاية المساجد.

٣ ـ المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.

٤ ـ المصرف الوقفي للبر والتقوى.

٥ ـ المصرف الوقفي للرعاية الصحية.

٦ ـ المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية.

وانطلاقاً من الإيمان العميق بدور العلم الشرعي والثقافة الإسلامية بشكل خاص، والعلوم التطبيقية بشكل عام في تقدم الأمة وتطورها، جاء إنشاء ((المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية)) ليكون رافداً غنيًّا للعطاء الثقافي والعلمي ضمن نطاق اختصاصاته. وأبرز مثال في إطار أعمال

وإنجازات هذا المصرف رحلات العمرة للمتميزين، إلى جانب إقامة العديد من الدورات العلمية.

ولا ننسى الإشارة إلى الدور المهم الذي نهض به الوقف تاريخيًّا في تنشيط الحركة العلمية والثقافية، وذلك بإقامة المدارس، والمكتبات والمعاهد وغيرها، ليصنع بذلك حضارة أفادت منها الإنسانية جمعاء.

من أهدافــــه:

- تشجيع ودعم إقامة الأنشطة والفعاليات العلمية والثقافية.
- الحث على الاهتمام بالتعليم، وبيان دوره في رقي الإنسان، ونمو المجتمعات.
- نشر العلم الشرعي والثقافة الإسلامية على أوسع نطاق والارتقاء بمستوى العاملين في هذا المجال.

من وسائلــــه:

- دعم إقامة المؤتمرات والندوات وحلقات الحوار والمهرجانات والمعارض والمراكز الثقافية الدائمة والموسمية.
- دعم وإنشاء المكتبات العامة.
- دعم تنظيم الدورات التدريبية التأهيلية لتنمية المهارات والقدرات في مختلف المجالات العلمية والثقافية.